غزوات شعوب البحر

آفاق ثقافية

(٤)

نزار مصطفى كحلة

غزوات شعوب البحر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٧

آفــاق ثقافيــة
العــدد (٤)
٢٠١٧م

غزوات شعوب البحر / نزار مصطفى كحلة.- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٧م.- ٣٠٤ص؛ ٢٠ سم.
(آفاق ثقافية؛ العدد ٤)

١- ٩٣٠ ك ح ل غ ٢- العنوان
٣- كحلة ٤- السلسلة

مكتبة الأسد

الإهداء

إلى أول إنسان حاول الكتابة

إلى تاريخٍ موغلٍ في القدم لسورية

إلى الملكة العربية اليمنية أروى الصُليحي

مُقَدِّمَة

يقول الخطيب الروماني الشهير ماركوس شيشرون ١٠٦ - ٤٣ ق.م[١]: «من لم يقرأ التاريخ يَعش طفلاً أبد الدهر» ومن يعتقد بأن العلوم السياسية بمفهومها الحديث (دراسات وأبحاثاً) هي من نِتاج القرون الأخيرة من الألفية الثانية بعد الميلاد، ويبقى في حالة استنكار للدراسات التاريخية الهادفة لاستقراء التاريخ، واستخلاص العِبَرِ منه، يبقى قاصراً عن استشراف المستقبل والإعداد له، خير إعداد.

(١) من كِبار رجال الدولة والخطباء والكتَّاب الرومان، تولى منصب القنصلية عام ٦٣ ق.م، وكان له دورٌ بارز في القضاء على مؤامرة كاتيلينا، وعلى الرغم من انتمائه إلى طبقة الفرسان، فقد كان من كِبار المدافعين عن النظام الجمهوري، كما أنه عَمِل في المحاماة. قُتِلَ شيشرون عام ٤٣ ق.م، وترك مجموعةً من المؤلفات والخطب والرسائل، التي تُعدُّ قمة في الأدب اللاتيني، ويُعدُّ كتاباه عن الخطابة، من أهم ما كتبه في حياته، انظر كتاب /دراسات في تاريخ الرومان /، محمد محفل، ج٢، دمشق، ط١٠، ٢٠٠٠ - ٢٠٠١م، ص ٢.

فقد علَّمتنا دروس التاريخ، أن الفكر السياسي والدراسات السياسية، ودراسة الواقع الدولي، وقراءة الواقع السياسي لدول الجوار، ومعرفة المتغيرات الدولية، كانت من صُلبِ عَملِ القادة السياسيين الكِبار عبر التاريخ.

وانطلاقاً مما ذُكِرَ، نستطيع أن نفهم الدوافع التي أجبرت أعظم إمبراطوريتين - المصرية والحثية - حكمتا منطقة شرق المتوسط، أو ما يُسمى اصطلاحاً بـ«الشرق الأدنى القديم»، على توقيع معاهدة السلام، التي أعقبت معركة قادش ١٢٨٥ ق.م التي جرت بينهما في سياق الصراع الدولي للسيطرة على سورية (بلاد الشام) ذات الموقع الاستراتيجي المهم.

تلك المعاهدة التي وُقِّعَت عام ١٢٦٩ ق.م أي بعد انتهاء معركة قادش بنحو ستة عشر عاماً، ودخول القوتين العظميين «حرباً باردةً» لم تُسفِر إلا عن توقيع معاهدة السلام تلك، والتي أنهت حالة الصراع بين أقوى قوتين في أواخر عصر البرونز الحديث ١٦٠٠ - ١٢٠٠ ق.م.

ومَنْ يدرس الواقع السياسي والرؤية السياسية، التي حَدَت بملوك وأباطرة تلك الدول، لتوقيع تلك المعاهدة، يَجزم بأن ثمَّةَ «دراسات» واستشارات سياسية، قد تمَّت من قِبَل الجانبين، فقد أدرك كلٌّ من إمبراطور الحثيين خاتوشيلي الثالث ١٢٧٥ – ١٢٥٠ ق.م، وملك مصر رعمسيس الثاني ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م أن ثمَّة متغيرات دولية قادمة، ليست في مصلحة الطرفين، فيما لو استمرا في حالة العداء، ويأتي على رأس هذه المتغيرات:

١ - حالة الضعف، التي كانت تعاني منها الدولة البابلية في ظلِّ الحكم الكاشي ١٥٩٥ - ١١٥٧ ق.م.

٢ - نهوض قوة آشور (الدولة الوسطى) بشكل يُنبئ عن قِيامِ دولةٍ قويةٍ، قد تُنافس كلتا الدولتين (الحثية والمصرية).

٣ - والأهم من ذلك، الأحداث التي كانت تجري في شبه جزيرة البلقان، والتحوّل في مسيرة واتجاه الحكم في مملكة مسيني (ميكيني) نحو العَسكرة، والذي أدى بِدورِهِ إلى تحركات هائجةٍ، عمَّت معظم جزر بحر إيجة، وبعض جزر البحر المتوسط، إضافة إلى تحرك شعوب وقبائل آسيا الصغرى

المجاورة لحاتوشا عاصمة الحثيين، من جهة، وبعض قبائل منطقة ليبيا غرب مصر، من جهةٍ أخرى، هذه التحركات التي وُصِفَت في نصوص مصر القديمة بأنَّها: «تحركات الشماليين الذين في جزرهم» (سكان الجزر الشمالية) والتي باتت تُعرف اليوم بغزوات شعوب البحر.

كل هذه المتغيرات كانت قد رُصِدت من قِبَلِ قادة وملوك الدول الكبرى، فسعى كلُّ طرفٍ منها لتحسين مواقعه في انتظار القادم، بكلِّ ما يُنبئ من مخاوف وصدامات، قد تؤدي إلى كوارث تُزيل دولاً وإمبراطوريات من الوجود، وتُنشئ أخرى، وهذا بالضبط ما حدث، كما سوفَ نرى لاحقاً.

فما هي هذه التحركات التي وُصِفت بتحركات شعوب البحر؟، وما هي أسبابها؟، ومتى حدثت؟، وكيف؟، وكم استمرت؟، وما هي النتائج التي أسفرت عنها؟، هذا ما سوف نتعرَّفُ إليه، من خلال هذه الدراسة المتواضعة، التي عمدت إلى تقسيمها إلى سبعة فصول، مراعياً التسلسل

المنطقـــي والتـــاريخي للأحـــداث، ففـــي الفـــصل الأول، تناولت أوضاع المنطقة - موضـوع البحـث - عـشية حـدوث هذه المتغيرات، فيما تناولت في الفصل الثاني، غـزوات شـعوب البحر بشكلٍ عام، مع ذكـر الأسـباب التـي أدت إلى حـدوثها، فيما أفـردت الفـصل الثالـث للحـديث عـن غـزو مـصر مـن قِبَلِ شعوب البحر، ومن ثـمَّ لأتحـدث في الفـصل الرابـع عـن غزو شعوب البحر لآسـيا الـصغرى، وسـقوط الإمبراطوريـة الحثية، فيما كان الفصل الخامس لذكرِ غـزوات هـذه الـشعوب لبلاد الشام، وخاصة مملكة أوغاريـت، أمـا الفـصل الـسادس فقد كان للحديث عن مواجهة مـن تبقّـى مـن هـذه الـشعوب والأقوام مع الدولة الآشورية الوسطى، في عهد ملكها تجـلات بليـصر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م والقـضاء علـيهم بـشكلٍ شـبه تـام، وفي الفـصل الـسابع تـمَّ تقـديم بعـض النتـائج المهمَّة، التي تمَّ التوصُّل إليها، نتيجة حصول هـذه التحركـات الكبيرة، في عالم شرقي البحر الأبيض المتوسط، وتبقى الخاتمـة، خلاصة ما قُدِّم.

وفي ختام البحث، تـمَّ تقـديم بعـض الملاحـق، والخـرائط، والجداول، والصور، التي تساعد القـارئ عـلى فهـمِ الموضـوع بشكل أفضل، وتُسهِّلُ عليه معرفة بعض الغمـوض الـذي قـد يعتريه أثناء قراءة البحث.

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أُذكِّرَ بالصعوبات - وقـد أفـردت لها عنواناً خاصاً - التي تعتري هكذا دراسات وأبحاث، وخاصـة في الفترات التاريخية الفقيرة بالمصادر والنقوش والكتابـات، ولـن أُضيف إلى الشعر بيتاً، إذا أضفتُ إليها قائمة المُشككين بمجريات الأحداث، وعلى رأسها نقص المصادر التاريخية، والمشكلة الأكثـر صعوبة، هي تـضارب فـترات حكـم ملـوك وقـادة تلـك الفـترة الزمنية، ما بين مَصْدَرٍ وآخـر، ممـا صـعَّبَ عـليَّ إجـراء المقارنـات اللازمة، بغية الوصول إلى صـورةٍ أقـرب مـا تكـون إلى الحقيقـة، إلا أن هذه التناقضات حالت دون ذلك، فقـد بـدا البحـث، وفي بعض الأماكن، وكأنَّما فقـدَ بعـضاً مـن منطقيـة الحـدث، لكننـي حاولت قدر المُستطاع أن أصل إلى أقربِ تصوّرٍ ممكـن لمـا حـدث في تلك الفترة الزمنية البالغة الصعوبة، من حيث دراسـتها بـشكلٍ

واضح وجلي، فهي ترتقي بصعوبتها إلى تصنيفها من أصعب إشكاليّات التاريخ دراسة وبحثاً.

وقد كانت الغاية الحقيقية من هذا البحث، مقاربة فترة زمنية غائمةٍ في أذهان الكثيرين ممن تصادفهم هذه العبارة الدائمة (دُمِّرت على يد شعوب البحر)، وغالباً ما يأتي الشرحُ مُقتضباً في أسفل حواشي صفحات تلك الكتب التي تتطرَّقُ لِذكرها، ويبقى ما قدمته محاولة، تأتي في سياق محاولاتي الكثيرة والمتشابهة في البحث عمّا خَفي عنّا في التاريخ، وخاصة القديم منه، بغية إدراك حقيقة ما حدث لنا، وما يحدث الآن، أو ما قد يحدث لاحقاً، إذا أدركنا جيداً قراءة صفحات هذا التاريخ، وخاصة ما خفي منه، لعلَّنا نصلُ إلى حقيقة ما وصلنا إليه من تراجعٍ، قاربَ حدَّ التشكيك بأنفسنا، وشكّك بقدرتنا على تصنيف بعضنا بعضاً، على أننا أمة تستحق الحياة.

وفي الختام تبقى الغاية الأهم، من أنواع من الدراسات والبحوث كهذه، هي الارتقاء بعقل القارئ الكريم، نحو

معرفة ما خَفي من تاريخه، خاصةً في المراحل المِفصَلية منه، والتي ضنَّت علينا معظم كُتب التاريخ، في تقديم إيضاحات عنها، إضافة إلى استقراء العِبر، وفهم الحاضر واستشرافٍ أفضل للمستقبل، والتي أرجو أن أوفَّق في تقديمها - العِبَر - بشكلٍ يُسهِّلُ على القارئ الوصول إليها.

وختاماً، لا يسعني إلا أن أقول: إن أجدتُ في ما قَدمتُ، ونلتُ شرفَ إعجابكم، فهذا هو المرتجى، وإن أخطأت فعلى عاتقي تقعُ كاملُ المسؤولية، فحسبي أنني حاولتُ، وعلى الله وعونه جُلُّ الاتكال.

صعوبات البحث

قَبلَ الدخول والبحث في عالم أواخر عـصر البرونـز الحـديث، وأوائل عصر الحديـد، أي الفـترة الانتقاليـة مـا بـين ١٣٠٠ - ١١٠٠ ق.م، تلك الفترة التي يكتنفهـا الكثـير مـن الغمـوض والـنقص في حجـم المعلومـات، واللُقـى الأثريـة والـرُقم والكتابـات، لا بـدَّ لنـا مـن أن نلقـي الـضوء عـلى بعـض الـصعوبات، التـي قـد تواجـه الباحـث في هكـذا أنـواع مـن الدراسات، لِما لها من أهمية وصعوبة بآنٍ معاً، لعلَّها تعطي هـذا البحث والباحث العُذر فيما لـو وَجَـدَ القـارئ الكـريم بعـض الغموض واللَّبْس، أثناء قراءته له.

أولاً: إن الفترة الزمنية - موضوع البحث - هي مـن الفـترات الزمنية الغامضة في التاريخ، لأن السويات الأثريـة التـي تعود إلى هذه الفترة، غالباً ما تكون مُخرَّبة، وغير واضـحة

المعـالم، إضـافة إلى طبقـة الـسواد المنتـشرة في معظـم الحفريات، التي تعود جغرافياً وتاريخيـاً إلى هـذه الفـترة، والتي عادة ما تدلُّ على حرائق عمَّت المنطقـة - موضـوع البحث - (الأناضول - ساحل بلاد الشام) ممـا يُـصعِّبُ عملية إيجاد كتابـات (رُقـم - أوراق بـردي - نقـوش... إلخ) تعود إلى تلك الآونة.

ثانياً: غياب الدراسات الجادَّة، ونقص المراجـع، التـي تحـدَّثت عن تلك الفترة الزمنية، فعـادة مـا تـرد المعلومـات - إن وُجِدت - على شكل تعليقات مُقتضبة حول تلك الفـترة الزمنية في هوامش الأبحاث فقط.

ثالثاً: التناقضات الكثيرة التـي تـصادفُ الباحـثَ بـين مرجـعٍ وآخر، إن وُجِدَت بعض التفصيلات حـول هـذه الفـترة الزمنية (موضوع البحث).

رابعاً: عدم وجود اتفاق حول التسميات الخاصة بتلك الشعوب، فهي تختلف بين مصدر وآخر.

خامساً: عدم وجود اتفاق حول تواريخ حكم قادة الدول، التي عاصرت تلك الأحداث، مما يُصعِّبُ على الباحث، إجراء المقارنات والتقاطعات التي عادةً ما يُجريها الباحثُ، وتُفيد في إيجاد نتائج، تُغني وتثبِّتُ، أو تلغي بعض المعلومات.

سادساً: امتداد هذه الغزوات على زمن طويل، وعبر مراحل مختلفة، فهي ليست غزوة واحدة، وإنما غزوات، جاءت على شكلِ تحركاتٍ سلميَّة تارةً، وحربية تارةً أخرى، وفي عدة اتجاهات، وعلى مدى زمني تجاوز الـ ٢٠٠ عام.

سابعاً: عدم وجود أسباب واضحة وجلية لهذه الغزوات، مما يُصَعِّبُ على الباحث استنتاج أسباب هذه التحركات، وذلك بالاعتماد على دراسات وأبحاث وُضِعَت بشكل غير مباشر، ولكنها قد تفيد في استنتاج أسباب هذه التحركات.

ولكــن وعــلى الــرغم مــن كــل هــذه الــصعوبات، وإيمانــاً مِنّا بضرورة كشف بعض حقائق التاريخ الغامـضة، وإن كنـت لا أدّعــي الوصــول إلى الحقيقــة الجليَّــةِ المُطلقــة، فــما هــي إلا مقاربات واستنتاجات قد توصـل إلى لوحـة شـبه واضـحة عن مرحلة زمنية من تاريخنا العربي، أعتقد بـضرورة دراسـتها، لِما لها من أهمية في قراءة التاريخ بشكل جيـد، واسـتنتاج العِـبر، علَّنا نُسقِطها على الحاضر، فَنُحسِن قراءتـه، ونُحـسِنُ الإعـداد لمستقبلٍ أفضل.

الفصل الأول

أوضاع المنطقة - موضوع البحث - عشية حدوث هذه الغزوات

عندما نتحدث عن المنطقة - موضوع البحث - فإننا نقصد بها المناطق التي تتعلق بهذه التحركات بشكل مباشر أو غير مباشر، ويأتي على رأسها: بلاد الرافدين، بلاد الشام، الساحل السوري (أوغاريت)، وادي النيل (مصر)، آسيا الصغرى - تركيا حالياً - (الدولة الحثية).

أولاً: الأوضاع في بلاد الرافدين

الدولة البابلية

إثرِ عصر الازدهار والقوة، الذي شهدته هذه الدولة، إبان حُكمها من قِبَلِ الملك الشهير حمورابي ١٧٩٢ – ١٧٥٠ق.م

عادت المملكة لتدخل دور الضعف، نتيجة وصول عدد من الملوك الضعفاء، ما أدى إلى سقوطها على يد الحثيين بقيادة ملكهم مورشيلي الأول عام ١٥٩٥ق.م الذين غادروا بابل مباشرةً بعد سقوطها، مُسَلِّمين الحكمَ فيها للكاشيين، والكاشيون هم جماعات (هندو - أوروبية) ظهرت في بلاد الرافدين، قبل سقوط بابل بوقت طويل، وقد حكم الكاشيون بابل نحو أربعة قرون، ما بين ١٥٩٥ - ١١٥٧ق.م وقد حكموها في بداية عهدهم بقوة، ولكن وبدءاً من عام ١٢٧٠ق.م دخلت بابل في دور الضعف والتراجع في القوة، بسبب التردي في الأوضاع السياسية والاقتصادية والصراعات الداخلية، نتيجة وصول حكام ضِعاف بدءاً من كودور إنليل الأول ١٢٦٤ - ١٢٥٥ق.م وقد كان للهجوم العيلامي الكبير على بابل في السنوات الأخيرة من حكم كاشتيلياش الرابع ١٢٤٢ - ١٢٣٥ق.م إضافة للأعمال العدائية التي قام بها الملك الآشوري توكوليتي نينورتا الأول ١٢٤٤ - ١٢٠٨ق.م، الدور الكبير في إضعاف هذه الدولة، إلى حين سقوطها الأخير على يد العيلاميين عام ١١٥٧ق.م بقيادة

ملكهم كودور ناخونتي، وذلك على الرغم من الصحوة المتأخرة لبابل، إثر تراجع قوة آشور بعد اغتيال توكولتي نينورتا الأول ١٢٤٤ -١٢٠٨ق.م.

الدولة الآشورية الوسطى

بعد عصر القوة الذي شهدته آشور إبان حكمها من قِبَل شمشي أدد الأول ١٨١٥ -١٧٨٢ق.م عادت الدولة الآشورية القديمة لتدخلَ دور الضعف، وتدخل تحت هيمنة الدول القوية المجاورة، وعلى رأسها الدولة البابلية (الكاشية) والدولة الميتانية، إلى حين أعاد آشور أوباليط الأول ١٣٦٥ -١٣٣٠ق.م وخلفاؤه عصر القوة الآشورية، فيما عُرِفَ لاحقاً بـ الدولة الوسطى، حيث تخلَّصت من نير (حوري - ميتاني) لتدخلَ بعدها عصر القوة، وخاصة على يد الفاتحين الكبار أمثال: شلمانصَّر الأول ١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م وتوكولتي نينورتا الأول ١٢٤٤ -١٢٠٨ق.م الذي مدَّ السيطرة الآشورية من نهر الزاب الأسفل في الشرق، حتى الفرات في الغرب، وأورارتو في الشمال، لكن آشور وبعد اغتيال توكولتي نينورتا الأول، مرَّت بفترة من الضعفِ، دامت

نحو قرن من الزمن، عادت خلالها بلاد بابل إلى سيادة الحلبة في بلاد الرافدين، إلى أن عادت آشور للظهور ثانية بعد دمار بابل عام ١١٥٧ق.م واستلام آشور ريش إشي العرش ما بين ١١٣٣ - ١١١٧ق.م وبشكلٍ خاص مع وصول أشهر وأقوى ملوك آشور في الدولة الوسطى تجلات بليصر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ق.م[١] الذي كان له شأن كبير في ردِّ بعض تحركات ما تبقى من قبائل شعوب البحر عن بلاد الرافدين، كما سنرى لاحقاً.

ثانياً: الأوضاع في بلاد الشام

شهدت بلاد الشام صراعاً مريراً ما بين الدولة المصرية والدولة الحثية، من أجلِ السيطرة عليها، وخاصة بعد قضاء شوبيلو ليوما الأول ١٣٨٠ - ١٣٤٦ ق.م إمبراطور الحثيين على الدولة الميتانية عام ١٣٥٠ ق.م، وقد كانت ذروة هذا الصراع في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م مع المصريين، التي سنأتي على ذكرها لاحقاً.

---

(١) عيد مرعي، وفيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي القديم - بلاد الرافدين، دمشق، ط ٤، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م، ص ٢٧٧ وما قبلها، ٣٠٨ وما قبلها.

وفي هذه الفترة شهدت بلاد الشام، وخاصةً في أطراف البادية السورية، ولاسيما المناطق القريبة من (جبل بشري) انتشار قبائل الأخلامو، وهم القسم الأكبر والأقوى من القبائل الآرامية، التي انتشرت ما بين مناطق الفرات الأوسط وحتى كركميش (جرابلس حالياً) بدءاً من القرن السابع عشر قبل الميلاد.

وقد بدأت القبائل الآرامية بالانتشار والاستقرار في انتظار الفرصة المواتية لها، من أجل بناء ممالك وإمارات لها، عن طريق تشكيل ضغوط ديموغرافية حيناً، وعسكرية أحياناً، على دول الجوار، إلى أن واتتها الفرصة في بناء أولى ممالكها في أوائل الألف الأول قبل الميلاد، فقد شَهِدَ مطلع القرن العاشر قبل الميلاد، ظهور كيانات سياسية آرامية متميزة في مناطق الجزيرة السورية، ثم في جميع المناطق السورية[1].

كما نشأت في هذه الفترة من النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، مملكة أمورو نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد امتدت من ساحل البحر المتوسط في الغرب إلى سهول

---

(١) فاروق إسماعيل: اللغة الآرامية القديمة، جامعة حلب، ٢٠٠١م، ص٩.

حمص في الشرق، ومن أوغاريت في الشمال، إلى جبيل في الجنوب، وقد قدمت لنا رسائل تل العمارنة[1] الكثير من المعلومات عن هذه المملكة[2]، التي لعبت دوراً بارزاً في الصراع الدولي، ما بين الحثيين في الشمال، والمصريين في الجنوب.

---

(١) يقع تل العمارنة جنوبي مدينة المنيا المصرية بنحو ٥كم، على البر الشرقي لنهر النيل، وهو يضمُّ في طياته آثار مدينة (آخت آتون) التي أمر ببنائها الملك أمنحوتب الرابع (أخناتون) ١٣٦٧ - ١٣٥٠ق.م، ويبعد التل نحو ٣٢٠كم شمال مدينة طيبة، وفي عام ١٨٨٧م، تمَّ العثور على الرُّقم الطينية، وهي عبارة عن الرسائل المُتبادلة بين ملوك مصر، أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ق.م وأمنحوتب الرابع (أخناتون) مع ملوك كبرى ممالك الشرق القديم (ميتاني، حاتوشا) وملوك آشور وبابل وأرزاوا وألاشيا (قبرص)، وملوك وحكام كانوا يحكمون مدناً في بلاد الشام (سورية، لبنان، فلسطين، الأردن) التابعة للسيادة المصرية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد بلغ عدد هذه الرقم ٣٨٢ (رقيماً) وهي عبارة عن ٣٥٠ رسالة، والباقي نصوص متفرقة مختلفة الموضوعات، وهي مدوَّنة بالكتابة المسمارية، واللغة الأكادية (اللهجة البابلية الوسيطة)، انظر كتاب / مراسلات العمارنة الدّولية، د. فاروق إسماعيل.

(٢) عيد مرعي: تاريخ سورية القديم (٣٠٠٠ - ٣٣٣ق.م)، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م، ص١٤٥.

فقد لعب ملوكها وعلى رأسهم عبدي عشيرتا ١٣٨٠ - ١٣٤٥ق.م وابنه عزيرو ١٣٤٥ - ١٣١٥ق.م دوراً بارزاً في ذلك الصراع، حيث كانوا يُجيدون اللّعبَ على السياسةِ الدولية، ما بين موالين للسلطة في العاصمة الحثية حاتوشا من جهة، وفي الوقت نفسه إرضاء السلطة الإمبراطورية في مصر من جهة أخرى، كما أنهم شكَّلوا خطراً على معظم ممالك وإمارات سورية الجنوبية الموالية لمصر، وقد وقف ملوك مملكة أمورو إلى جانب الحثيين في معركة قادش ١٢٨٥ق.م.

أما عن بقية إمارات وممالك سورية (قادش - جبيل - قطنة - نيا - نوخاشي... إلخ) فقد تراوحت في ولائِها ما بين الحثيين والمصريين، إلى حين توقيع معاهدة السلام الشهيرة ما بين الحثيين والمصريين، والتي على أثرها عمَّ السلام في سورية لأكثر من ٦٠ سنة، إلى حين قدوم جحافل شعوب البحر، هذه المعاهدة التي قسَّمت سورية على الخط الوهمي المُمتد من جبيل على الساحل السوري إلى دمشق في الداخل، فكانت المناطق التي تقع شمال هذا الخط تابعة للدولة الحثية، والمناطق التي تقع جنوبه تابعة للدولة المصرية.

الأوضاع في أوغاريت

حكم أوغاريت في عصر ازدهارها الكبير، في أواخر عصر البرونز الحديث ١٤٠٠ - ١٢٠٠ق.م، سبعة أو ثمانية ملوك، كان أولهم المدعو نيقمادو الثاني ١٣٧٠ - ١٣٣٥ق.م وقد عاصر الإمبراطور الحثي شوبيلو ليوما الأول، وعزيرو ملك أمورو، وقد كانت مملكة أوغاريت قويةً اقتصادياً، لكنها ضعيفة عسكرياً، وهو السبب الذي جعلها تعقِدُ معاهدة صداقة مع عزيرو ملك أمورو، ومعاهدة أخرى مع الإمبراطور الحثي السالف الذكر، نصَّت المعاهدة على تقديم أوغاريت جزيةً سنوية للملك الحثي، مؤلَّفةً من كمية محددة من الذهب وملابس وأصواف أرجوانية للملك والملكة الحثيين، مُقابلَ قيام الملك الحثي بحماية أوغاريت من اعتداءات جيرانها عليها، وعلى رأسهم: مملكة موكيش (آلالاخ)[1] في الشمال، و(نوخاشي) في الشمال الشرقي، و(نيا) في الشرق.

وقد استمرت أوغاريت في ولائها للحثيين إلى حين سقوطها على يد شعوب البحر، كما أنها وقفت إلى جانب الحثيين في معركة

---

(١) تل العطشانة، في سهل العمق، في لواء إسكندرون السليب.

قادش، وقد بقيت علاقاتها مع مصر وديَّة في عهد (حور محب) ورعمسيس الثاني ومرنبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ق.م، إلى حين سقوطها، ففي عهد آخر ملوكها المدعو عمورابي ١٢١٠ - ١١٩٠ق.م الذي يبدو أنه، وبحسب نصوص أوغاريت، لم يكن ابناً للملك السابق إيبرانو ١٢٣٠ - ١٢١٠ق.م، وقد عاصر هذا الملك آخر الملوك الحثيين شوبيلو ليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩١ق.م، ونائبه في كركميش (جرابلس حالياً) تالمي تيشوب[١].

لقد غدت أوغاريت وخاصة بعد معاهدة الصلح الحثية المصرية، أكبر ميناء لتصدير البضائع في الساحل السوري الشمالي، وهو بوابة منطقة العمق وسورية الشمالية إلى العالم الإيجي (كريت - ميكيني) وجزيرة قبرص، وقد كانت لأوغاريت علاقات جيدة مع كيليكية الواقعة، تحت السيطرة الحثية، ويبدو أن المملكة الأوغاريتية كانت تمتد إلى الداخل شرقاً، وعلى الساحل نحو الجنوب، لكننا لا نستطيع تحديد حدودها بدقة[٢].

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٩.

(٢) محمد حرب فرزات: موجز في تاريخ سورية القديم، دمشق، ط١١، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م، ص ١٠٤.

ثالثاً: الأوضاع في وادي النيل (مصر)

كان تحوتمس الثالث ١٤٦٨ - ١٤٣٦ق.م أحد أعظم ملوك الأسرة الثامنة عشرة في الدولة المصرية الحديثة ١٥٧٥ - ١٠٨٧ق.م، قد اتبع سياسة التوسع العسكري في إخضاع سورية، فبعد انتصاره الكبير في معركة مجدو ١٤٦٧ق.م على التحالف المؤلف من الإمارات السورية الممتدة من الجنوب، وحتى نهر الفرات في الشمال، وبدعم من المملكة الميتانية، وبقيادة ملك قادش، قد استطاع بسط سيطرته على معظم الأراضي السورية بما فيها الجزء الأكبر من الساحل السوري، كما وصل إلى الضفة اليسرى للفرات، بعد دخوله أراضي الدولة الميتانية في حملته الثامنة، حيث فرَّ الملك الميتاني من أمامه، مؤسساً بذلك إمبراطورية مصرية ممتدة الأرجاء.

وقد حافظ خَلَفهُ وابنه أمنحوتب الثاني ١٤٣٦ - ١٤١٣ق.م على دولتهِ، قويةً مرهوبة الجانب، وعلى معظم الأراضي السورية، وكذلك الأمر في عهد تحوتمس الرابع ١٤١٣ - ١٤٠٥ق.م، ولكن مصر لم تبلغ الذروة إلا في عهد أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ق.م لكنها للأسف بدأت بالضعف مع سنوات حكمه

الأخيرة، وخاصة مع وصول أمنحوتب الرابع (أخناتون) ١٣٦٧ -١٣٥٠ق.م، إلى السلطة، وقيامه بحركة الإصلاح الديني، ما أدى إلى انشغاله بمصر، وبصراعه مع كهنة آمون، وبالتالي إلى إهماله للشؤون السورية، وقد قدَّمت نصوص رسائل تل العمارنة العشرات من الرسائل التي تُظهر مدى تخلي هذا الملك عن المناطق التابعة له في سورية، وإهماله الكبير لنداءات الاستغاثة الكثيرة، التي كانت تَرِدهُ من قِبَلِ المناطق التابعة له في سورية، خاصةً نداءات الاستغاثة المتكررة، التي وردته من إمارات جبيل وبيروت... إلخ، في الوقت الذي استطاع فيه شوبيلو ليوما الأول القضاء على الدولة الميتانية نحو العام ١٣٥٠ق.م. ومدَّ نفوذه نحو الجنوب في سورية، على حساب السيطرة المصرية.

ومع دخول الأسرة التاسعة عشرة ووصول الرعامسة إلى حكم مصر، عادت مصر لتستعيد شيئاً ما من قوتها، وخاصة مع وصول رعمسيس الثاني ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م الذي دخل في«حربٍ باردةٍ» مع الحثيين، بداية من أجل كسب أكبر قدرٍ من ولاءات الإمارات والممالك السورية، إلى أن جاء الصدام

العسكري المُرتقب في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م بين رعمسيس الثاني ومواتالي ١٣٠٦ - ١٢٨٢ق.م الملك الحثي، لكن، ومع حدوث بعض المتغيرات الدولية، وخاصة بروز القوة الآشورية (الدولة الوسطى) وبوادر تحركات ما يسمى بـ (شعوب البحر)، إضافةً إلى بعض التحركات التي قامت بها بعض الشعوب في آسيا الصغرى، مُستَغِلةً بوادر الضعف التي حلَّت في الدولة الحثية، كما بدأت مصر تتعرض لبعض التحرشات من الجانب الغربي، ومع كل هذه المتغيرات، لجأت الدولتان العظميان (مصر وخاتي) إلى توقيع معاهدة الصلح عام ١٢٦٩ق.م بين الدولتين، التي جعلت كلاً منهما تتفرغ لمشاكلها الداخلية والخارجية.

ومع وصول مرنبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ق.م إلى الحكم، زاد الضغط على الدولة المصرية، وخاصة مع زيادة التحرشات، التي قامت بها بعض شعوب البحر المُتحالفة مع بعض قبائل ليبيا، والتي سنأتي على تفصيلها لاحقاً.

وبعد فترة من الضعف، بسبب وصول عددٍ من الملوك الضعفاء، وصل رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ق.م ليضعَ

حداً لتحركات شعوب البحر القادمة عبر الأراضي الليبية، وليوجِّهَ لهم الضربةَ القاصمة في معركة زاهي، والتي سنأتي على ذكر تفاصيلها لاحقاً[1].

رابعاً: أوضاع الدولة الحثية

اعتاد علماء آثار وتاريخ غرب آسيا القديم، أن يطلقوا على القبائل التي كانت تقطن في أواسط آسيا الصغرى خلال عصور ما قبل التاريخ اسم ما قبل الحثيين، ويقولون أيضاً: إن هذه القبائل لا تمت بصلة قربى إلى الحثيين، الذين شكلوا بعد قرون مديدة جزءاً من هجرة ما تعرف بـ (الشعوب والقبائل الهندو آرية) ويُعتقد أن القبائل الحثية استوطنت بعض مناطق آسيا الصغرى في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت تربطها صلات قربى قوية بقبائل الكنتوم التي كانت تقطن البلقان، وهذا دليل على أنهم نزحوا من هذه المناطق إلى منطقة حوض منعطف نهر (الهاليس) في أواسط آسيا

(١) محمود عبد الحميد أحمد: دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، دمشق، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م، ص ٢٢٣ وما قبلها.

الصغرى، وهناك رأي آخر يقول: إنهم نزحوا إلى أواسط آسيا الصغرى من المناطق الشمالية الواقعة على سواحل البحر الأسود.

وبعد صراع مع الآشوريين، الذين كانوا قد أقاموا لهم مستوطنات في منطقة كبادوكيا، والذين نشروا سيادتهم الاقتصادية على البقاع التي أصبحت تُشكل موطن القبائل الحثية التاريخي، وفي مقدمتها منطقة (كانيش).

لقد استطاع الحثيون، بعد زمنٍ تشكيل دويلات مدن في الأناضول، كان أشهرها (كوشّار) و(نيشا) و(زالباونيشا) و(خاتّوشا) وهي بوغازكوي الحالية، وكذلك (بورشخاندا) وقد أدى ذلك إلى نشوب حروب بين هذه الدويلات، أدت إلى تشكيل أول مملكة حثية متحدة على أنقاض هذه الدويلات، وذلك في القرن التاسع عشر قبل الميلاد[1].

---

(١) توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور حتى عام ١١٩٠ ق.م، الشرق الأدنى القديم «بلاد ما بين النهرين / بلاد الشام»، دار دمشق للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

وقد مرَّ الحثيون بتاريخهم بمرحلتين رئيستين، تفصل بينهما فترة من الضعف والتفكك والصراعات الداخلية:

١ - المملكة القديمة.

٢ - فترة الضعف.

٣ - المملكة الحديثة (الإمبراطورية) ١٤٠٠ - ١٢٠٠ق.م، وقد أسسها الملك العظيم شوبيلو ليوما الأول ١٣٨٠ - ١٣٤٦ق.م[١].

لا نعلم أخباراً مفيدة عن النصف الأول من عهد تودخاليا الثالث؟ - ١٣٨٠ق.م، الذي يبدو أن وحدة البلاد قد تمزقت في عهده، إذ نشبت ثورات في أطرافها الشمالية، قادها الكشكيون (الكاز كاز)[٢]، الذين سيكونون في عِداد الشعوب،

---

(١) بشير زهدي: الحثيون، بحث في الموسوعة العربية، المجلد الثامن، هيئة الموسوعة العربية، سورية، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٤٥.

(٢) الكازكاز Gas gas أو الكشكيون: شعب كان يقيم في الشمال الشرقي من البلاد، وفي أعالي نهر الهاليس وشمالي الفرات، ويُعدّ من أبرز القبائل المحاربة، وكان أبناؤه يربون الأبقار والأغنام ويعنون بزراعة الكروم وتصنيع الخمور، وقد نظر الحثيون إليهم نظرةً دونيةً ووصفوهم بـ (نساجي الكتان).

التي ستسهم في دمار العاصمة الحثية حاتوشا، وكذلك الأزيون في المناطق الشمالية الشرقية، وقد سيطروا على المناطق الجبلية القريبة من العاصمة حاتوشا[1]، كما انطلق الجيش الأرزاوي من الجنوب الغربي، وسيطر على سهل ليكاوني[2]، ووصل حتى توانّوا[3]، ومع عجز الملك عن إعادة الاعتبار لمملكته - بسبب إصابته بالمرض - اعتمد على القادة العسكريين في الدفاع عن حدوده، فقد تمكَّن أحد القادة العسكريين المدعو (كنتوزّيلي) من إبعاد الكشكيين إلى جهات أرزيّا (حالياً كيسرى) وسيطر على الضفاف الجنوبية لنهر الهاليس، ولكن قائداً كشكياً يُدعى (توتوّ) سار بجيشه، بعد زمن قصير، ووصل حتى سَلّابا[4]، وأحرقها بالنار[5].

---

(١) بوغازكوي الحالية، شرقي أنقرة.

(٢) شمال شرقي مدينة قونية.

(٣) حالياً بور قرب مدينة نفذة.

(٤) سلمه حالياً، جنوبي مدينة نوشهر.

(٥) فاروق إسماعيل: مراسلات تل العمارنة الدولية - وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق.م / سلسلة دراسات آثارية (٤)، دار إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠١٠م، ص ٤١.

ومـع وصـول شـوبيو ليومـا الأول ١٣٨٠ - ١٣٤٦ق.م، الذي يُعدُّ من أعظم ملوك الحثيين، والذي استطاع القضاء على الدولة الميتانية نحو ١٣٥٠ق.م وإخضاع معظم مناطق سورية، وخاصة الشمالية منها، لسيطرته، كما أنه استطاع تحرير العاصمة من احتلال مفاجئ ومُدمِّر حققه الأزّيون والكشكيون، الـذين أحرقوا وقتلوا خلاله كثيراً من القادة العسكريين، كما تمكَّن من السيطرة على القسم الغـربي مـن منعطـف نهـر الهـاليس، وقـد تواصلت معاركه مع الكشكيين إلى أن أرغم قـسماً كبـيراً مـنهم على رمي السلاح والاستسلام[١].

ومرة أخرى استطاع شوبيو ليوما الأول ردَّ هجمات شعوب (الكاز كاز) الذين هـاجموا الأراضي الحثيـة في (بـالا)[٢]، فبعـد وجودهم هناك لمدة ٢٠ سـنة، قـرر بنفـسه الـذهاب لحـربهم، حيث وافته المنية هناك، نحو ١٣٤٦ ق.م[٣]، وقد حافظ خلفاء

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٢) تقع بالا إلى الشمال الشرقي من حاتوشا.

(٣) صفيّة سعادة: أوغاريت، مؤسسة فكر للأبحاث والنـشر، بـيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص ٥٨.

شوبيلو ليوما الأول الأقوياء، وعلى رأسهم (مورشـيلي الثـاني) و(مواتالي) ١٣٠٦ - ١٢٨٢ق.م، وخاتوشيلي الثالـث ١٢٧٥ - ١٢٥٠ق.م الـذي وقَّـع معاهـدة الـصلح مـع المـصريين، وحافظوا على قوة الدولة، وصـدوا معظـم هجـمات الـشعوب المحيطة بالعاصمة حاتوشا.

وقبل وفاة تودخاليا الرابع ١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م أقدم ملك (أخياوا) (أكاي) على غزو الأراضي الحثية من الغرب، واستولى على أرزاوا، وقد ترافقت الاضـطرابات في الغـرب، مـع تلـك الآتية من الشرق، وسرعان ما وجدت حاتوشا نفسها مُحـاصرة بالأعداء من جميع الجهات: آشور في الجنوب، القبائـل البربريـة في الشمال، وشعوب البحر الآتية من الغرب(١).

إضافة إلى كل ما سبق، فقد أصيبت عدة مناطق من المملكـة الحثية بحالةٍ من العوز، وذلك بـسبب الجفـاف الـذي أصـابها، حيث أصبحت المملكة بحاجةٍ إلى القمح لإنقاذها من المجاعة، وأصبح على الممالـك التابعـة لهـا كــ مملكـة مـوكيش (آلالاخ)

(١) المصدر نفسه: ص ٩٨، ١٠٣.

وأوغاريت، التابعتين لها، تزويدها بالقمح[1]، كما أقدم المصريون في عهد مليكهم مرنبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م على تزويدها بالقمح أيضاً، فقد أثبتت نقوش جدران معبد الكرنك في مصر، قيام مرنبتاح بإرسال المساعدات الغذائية إلى الحثيين.

وقد حارب آخر ملكين حثيين أرنووانداش الثالث وشوبيلو ليوما الثاني اللذين حكما حاتوشا ما بين ١٢٢٠ - ١١٩١ ق.م زمن سقوطها أمام الموجات الأولى لشعوب البحر[2] وسوف نأتي على تفصيل كل ذلك لاحقاً.

خامساً: معركة قادش

لقد خضعت منطقة الشرق العربي القديم لأقوى إمبراطوريتين عظميين، حكمتا المنطقة بشكل متوازٍ، الإمبراطورية الحثية في آسيا الصغرى، والإمبراطورية المصرية في وادي النيل، وبسبب توازي

---

(١) قاسم الشوّاف: أخبار أوغاريتية وموسيقا من أوغاريت - أقدم موسيقا معروفة في العالم، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٩م، ص٨١.

(٢) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ٩٨، ١٠٣.

القوتين، فقد لجأتا إلى ما يشبه«الحرب الباردة» منذ بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومع وصول مواتالي ١٣٠٦ -١٢٨٢ق.م - الإمبراطور الحثي - إلى السلطة، ورعمسيس الثاني ١٢٩٠ - ١٢٢٤ق.م ملك مصر، بدت الأمور وكأنها مُتجهة نحو صدام عسكري وشيك، وذلك بغية تحسين مواقع كلٍّ منهما في انتظار المتغيرات الدولية القادمة، وعلى رأسها بروز قوة آشور (الدولة الوسطى) وبداية تحركات ما يسمى بـ (شعوب البحر).

فقد ساد الحثِّيون القسم الشمالي من سورية، وبقي القسم الجنوبي تحت السيادة المصرية، وكان الخط الوهمي الفاصل بين المنطقتين، يمرُّ من منطقة حمص في الداخل، ومدينة جبيل على الساحل، وقد حاول كلُّ طرفٍ أن يوسِّع منطقة نفوذه على حساب الطرف الآخر، وقد بلغ الصراع ذروته عندما التقى الجيشان الحثي والمصري قرب مدينة قادش المُحصَّنة، وذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة، وقد حدثت المعركة في العام الخامس من حكم رعمسيس الثاني، أي نحو ١٢٨٥ق.م[1].

(١) عيد مرعي: تاريخ سورية القديم، مرجع سابق، ص١٨١.

وقد انقسمت الإمارات والممالك السورية بين الطرفين المتنازعين، وعلى الأغلب بحسب توزع مناطقهم جغرافياً.

وفي الحقيقة، فإن المعركة لم تكن حاسمة، والرأي الغالب، هو أن المعركة انتهت بتراجع الطرفين، ومن ثمَّ بدأت مفاوضات الصلح بينهما بعد ذلك[1].

سادساً: المعاهدة الحثية المصرية ١٢٦٩ق.م

لقد شهدت الفترة الزمنية، ما بين نهاية الحرب التي لم تكن حاسمة في قادش، تطورات دفعت الطرفين إلى اللجوء لتوقيع معاهدة السلام بينهما، وقد كانت دوافع المصريين لتوقيع المعاهدة:

١ - حدوث عدة تمردات في سورية، وخاصة في منطقة فلسطين، وإعادة السيطرة المصرية على الساحل الفينيقي، واستعادتها جزءاً من أمورو[2].

---

(١) عبد العزيز عثمان: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٦م، ص ٤٦٥.

(٢) عيد مرعي: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ١٨٣.

٢ - إن ظهور بعض القبائل في الجيش الحثي، أثناء معركة قادش، وخاصة قبائل: لوقش - قشقش - ميشويش، الذين قطنوا آسيا الوسطى، وهم من قبائل شعوب البحر[1]، التي سوف يكون لها الأثر الأكبر في قادم الأيام، هو الذي لعب الدور الأبرز في توقيع المعاهدة.

٣ - ظهور بوادر لبعض التحركات على حدود مصر الغربية (ليبيا).

أما عن دوافع الحثيين لتوقيع هذه المعاهدة، فقد تجلَّت بما يلي:

١ - الخلافات التي ظهرت نتيجة الصراع على العرش الملكي، إثر موت مواتالي، ما أدى إلى ضعف الدولة.

٢ - زيادة الضغط على حاتوشا، بسبب تحركات القبائل التي تقطن شمالها، وشرقها.

٣ - بداية التغيرات المُناخية، التي أدت إلى نقص واردات الدولة، والتي أدت إلى نقص دعم الجيش، ما أدى إلى ضعف الدولة.

---

(١) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص٨١.

أما عن الدوافع المشتركة للبلدين معاً، لتوقيع المعاهدة، فهي:

١ - رغبة الطرفين في التفاهم على إيقاف التوسع الآشـوري المتعاظم.

٢ - تـشجيع النـشاط التجـاري للـدول الكنعانيـة المواليـة للطرفين، بعد ركوده إثـر اضـطراب التجـارة البحريـة، جرَّاء تحركات الشعوب في شرقي المتوسط.

٣ - ظهور طلائع شعوب البحر الأبيض المتوسط، وتقدمها نحو السواحل الشرقية له، مهددة الإمبراطورية الحثيـة، والسواحل السورية، ومصر[1].

وللأسـباب الـسالفة الـذكر، فقـد عُقـدت معاهـدة سـلام وصداقة بين الحثيين والمصريين في العام الحادي والعشرين مـن حكم رعمسيس الثاني، أي نحو العام ١٢٦٩ق.م، وقد وقَّعهـا عن الطرفين، كلٌّ من: رعمسيس الثاني، عن الجانـب المـصري، وخاتوشيلي الثالث عن الجانب الحثي، وتُعَدُّ هذه المعاهدة، مـن أهم وأقدم المعاهدات عبر التاريخ.

---

(١) محمد حرب فرزات: موجز تاريخ، مرجع سابق، ص ١٤٨.

وقـد وُجِـدت نـصوص هـذه المعاهـدة مكتوبـةً بـالخط الهيروغليفي على لوحـة مُثبَّتـة أمـام جـدار في معبـد الكرنـك، أما المصدر الحثي عن هذه المعاهدة، فيتـألف مـن رقيمـين مـن الطين، مكتوبين بـالخط المـسماري واللغـة البابليـة، ومـن أهـم نصوص المعاهدة:

١ - قيام حلف هجومي دفاعي بين الطرفين.

٢ - اسـتمرار مفعـول المعاهـدة، حتـى بعـد مـوت أحـد المتحالفين، فلا يُهاجم طرفٌ أملاك الطرفِ الآخر.

٣ - تقديم المساعدة في حالة تعرّض أحد الطرفين لهجوم من طرفٍ ثالث.

٤ - تسليم اللاجئين إلى أيٍّ مـن الطـرفين، عـلى ألا يُعـاملوا كمجرمين عند عودتهم[1].

وقد ضمَّت المعاهدة عدة قضايا مختلفة، لكننـا أوردنـا فقـط هذه«البنود» التي تؤكِّد عنـد قراءتهـا مليَّـاً، أن ثمَّـةَ هـواجس

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢١٢.

مشتركة لدى الطرفين، دفعتهما إلى توقيع هذه المعاهدة، وهذا ما تحقق لاحقاً، عند قدوم جحافل شعوب البحر في أواخر القـرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وقد أعاد توقيع المعاهدة الهدوء إلى دول وممالك غرب آسيا، وخاصةً بعد تقسيم مناطق النفوذ في بلاد الـشام بـين الـدولتين العظميين الحثية والمصرية[1]، وقد تُوِّج هذا الازدهار في العلاقـة بـين الطـرفين بـالزواج المُحتفـى بـه، بـين ابنـة خاتوشـيلي الثالـث الحثـي، ورعمـسيس الثـاني، والـذي أدّى إلى تمتـين العلاقات على الصعيد العائلي[2]، ولم تعكِّر صـفو هـذا الهـدوء، سوى الهجمات العسكرية الآشورية بـين الحـين والآخـر، ضـد منـاطق النفـوذ الحثيـة في الأراضي الميتانيـة الـسابقة، وشـمال سورية. لكن الصراع في مناطق غـرب آسـيا، كـان ينبـع دومـاً من داخلها، وذلك على مدى أربعة قرون قبل عام ١١٩٠ق.م،

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص٣٨٦.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم، ت. علي خليل، دار الرأي للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ص ٢٠٩.

إذ كانت المناطق الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى ومرتفعات الهضبة الإيرانية، تُشكِّلُ دوماً موطِنَ القبائل التي تزرعُ الخراب في مناطق غرب آسيا المُتحضرة، قبيل وصول هجمات الشعوب البحرية، التي تحالفت معها لزرع الخراب والدمار في غرب آسيا وبلاد الشام، كما أنها هددت مصر عن طريق البر والبحر(١).

---

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص ٣٨٦.

الفصل الثاني

غزوات شعوب البحر

هي عبارة عن تحركات لشعوب وقبائل جنوب شبه جزيرة البلقان، وأرخبيل جزر بحر إيجة، وبعض جزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وذلك لأسباب تتعلق بالضغط الديموغرافي (السكاني) الذي نجمَ عن تراكمِ تحركاتٍ لشعوبٍ أتت من شمال، وشمال شرق أوروبا، لأسباب مُناخية وغير مُناخية (حروب - صراعات قَبَليّة... إلخ) أدت إلى هذه التحركات، وفي اتجاهات مختلفة في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وقد أدّى تحركها ووصولها إلى بعض المناطق (آسيا الصغرى - ليبيا) إلى تحركِ بعض قبائل وشعوب هذه المناطق، التي كانت أساساً تنتظر الفرصة المناسبة للانقضاض على المراكز الحضارية (حاتوشا - مدن الساحل السوري - مصر -

كريت) وقد جاءتها الفرصةُ المناسبة مُستَغِلَّة بعض الصعوبات التي كانت تُعاني منها تلك المراكز الحضارية، من صراعاتٍ داخلية وجفاف وضعف، إضافة إلى تلك التحركات البحرية، فاشتركت معها في تحرُّكِها، ما شكَّلَ تحركات كبيرة، استمرت لأكثر من قرنين من الزمن، لكنها لم تكن على وتيرة واحدة، فكانت تتراوح ما بين هجمات بسيطة وسلميَّةٍ حيناً، وبين هجمات كبرى، اجتاحت مناطق واسعة تابعة للدول المتحضرة، فأدت إلى زوال دول وممالك بأسرها (حاتوشا - أوغاريت - آلالاخ... إلخ) وخراب أخرى لفترة من الزمن (جبيل - صيدا - صور) أحياناً أخرى، إلى أن استطاع رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ق.م إيقافها في معركة برية بحرية نحو ١١٩٠ - ١١٨٩ق.م وكذلك فعل من بعده تجلات بليصر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ق.م الآشوري، وقد أدخلت هذه التحركات منطقة الساحل السوري، وعلى مدى أكثر من ٢٠٠ سنة في فترة من الخراب والاضطرابات وعدم الاستقرار (عصر الظلمات)، وذلك حتى مطلع الألف الأول قبل الميلاد، حيث عادت دول وممالك الساحل السوري لتستقر من جديد، فيما بدأت تتشكَّلُ ممالك

وإمارات الآراميين في أواسط وشمال، وجنوب بلاد الشام، وسوف نأتي على تفصيل كل ما ذكرناه سابقاً.

أسباب تحركات شعوب البحر

هناك أسباب متعددة أدت إلى هذه التحركات، استطعنا حصرَ خمسة منها، ونترك للأبحاث القادمة، تقديم المزيد، وهي:

١ - المتغيرات التي حدثت في أوروبا.

٢ - الأسباب السياسية.

٣ - الأسباب الاقتصادية.

٤ - الأسباب العرقية.

٥ - وجود بعض القبائل المُتدنية حضارياً على أطراف المراكز الحضارية.

أولاً: المتغيرات التي حدثت في أوروبا

يذهبُ بعض المؤرخين الحديثين إلى أن هناك شعوباً بدأت تُهاجر إلى جنوب شبه جزيرة البلقان، التي سُمِّيت فيما بعد بلاد اليونان، وإلى أرجاء بحر إيجة، وبعض سواحله في الشمال

والشرق، وذلك بدءاً من نحو عام ٢٥٠٠ - ٢٠٠٠ق.م، وذلك استناداً إلى بعض النصوص المصرية القديمة، التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، التي تذكر من بين (شعوب البحر) اسمي (دانا - وونا) و(آقايوشة)، اللذين لا يصعبُ علينا إرجاعهما إلى الأصل اليوناني، فنرى أنهما يُشيران إلى قبائل (الدانائيين) و(الآخائيين).

ففي نحو ١٩٠٠ق.م تقريباً، بدأت تدخل شبه جزيرة البلقان أقوام جدد، لا نعرف من أين أتت على وجه اليقين، ولعلهم وفدوا من منطقة حوض الدانوب (سهل المجر) أو شمال أوروبا الشرقي، أو من منطقة أبعد من ذلك، من شرق بحر قزوين، أو أواسط آسيا، وهي منطقة شديدة البرودة، وبعيدة عن البحر، ثم دخلوا شبه جزيرة البلقان، من شمالها، أو من خلال سواحلها الشرقية. حتى إننا لا نعرف الاسم الذي كانوا يطلقونه على أنفسهم عند مجيئهم إلى شبه الجزيرة، لكننا نعرف أنهم كانوا ينتمون إلى أسرة الشعوب «الهندو أوروبية»، وأنهم كانوا قوماً مُحبين للقنص والفروسية والقتال، ويحملون أسلحة مصنوعة من البرونز، ولعلَّ الدمار الذي لَحِقَ بعددٍ كبيرٍ

من المراكز العمرانية في أواخر العصر الهللادي[1] القديم ٢٥٠٠ - ١٩٠٠ق.م وشَمَلَ منطقة واسعة، تمتد من غرب شبه الجزيرة، إلى إرجوليس، يرتبط بمجيء هؤلاء الأقوام.

وأغلب الظن أنهم لم يقتحموا البلاد كغزاة دفعة واحدة، بقدر ما دخلوا متسللين في أفواج متعاقبة، وإن هجرتهم استغرقت زمناً طويلاً جداً امتدَّ من ١٩٠٠ق.م تقريباً حتى سنة ١١٠٠ق.م.

وقد طغوا على السكان القدامى، وإن تأثروا بحضارتهم، لكنهم أصبحوا الطبقة الحاكمة، بفضل تفوقهم في التنظيم العسكري والفروسية وفنون القتال.

ففي عام ١٥٥٠ق.م أصبح سكان شبه الجزيرة (البلقان) خليطاً من سلالتين:

١ - الهندو - أوروبيين القادمين الجدد.

٢ - البلاسكي (البلاسجي) سكان البحر الأبيض المتوسط الأصليين، والذين سوف نأتي على ذكرهم لاحقاً.

---

(١) الهللادي، مصطلح علمي مشتق من هللاس بمعنى اليونان.

وقد كان دخولهم، على موجات متعددة، وهي:

١ - **الموجة الأولى**، وكانت تتألف من: الآخائيين الذين سكنوا بداية جنوب تساليا، قبل أن ينتقلوا إلى شبه جزيرة البلوبونيز، ويسيطروا لاحقاً على قسم من جزر بحر إيجة، وجزيرة كريت، ويقضوا على حضارتها.

٢ - **الموجة الثانية**، وكانت تتألف من: قبائل الأويوليين والأيونيين.

٣ - **الموجة الثالثة**، وكانت تتألف من: الدوريين في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهم القبائل الأكثر قوة وضخامة وهمجية، الذين خرَّبوا كلَّ شيء في طريقهم، وقد أتوا من مناطق مقدونيا وإيلليريا.

والعُمدةُ في الموضوع، أن قبائل الآخائيين والأيونيين والأيوليين، الذين استقروا في مناطقهم الجديدة، واندمجوا مع السكان الأصليين (البلاسجين) وبعد أن بدؤوا في بناء الحضارة، ومن أجل مواجهة القادمين الجدد، الدوريين - وهم عِمادُ الموجة الثالثة - اضطروا إلى تغيير مراكزهم وأماكن استقرارهم، والهجرة إلى جزر بحر إيجة وشواطئ آسيا الصغرى، ثم إلى مختلف أنحاء

البحر الأبيض المتوسط، وقد سَمَّت هذه القبائل مجتمعة نفسها باسم (الهللينيين) وسمّوا كلَّ الشعوب الأخرى (برابرة) أي أعاجم لا يتكلمون اللغة اليونانية[1].

وعند وصول هذه القبائل (اليونانية) إلى شبه جزيرة البلقان (اليونان) وجزر بحر إيجة، لم تكن تلك المواقع خالية من السكان، وإنما كانت هناك حضارتان أصليتان، هما:

١ - الحضارة الإيجية (الكريتية) أو الحضارة المينوية، نسبةً إلى بيت مينوس، وهو البيت الحاكم وملكها الأسطوري مينوس الذي سيطر على جزيرة كريت، وهي الجزيرة التي كانت فيها أقوى مراكز هذه الحضارة، وهي حضارةٌ ليست يونانية، وإن امتد تأثيرها إلى بلاد اليونان.

٢ - الحضارة الميكينية (الميسينية): وهي حضارة يونانية بدأت في قلب اليونان وانتشرت خارجها.

---

(١) ينتسب اليونانيون إلى هيللين، وكان لهيللين ولدان، هما: (دوروس) و(أئولوس)، وحفيدان هما (إيون) و(آخيئوس)، ومنهم جاءت القبائل اليونانية المعروفة، وهي الأخائيون، والأيونيون، والأيوليون، والدوريون.

وقد وقعت بلاد اليونان في بداية العصر الهلادي الحديث (الميكيني) ١٥٥٠ - ١١٥٠ ق.م تحت تأثير الحضارة المينوية الكريتية الإيجية.

ولم يكن سكان كريت من العرق الهندو -أوروبي، وقد وفدوا إلى كريت من آسيا الصغرى، في العصر النيوليتي، الذي انتهى في الجزيرة نحو العام ٢٥٠٠ ق.م واستقروا في الشرق والشمال.

وتشير الدراسات إلى أن دولةَ مينوس قد زالت نحو عام ١٤٠٠ ق.م، وأن شعباً غريباً قد طغى على السكان الأصليين في القرنين ١٤ - ١٣ ق.م إذ إنَّ الجماجم المستطيلة التي كانت أكثرية تعود إلى السكان الأصليين، أصبحت قليلة إلى جانب الجماجم المستديرة الوافدة، ما يؤكد حدوث غزو خارجي، وينفي نظرية الهزة الأرضية التي يتبناها البعض.

وقد أدى هذا الغزو من قِبَلِ بلاد اليونان القاريّة وخاصة (الآخيين) من مدينة ميكيناي في بلاد اليونان، حيث سادت الروح العسكرية، بدلاً عن روح الطبيعة والجمال، التي كانت سائدة في جزيرة كريت.

نستنتج من كلِّ ما ذُكِرَ: أنَّ قبائـل الآخيـين في بـلاد اليونـان (ميكيناي) كانت تريد الخلاص من سـيطرة مينـوس في القـرن ١٤ق.م، وقد تمَّ لها ذلك، ومن ثمَّ اكتسحت قبائـلُ الـدوريين الجزيرة، نحو ١١٠٠ق.م، فَطَمست باقي معالم الحضارة، وقـد أصبحت الجزيرة يونانية كلها، وتتكلم اللهجـة الدوريـة، عـدا بعض المقاطعات الصغيرة في زاويتها الشرقية.

وهنا يَطرح السؤال التالي نفسه: متى، وكيف بدأت الحضارة الميكينية؟ ومتى ازدهرت؟.

إن الباحـث في تـاريخ جنـوب شرق أوروبـا، يجـدُ أن ثمَّـةَ تغيرات قد حصلت، وقـد أدت في نهايتهـا إلى مُتغـيرات، أدت بدورها إلى ظهور حضارات، وأفول أخرى.

فقـد بـدأت الحـضارة الميكينيـة مـا بـين ١٦٠٠ -١١٠٠ق.م وازدهرت نحو عام ١٤٠٠ق.م على أكتاف سكان البلاد الأصـليين الذين يُسميهم اليونانيون (بيلاسكي) Pelasgi[1]، ولا يُعرفُ عن هـذا

(١) من المُحتمل أن يكون هذا الاسم مشتقاً من كلمة بلاغـوس pelages أي البحر، لذلك فهو يفيد بمعنى (شـعوب البحـر) البلاسـجين أو الكاريين نسبة إلى إقليم كاريا في بلاد آسيا الصغرى.

الشعب، إلا أنَّه من شعوب بحر إيجة، وأنَّه يشبه الشعوب القاطنة في آسيا الصغرى مثل (الليديين) و(القاريين) و(الليكيين).

كما يجدُ الباحثُ، أن ثمَّةَ هجرات متتالية بدأت تتقدم نحو مناطق البلقان نحو ١٩٠٠ق.م، وتعدُّ من أوائل الهجرات التي قصدت شبه جزيرة البلقان، وهم أوَّلُ فوجٍ من قبائل، عادةً ما تُنسب إلى ما يسمى بـ (الهندو أوروبيين) وإن كنّا لا ندري من أين جاؤوا، وإنما نعلمُ عن يقينٍ أنهم كانوا يتكلمون اللغة اليونانية(١)، وينبغي التنبيه إلى أن هؤلاء لم يأتوا دفعة واحدة، أو في فوج كبير واحد، ولا في شكلِ حملة استعمارية مُنظمة، بل جاؤوا كغزاة متسللين في عدة أفواج خلال فترة طويلة من الزمن، استغرقت ما يزيد على ثمانية قرون، وبديهي أن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا أوَّلَ قوم سكنوا وسط البلقان وجنوبه، ولم

---

(١) اليونانية هي: إحدى لغاتٍ كثيرة تنتمي إلى الأسرة الهندو - أوروبية، التي تشمل السنسكريتية والفارسية والأرمنية والسلافية والبلطيقية واللاتينية والكلتية والحثية، وقد ظلت اليونانية مدة طويلة - حتى نحو عام ٣٠٠ق.م - لغة متعددة اللهجات، لكن الاختلافات بينها كانت في جوهرها مقصورة على النطق والهجاء، وليست في الألفاظ، أو الإعراب أو النحو.

يأتوا كأصحاب حضارة رفيعة، بل كانوا همجاً، اعتمدوا على حضارة السكان الأصليين، وتمثَّلوها.

كشفت معاول الأثريين عن حضارة متقدمة نسبياً، بل عن حضارات سابقة، قبل مجيء (اليونانيين) إلى البلقان، ما بين ١٩٠٠ - ١٥٥٠ق.م أي فيما يسمى بفجر الهلادي الوسيط، والذين كانوا الطليعة الأولى من الجنس«الهلليني» وقد تمت تسميتهم بـ«الآخيين»[١]، اقتداءً بهوميروس، الذي يُطلق هذا الاسم على حشودهم التي كانت تُحاصر طروادة، عند أواخر القرن الثالث عشر، وأوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

وقد امتزج هؤلاء القادمون الجدد، اليونان (الآخيون) أو (الدانويون)[٢]، مع السكان الأصليين القدامى (البلاسجين) (بلاسكي - بلاسجي) وهم ليسوا هندو - أوروبيين، وفرضوا عليهم سيطرتهم ولغتهم.

---

(١) نسبة إلى مقاطعة آخيا، التي تقع جنوب شرق إقليم تساليا، أي القسم الشمالي فقط من بلاد اليونان، حيث توجد آخيا.

(٢) الاسم الذي أطلقه عليهم هوميروس نسبة إلى جدهم الأسطوري دناؤس.

لقد أصبح الشعب الميكيني الخليط من السكان الأصليين (البلاسجيين والآخائيين)، شعباً عدوانياً وعسكري النزعة، يميلُ إلى الحربِ والقتال، وهذا ما أكدته الرسوم التي صُوِّرت على جدران قصري (تيرنس) و(ميكيني)[١]، على عكس رسومات قصر كنوسوس في جزيرة كريت.

لقد أصبح المجتمع اليوناني المزيج مُنصَرِفاً إلى الصيد والحرب، وإلى صناعة الأسلحة بالدرجة الأولى، وبخاصة تلك الدروع التي تحمي الساقين، وقد كان للأسطول البحري دوره الكبير في حياة الميكينيين السياسية والحربية، لاسيما وأن طبيعة بلاد اليونان الساحلية البحرية، قد أملت على حياة اليونانيين أهمية الأسطول في الدفاع والغزو السريع، ما جعل بلاد اليونان كافة تعملُ من أجل التنافس على بناءِ أحدث وأقوى أسطول من أجل السيادة والبقاء، وربما كان لأهمية الأسطول الميكيني ما مكَّنَ الميكينيين من الوصول إلى العديد من شواطئ المدن اليونانية الأخرى، وفرض

(١) أهم مدينتين في الحضارة الميكينية (الميسينية) في شبه جزيرة البلوبونيز.

نفوذهم بالقوة، واستغلالهم لموارد تلك المناطق، ولا أدلّ على ذلك من استغلال الميكينيين مناجم القصدير في شبه جزيرة لسبوس في بحر إيجة[1].

وهذا ما يفسر النزعة التوسعية لدى هذه الشعوب، التي انطلقت فيما بعد نحو الشرق، فدمَّرت عواصمه، وسيطرت على خيراته، أي أن هناك أبعاداً اقتصادية واضحة، تقف خلف هذه التحركات البحرية الغازية، وهذا ليس بالأمر الغريب على أسباب أي حرب عبر التاريخ.

وتذكر الإلياذة[2]، أنَّ رحى الحرب الطروادية بين الإغريق (الميكينيين أو الآخائيين) والطرواديين على البر الآسيوي (شمال غرب آسيا الصغرى) نحو عام ١٢٠٠ ق.م، وبعيداً عن القصة الأسطورية حول أسباب حرب طروادة، من الاحتكام إلى

---

(١) خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق - مقدمة في التاريخ الحضاري والسياسي، دمشق، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م، ص ٨٩، ٩٠، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٦، ١١٧، ١٥١، ١٥٢.

(٢) وتعني قصة (إليوس).

باريس، وقضية الجمال[1]، أو خطف هيليني ابنة تينداريوس ملك إسبرطة وزوجة مينلاوس، من قِبَلِ باريس بن بريـاموس ملك طروادة، رداً على خطف أخته هيسيوني، التي اختطفها الإغريق سابقاً.

ويبدو أنَّ الدوافع الحقيقية لهذه الحرب، هو النزاع في سبيل الاستيلاء على المضائق البحرية (البوسفور والدردنيل)، والسيطرة على الطريق إلى السهول الغنية في البحر الأسود، وقد أدرك الجميع أهمية هذا النزاع، فلم يتأخر أحد من سكان بلاد اليونان عن مساعدة (آغاممنون) في غزو طروادة، كما أسرعت شعوب آسيا الصغرى إلى مساعدة طروادة، وقد كان سوء حظ سكان طروادة، أنهم وقفوا حجر عثرة في طريق التوسع اليوناني المُرتقب، بغية السيطرة على البحر الأسود والسهول المجاورة له، لذلك كان لا بدَّ من اقتلاع طروادة، حارسة المضائق البحرية والمُسيطرة عليها.

---

(١) قضية الجمال، ما بين الإلهات الثلاث (هيرا زوجة زيوس، وأثينة ابنته العذراء المحاربة، وأفروديتي وليدة زبد البحر، وربة الحب والجمال) القضية التي حكم فيها باريس بن برياموس ملك طروادة.

وتدلُّ الدراسات الأثرية، إضافة إلى دراسات الباحثين، على أن سكان طروادة كانوا مؤلفين من مختلف الشعوب القاطنة على شواطئ آسيا الصغرى، وقد كانت هذه الشعوب في القرن الثالث عشر قبل الميلاد خاضعة لنفوذ الحثيين، وحليفة لهم.

ويُحتَمل أن يكون سكان طروادة قد جاؤوا من تراقية، واجتازوا المضائق مع سهل (سكاماندار) في القسم الشمالي من شواطئ آسيا الصغرى، كما نجد بين سكان طروادة مزيجاً من القاريين، والليكيين، والكليكيين، فيما يدَّعي سترابون أن سكان طروادة، قد جاؤوا من جزيرة كريت، وسكنوا بلاد طروادة، وذلك على الأغلب بعد سقوط مدينة كنوسوس[1].

لذلك وأمام كل هذه المعطيات، نستطيع أن نضع الهجوم الذي أصاب مدينة طروادة في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد نحو ١٢٠٠ق.م، والذي استمر نحو عشر سنوات، حَسب العديد من المصادر، ينـدرجُ في سياق الغزوات التي نسميها «غزوات شعوب البحر» وإحدى أهم تحركاتِها، لأنها

(١) المصدر نفسه: ص ١٣٦، ١٣٧.

كانت بمثابةِ البوابة، التي فَتَحت أمام القادمين الجدد، أبوابَ آسيا الصغرى (تركيا) ومن بعدها إلى سواحل بلاد الشام.

وعلى الرغم من قيام الحثيين بتقديم المساعدة للطرواديين حُلفائهم، وحارس مناطقهم المتقدمة، إلا أن هذه المساعدات العسكرية لم تصل إلا متأخرة، بعدما كانت المدينة قد سقطت، وهذا ما أكدت الدراسات الحديثة، واللُقى الأثرية، والرسومات والنقوش، التي عُثِرَ عليها في الطريق الذي سلكته هذه المساعدات العسكرية، والتي عادت مباشرةً إلى العاصمة الحثية حاتوشا، لأن القيّمين عليها، قد أدركوا برؤيتهم السياسية والاستراتيجية البعيدة المدى، أنَّ ما حدث لطروادة، سَيُشكِّل بوابة العبور لِتَقدّم هذه الجحافل الغازية نحو عاصمتهم، إضافة إلى استغلال بعض القبائل، شمال، وشمال شرق العاصمة حاتوشا، لهذه المتغيرات، وانضمام بعضها للقادمين الجدد، بُغية إسقاط العاصمة الإمبراطورية حاتوشا، وهذا ما حدث، وما ستتعرَّفُ عليه لاحقاً.

وبالعودة إلى أحداث طروادة، فقد كان هوميروس، ومن خلال الإلياذة، يُطلق على القبائل التي حاصرت طروادة - وقد كانوا يتكلمون اليونانية - اسم آخائيين، وقد كان آغاممنون

زعيم الآخائيين يحكم في مدينة ميكيناي، كما تُضيف الإلياذة في تسمية بعض المحاربين الذين حاصروا طروادة، باسم الداناويين[1]، ويتحدث الكُتَّابُ اليونانيون، عن سبب انهيار الآخائيين، الذين انتهت سيطرتهم على شبه جزيرة البلوبونيز، وتشتتوا في جزر بحر إيجة وشواطئ آسيا الصغرى، ولم يعد لهم ذكرٌ في مجرى التاريخ اليوناني بعد القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وسبب ذلك هو قدوم الموجة الثالثة السالفة الذكر، موجة الدوريين التي اكتسحت بلاد اليونان.

ويبدو أن انتصار الآخائيين في حربِ طروادة، كان بداية نهايتهم، بسبب انهماكهم بحصارها، الذي استمر لمدة عشر سنوات، ما أدى إلى تشتتهم في جزر بحر إيجة، واستقرارهم فيها، هذه الفوضى التي حلَّت بالآخائيين، هي التي شجعت القبائل الدورية على مهاجمة البلاد على دفعات متتالية، استمرت مدة طويلة من الزمن.

---

(١) تذكر الأساطير اليونانية أنَّ جدّهم (داناووس) من مصر، وكان قد سكن بلاد أرغوس... ولكن هذه المعلومات تبقى برسم الأسطورة، ولا يمكن الاستكانة لها كليَّاً.

وقد كان الدوريون طِوال القامة، ذوي جماجم مستديرة[1]، ويتكلمون لهجة من اللهجات اليونانية، وكانوا محاربين شجعاناً وأشدّاء، لأنهم كانوا ما زالوا في طور البداوة، ويعيشون من الصيد ورعي الحيوانات، وقلَّما يعملون بالفلاحة، وكانوا يستعملون أسلحة من الحديد، فاستطاعوا بوساطتها أن يتغلَّبوا بسهولةٍ على الآخائيين والميكينيين، الذين ما زالت أسلحتهم من البرونز الأقلّ قساوةً، فقتلوا كلَّ من وجدوه من الآخائيين.

وبعد هروب - هجرة - الآخائيين إلى بحر إيجة وجزره، وشواطئ آسيا الصغرى، ومقاطعة أتيكة، حاولَ الدوريون ملاحقتهم، فهاجموا مقاطعة أتيكة، وعندما صُدُّوا عنها، هاجموا جزيرة كريت ودمَّروها، وكذلك سيطروا على جزر ميلوس، وقوس، وكيندوس، ورودوس، وفرضوا على سكانها سيادتهم.

وقد أدخل الدوريون معهم، وكما ذكرنا سابقاً، الأسلحة الحديدية الجديدة، ما أدى إلى شيوع استخدام الحديد، وبالتالي إلى انقلاب في الحياة الاقتصادية (زراعة - صناعة... إلخ) كما

(١) وهي نفس الجماجم التي سادت في كريت بعد خرابها.

كانت هجمات الدوريين سبباً في اتساع بلاد اليونان، وذلك بسبب اضطرار جزء كبير منهم إلى الهجرة أفواجاً، فسكن قسمٌ كبيرٌ منهم جزر بحر إيجة، وسواحل آسيا الصغرى، وقد وصلت هذه الهجرات إلى إيطاليا وصقلية وأفريقيا الشمالية، وشواطئ البحر الأسود(١).

هكذا، وأمام كل هذه المُقدمات، نستطيعُ ربط هذه التحركات التي شهدتها أوروبا بِما سُمِّيَ لاحقاً بـ«غزوات شعوب البحر».

فقد أثارت هذه التحركات قريحة - شهية - العديد من الباحثين المتخصصين، فأدلوا بدلوهم في هذا الموضوع، وهم على كفاءةٍ مشهودة بالبحث والمعرفة، وعلى رأسهم (دونالد ب. ردفورد) في كتابه الموسوم بـ /مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / الذي يذكر - وفي معرِضِ حديثه عن شعوب البحر - فيه:«يأتينا الدليل الأثري الأول على ما سيجري من اليونانيّين، ففي نحو العام ١٣٠٠ق.م نجد ما يُشير إلى حركة انتقال لشعب رعوي من

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧.

تيسالي إلى إبيروس، ثمَّ ربطـه لاحقـاً باليونـانيين الـدوريين، بعـد نصف قرن كانوا أيـضاً في حالـةِ انتقـال نحـو الجنـوب، تمامـاً في الوقت الذي كان فيه البر اليوناني يُعاني على مـا يبـدو مـن درجـة عالية من العداء الداخلي، وتذكر الأسـطورة أيـضاً تـدفق النـاس جنوباً، لكن هذه المرة من تراسي (تراقيا) Thrace، والـذي اجتـاح نكسوس وساموتراس وإيوبويا، وجعـل الحيـاة عـسيرة في طيبـة وآتيكا، وليست إعادة التحصينات الـشاملة والمفاجئـة في أمـاكن كـ (ميسينا، وتيرنس، وكورنث، وأثينا، وميليثـوس) نحـو العـام ١٢٥٠ - ١٢٤٠ق.م سوى تأكيد الدليل السابق، وإذا كـان هـذا الفعل ينمُّ عن خوف المواطنين الآخيـين مـن الإغريـق فـإنَّ لهـذا الخوف ما يبرره، فخلال جيل واحد وقعـت الـضربة الأولى، وفي العام ١٢٢٠ ق.م حلَّ الدمار بميسينا وتيرنس وبايلوس وكريـسا وغلا Gla ، وهذا غيض من فـيض، مـا أدى في النهايـة إلى وضـع حـدٍّ لمرحلـة ثقافيـة تـدعى الهـيلادي IIIB الأخـير، وتعرضـت إمبراطورية أخّيـاوا (الآخـائيون) التـي كانـت عظيمـة ذات يـوم لضربة قاصمة»[1].

(١) دونالد ب .ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٢.

الباحث والمؤرخ المعروف أنطون مورتكات في كتابه الموسوم بـ /تاريخ الشرق الأدنى القديم /وفي مَعرِضِ حديثه عن الأزمات التي عانت منها الإمبراطورية الحثية إلى حين دمارها، ومبيناً سبب هذا الدمار، يقول:«كان على تودخاليا الرابع، وآرنوواندا الجهد الكبير للمحافظة على الإمبراطورية أمام أطماع الدول المُعادية في الغرب، وهي (آحي - ياوا)[1] وبلدان الأرزاوا... وهكذا انطلقت قبائل متجولة هندية غربية، وأخرى غير هندية من البلقان، عبر اليونان والجزر الإيجية، ووصلت آسيا الصغرى ومصر..»[2].

أمَّا الدكتور جواد بولس في كتابه الموسوم بـ /لبنان والبلدان المجاورة /وتحت عنوان (فينيقيا وسيطرة الآخيين البحرية) فيقول:«وعلى عكس الكريتيين والفينيقيين الذين كانت سيطرتهم اقتصادية فقط، فإن الآخيين لم يفهموا التجارة بمعزل عن التسلط

---

(١) يقصد الآخائيين.

(٢) أنطون مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ت. توفيق سليمان وعلي أبو عسّاف وقاسم طوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٦٧م، ص ٢٣٦، ٢٣٧.

السياسي، فالقومية والنزعة التوسعية قادتهم، إلى سياسة التوسع والعدوان والمغامرة، فمنذ ظهورهم بدؤوا يخططون لسياسة عدائية ضد البحارة الفينيقيين، الذين كانوا ينافسونهم... فالآخيون أو الإغريق الأُول، الذين جمعوا المدن البحرية الإغريقية في اتحاد فدرالي دعوه (الآخي) وجعلوا من ميسينا عاصمة لهم، أضحوا قوام السيادة البحرية الآخية - الإيجية، وانطلقوا بمغامراتٍ بعيدةٍ في الشرق والغرب... ونحو ١٢٠٠ق.م نجد الآخيين الذين دمروا مدينة طروادة، على مدخل الدردنيل، يخضعون لاحتلال برابرة شماليين، هم الدوريون، الذين اكتسحوا إمبراطوريتهم، وقد تسببت هذه الهجرة الجديدة بشن هجمات (شعوب البحر والشمال) التي تدفقت على العالم الشرقي، فأنهت وجود المملكة الحثية، و«داست» بلدان الممر السوري - الفلسطيني، ودمَّرت إلى عدة أجيال، بلاد الفراعنة». وفي مكان آخر، وتحت عنوان /غزوة شعوب البحر والشمال / نراهُ يقول:«لقد كان لاندحار الآخيين أو الإغريق الأولين النهاية لسيطرتهم (الآخيين) ولازدهار حضارتهم التي لم تدم سوى قرنين من الزمن ١٤٠٠ - ١٢٠٠ق.م، أما الأسطول الآخي القوي الذي غدا منذئذ بلا وطن، والذي ضمَّ

إليه جماعات من الآخيين، ومن المغامرين الآسيويين والآريين من آسيا الصغرى، ومن جزر بحر إيجة، ومن جزيرة كريت، فقد اتجه نحو البحر المتوسط الشرقي»[1].

ويذكر الباحث قاسم الشوّاف في كتابه الموسوم بـ /مع الكلمة الصافية / وتحت عنوان (صورة مختصرة عن العالم القديم في عصر الحديد الأول وما يليه) فيقول:«وكذلك المجتمع الميسيني الذي كان يحكمه ما بين القرنين الرابع والثالث عشر ق.م قادةٌ عسكريون بقوةِ السلاح والعتاد، تعرَّض للإفقار، بسبب الحروب، وقد تميزت نهاية عصر البرونز في الشرق الأدنى، نحو ١٢٠٠ ق.م بفترة طويلة من الانحطاط... وإن شعوباً غير متحضرة، أتت من شمال اليونان، واكتسحت الحضارة الميسينية، وفي الأناضول، دمَّرت الإمبراطورية الحثية..»[2].

(١) جواد بولس: لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة بدران وشركاه للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٣م، ص ٩٣، ٩٤، ١٠٨.

(٢) قاسم الشوّاف: مع الكلمة الصّافية - دراسة فلسطينية، منشورات دار الأجيال، دمشق، ط ١، ١٩٦٩م، ص ٩٤، ٩٥.

ويـذكر الباحـث إبـراهيم توكلنـا في الموسـوعة العربيـة، وفي المجلد /١١/ وتحت عنـوان /شـعوب البحـر/ مُـستنداً في بحثه على معجم مراجع لكتَّابٍ كِبار، أمثـال: أسـد الأشـقر في كتابـه /تـاريخ سـورية، ج١، ق ١، ٣٥٠٠ - ٥٣٩ق.م، ١٩٧٧م/، والمـؤرِّخ الكبـير جـيمس هنـري برسـتد في كتابـه /تـاريخ مـصر مـن أقـدم العـصور إلى الفـتح الفـارسي، ترجمة: حسن كمال، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٩٠م/، وكتاب: /R . D . Barnette The sea Peoples , The Cabridge Ancient History II Part 2 , Cambridge University Press 1975/ وآخرين، إذ يقول: «تعرضت منـاطق شرقـي البحـر الأبـيض المتوسط، ولاسيما سورية والساحل الفينيقي، ووادي النيـل، في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عـشر قبـل المـيلاد، لهجمات من قبائل مختلفـة، يُعتَقـدُ أنَّ غالبيتهـا كانـت هنـدو - أوروبية Indo - European قَدِمت من مناطق أرخبيل بحر إيجـة والبلقان، وربما مـن جزيـرة قـبرص واليونـان أيـضاً، حـسب المعطيات الأثرية الحديثة، ويبدو أن هذه القبائـل، أو مـا سُـمِّيَ فيما بعد (شعوب البحر) The Sea Peoples لم يكونوا بمجملهم

قراصنة يبتغون الاستيلاء على المناطق الخصبة، وإنما كان منهم أقوام مهاجرون، أُجبروا على ترك أراضيهم تحت ضغط قبائل أخرى، وهذا ما حصل لقبائل الآخيين Achaeans الذين اضطروا إلى الرحيل عن أراضيهم، نتيجة استيلاء الدوريين القادمين من البلقان عليها، وكان بين شعوب البحر قبائل وشعوب أصابها القحط، فهاجرت إلى مناطق شرقي المتوسط، ولاسيما سورية ومصر..»[(١)].

فالعُمدةُ في الموضوع، أن تغيرات جذرية وكلِّية وقعت في كُلِّ الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، عند نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد، كان من نتائجها:

١ - نجاح قبائل الدوريين في التقدم في البلقان وبلاد اليونان، والحلول محل الآخائيين في جنوبي بلاد اليونان وأرخبيل بحر إيجة، وهكذا سقطت الحضارة الإيجية.

---

(١) إبراهيم توكلنا: شعوب البحر، بحث في الموسوعة العربية، الجمهورية العربية السورية، هيئة الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٧١٤.

٢ - هجرة الآخائيين إلى شرقي المتوسط بحثاً عن موطن جديد، وهم يحملون متاعهم وأسلحتهم، وقد أدى وصولهم إلى سواحل آسيا الصغرى، إلى تحريك شعوب الإمبراطورية الحثية، ومنهم شعب الكازكاز (الكاشكيون) على شواطئ البحر الأسود وبحر مرمرة، فتحركوا نحو العاصمة الحثية، وعملوا على حرقها وتدميرها، وهذا ما سوف نتوسع فيه لاحقاً.

وفي حوزتي بعض المراجع والمصادر الأخرى، التي تُثبِتُ، وتؤكد ماهية هذه الشعوب ومصدرها، ولكنني اكتفيت بما ذكرت لاعتقادي بكفايتها، ولعدم إطالة البحث، في ظلِّ الرغبة في الاختصار والفائدة المباشرة.

ثانياً: الأسباب السياسية

وتتجلى هذه الأسباب، في ضعف الإمبراطوريات الكبرى، وعلى رأسها الإمبراطورية الحثية، وذلك بسبب الصراع الداخلي - بين أفراد الأسرة الحاكمة - على السلطة، إضافة إلى الأخطار الخارجية، ونذكر بهذا الصدد، أن الملك الحثي تودخاليا الرابع قد

واجه ما بين عامي ١٢٥٠ - ١٢٤٠ق.م تحالفاً معادياً مؤلفاً من اثنتين وعشرين دولة متمردة، على امتداد الساحل الأيوني، من كاريا (ليسيا) إلى ويلوسا (إليون أي طروادة) وقد دمَّر الحثيون هذا الحلف، لكن الأطراف الغربية لإمبراطوريتهم بدأت تتصدع، وكان واضحاً أنَّ تودخاليا نفسه، هو الذي أخضع جزيرة قبرص، منهياً بذلك واحداً من الأعضاء البارزين والمزدهرين في المنظومة السياسية لعصر البرونز الحديث(١)، ولا ننسى تحركات الشعوب المجاورة لحاتوشا في الشمال، والشمال الشرقي، والتي كانت عادةً ما تتحين الفرص لشنِّ هجمات عليها.

أما الساحل السوري، فقد كانت تحكمه دولٌ متحضرة وقويةٌ اقتصادياً، لكنها ضعيفة عسكرياً، وفي مراحل كهذه من التاريخ، أي فترات التغيرات الكبرى، فإنَّ القوة الاقتصادية وحدها لا تكفي لحماية الدول؟؟، فنحن هنا بحاجةٍ إلى قوة عسكرية متنامية، تستطيع دحرَ أي عدو خارجي، وهذا ما حدث لدى مصر القوية، بينما لم تستطع أوغاريت، الصمود أمام هذه التحركات.

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٢.

ثالثاً: الأسباب الاقتصادية

«ابحث عن الاقتصاد» تلك المقولة التي عادةً ما يتفوَّهُ بها كلُّ عارفٍ بالتاريخ وخفاياه، والأسباب البعيدة (غير مباشرة) أي الحقيقية، التي أدت إلى حدوث الكثير من المعارك والحروب، التي شَهِدَها العالم، وعلى مرِّ العصور، وهذه هي المقولةُ التي يستندُ إليها كلُّ باحثٍ ومفكّرٍ استراتيجي وسياسي معاصر، يعتمد في دراساته وأبحاثه على الخلفيات الحقيقية لتحركات وأفعال وتصريحات الدول الكبرى.«ابحث عن الاقتصاد» تلك المقولة، هي بالضبط كانت السبب الحقيقي الذي أدرك بعض قادة الدول في المنطقة - موضوع البحث - أنها سوف تكون السبب الحقيقي، والدافع الواضح لتحركات هذه الشعوب.

ولكن ما الذي دعا تلك الدول، وتلك المجموعات المتحركة للسيرِ نحو الحرب، وإزالة دولٍ وممالك؟؟.

السبب الحقيقي هو الاقتصاد، هذا الاقتصاد الذي بدأ ينهار شيئاً فشيئاً، بدءاً من أواخر النصف الثاني للقرن الثالث عشر،

وأوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد[1]، ويبدو أن مظاهر القوة التي تتباهى بها معظم دول المنطقة، وحتى دول البر الأوروبي، كانت تخفي خلفها مظاهر الضعف والانحلال، ويبدو أن سبب تلك المظاهر، وسبب تلك التحركات والحروب، هو نقص الموارد الاقتصادية، التي عمَّت المنطقة، والتي أدت إلى الصراع حول الموارد والخيرات، ويبدو أن الجفاف وبعض التغيرات المُناخية، هو الذي أدى إلى هذا النقص في الموارد الاقتصادية، وعلى رأسها (الموارد الزراعية).

لقد أثبتت الدراسات الحديثة، أن كوارث مُناخية شاملة، طالت النصف الشمالي من الكرة الأرضية، وتجلَّت بأوضح أشكالها في منطقة شرقي المتوسط، فيما يُعرف الآن بالجفاف الميسيني الكبير، نسبةً إلى منطقة ميسينيا، التي كانت بؤرة ذلك الجفاف، وأول من تضرر من نتائجه، وتؤكد الدراسات أن هذا الجفاف كان وراء التحركات والاضطرابات الاجتماعية، والحروب والتفكك

---

(١) لقد بات من المعروف في العصر الحالي، أن الحربين العالميتين الكبريين، كانت قد سبقتهما انهيارات اقتصادية عالمية؟.

السياسي في منطقة الشرق القديم خلال الفترة الانتقالية من القرن الثالث عشر، وحتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

فمنذ ستينيات القرن العشرين، أخذت معلوماتنا بخصوص التبدلات المُناخية العالمية، تتخذ طابعاً أكثر دقةً وعلمية، وخصوصاً فيما يتعلق بمُناخ العصور القديمة، فلقد تبيَّن لعلماء المُناخ اليوم، ومن خِلال دراستهم لحلقات جذوع الأشجار في أمريكا الشمالية وأوروبا، خلال سبعة آلاف عام مضت، أن نصف الكرة الشمالي، قد مرَّ بفترة تبدل مُناخي تميزت بالجفاف وارتفاع درجات الحرارة، وذلك منذ بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد استمرت موجة الجفاف هذه بالتصاعد حتى عام ١٢٠٠ق.م، ثم أخذت بالتراجع خلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حتى زالت آثارها تماماً نحو ١٠٠٠ق.م، ولقد قام العلماء أيضاً بمقاطعة المعلومات المُستَمَدة من جذوع الأشجار، بمعلومات أخرى مُستَمدة من دراسة مستوى مياه البحيرات الداخلية، وتحركات الجموديات، والتبدلات في حالة التربة العضوية، وقد أكدت لهم هذه القائمة من المعلومات ما أوصلتهم إليه دراسة حلقات الأشجار.

ولكن بعض المعلومات الأكثر إقناعاً فيما يتعلق بموضوعنا هنا، قد جاء من منطقة الشرق القديم، فحلقات جذوع الأشجار القديمة في الأناضول والهلال الخصيب، تُشير إلى وقوع جفاف حادٍ في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كما أن دراسة مستوى المياه في منابع نهر النيل، أشارت إلى حدوث انخفاض تدريجي في مستوى النهر، ابتداءً من مطلع القرن الثالث عشر وحتى مطلع القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وبقائه في حده الأدنى حتى نحو العام ١١٠٠ ق.م، وبسبب قلة تدفق المياه إلى فرعي النيل في مصر السفلى، فقد تملَّحت حقول الدلتا، وذوت معظم حواضِرها بما فيها عاصمة رعمسيس الثاني المدعوة بـ (رمسيس) التي رحَلَ عنها سكانها تدريجياً حتى هَوت تماماً وتهدمت في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

وفي منطقة بلاد الرافدين، تُبيّن دراسات قوة تدفق مياه النهرين عبر ستة آلاف سنة مضت، أن ماء دجلة والفرات قد تباطأ تدفقه بدءاً من أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ووصل حده الأدنى في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وفي منطقة النقب جنوب فلسطين، تدلُّ دراسة المخلفات النباتية في

المواقع الأثرية على أن الحياة الزراعية، قد تحولت من نهايات عصر البرونز الأخير، من الزراعة المتوسطية التقليدية، إلى زراعات المناطق الجافة، وهو مؤشرٌ واضحٌ على جفاف المُناخ وارتفاع درجات الحرارة.

نستنتج من كُلِّ ما سبق، أن عصر البرونز الأخير، قد انهار بتأثير كارثة مُناخيةٍ شاملةٍ، وقد كان لغزوات شعوب البحر، الدور المُكمِّل لهذه التأثيرات المُدمرة.

ففي آسيا الصغرى تراخت قبضة السلطة المركزية في العاصمة الحثية حاتوشا، واستقلت بعض الولايات الحثية، التي راحت يُقاتل بعضُها بعضاً، ويبدو أن شح المحاصيل وفقر البلاط الملكي الذي لم يعد قادراً على تمويل جيوشه، كان عاملاً أساسياً في تفكك البنية السياسية للمملكة الحثية، فقد عمّت المجاعة أرجاء البلاد، وانتشرت العصابات المسلَّحة، تبحث عن لقمة العيش بكل الوسائل، فراح البلاط الملكي الحثي يستجدي القمح من الملك المصري مرنبتاح، الذي أنجده بشحنة كبيرة منه نحو ١٢١٥ق.م، وتبين آخر الرسائل التي تلقّاها عمورابي آخر ملوك أوغاريت، رسالة من الملك الحثي

شوبيلوليوما الثاني آخر الملوك الحثيين، يطلبُ فيها شحنة قمح عاجلة، عدَّها: «مسألة حياةٍ أو موت» وذلك نحو العام ١١٩٠ق.م، لكن الشحنة لم تصل على ما يبدو، لأن أوغاريت لم تكن أحسن حالاً من بلاد الأناضول.

وفي بلاد الرافدين، هناك بعض النصوص التي تؤكد حصول الجفاف وشح المحاصيل وارتفاع أسعارها، وكذلك هناك شواهد أركيولوجية (أثرية) على تناقص كبير في عدد السكان بعد العام ١٢٠٠ق.م تراوحت نسبته بين ٥٥٪ في الجنوب و٧٥٪ في الشمال، وهذه التغيرات أيضاً، هي ما جعلت الجماعات الجائعة التي تَهدَّمت مُدنها، وجفَّت حقولها، تَهيمُ على غير هدى، فقد زحف بعضها تحت قيادات منظمة، نحو سورية الشمالية وبلاد آشور، وهنا تخبرنا النصوص الآشورية، عن غارات جماعات أناضولية تدعوها بالموسكي (الموشكي) والكاسكا (الكاشكا) وذلك في ما بين عامي ١١٦٠ - ١١٥٠ق.م.

وفي مصر وعلى الرغم من حفاظ ملوكها الأقوياء (رعمسيس الثاني - مرنبتاح - رعمسيس الثالث) على استقرارها السياسي، إلا

أننا نستدل من بعض النصوص على حدوث ارتفاع حاد في أسعار القمح والمواد الغذائية الرئيسية الأخرى[1].

ويبدو أن السبب الاقتصادي، قد لفت نظر الكثير من الباحثين، لجِعله سبباً أساسياً في تلك التحركات، فها هو (دنالد ب. رودفورد) في كتابه الموسوم بـ / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / يقول في هذا الصدد: «فعلى الصعيد الاقتصادي، تأكد أن الدول عانت ضعفاً موروثاً لاضطرارها إلى الاعتماد على محصول واحد عالي المردود، واستيراد الكثير من المواد الأولية، ولربما أغرت ممارسة القرصنة القديمة قِدم الزمان، والنجاح الأخير (للشردانا) شعوب العالم الميسيني، بأن تنطلق إلى مصادر المواد الأولية، يُؤثِرُ الآخرون اعتبار الكوارث الطبيعية، العامل الأساسي في إطلاق شعوب البحر». وقد عزز هذا الباحث رأيه بالاستناد إلى آراء بعض المؤرخين القدماء، إذ يقول: «فهيرودوت

(١) فراس السواح: آخر أيام أوغاريت - عوامل طبيعية أم بشرية، مقال في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سورية، العدد ٥٠٧، ٢٠٠٥م، ص ١٧٨، ١٨٨.

وديودوروس يحتفظان بِذكرِ المجاعة التي أجبرت الناس من سايمي، ونكسوس وسرديس، على الهجرة، والوثائق المعاصرة من مصر وأوغاريت، تتحدثُ فعلاً عن مجاعة في الأناضول، ومن السهل أن نفهم كيف مثَّلت مستودعات الغذاء المُتخمة في وادي النيل، حالة جذبٍ لا تقاوم للقطاعات الجائعة في بحر إيجة، ومن الممكن أن يكون طاعون (الدَّبل) أو وباء مماثل قد لعب دوراً ما، لكن من المستحيل التحقق من ذلك بعد هذا الزمن الطويل... إلخ»[1].

رابعاً: الأسباب العرقية

لم أجد في هذا المجال ما يُذكر بشكلٍ واضح وجلي في الفترة (موضوع البحث) رغم أن الأحداث اللاحقة، التي شهدتها بلادنا مع دخول اليونان (المقدونيين) إثر دخول الإسكندر المقدوني إليها عام ٣٣٣ ق.م توحي أو تؤكد أن اليونانيين يعدُّون أنفسهم عرقاً متميزاً، وأن من واجبهم نشر (فرض) الفكر الهيليني على بقية الشعوب، التي عادة ما يطلقون عليها شعوباً متبربرة.

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١١.

وفي هذا الصدد، يذكر الباحث أنطون مورتكات، وفي كتابه الموسوم بـ /تاريخ الشرق الأدنى القديم / ما يلي:«لم تكن الهجرة التي هجمت خلالها الشعوب البحرية على مصر وبلاد الشام - وبصورة خاصة هجرة البلست (الفلسطينين) والذكريين منهم، التي غزت الساحل الفينيقي من بلاد الشام، سوى قسمٍ لمدٍّ حركة هندية غربية كبيرة (تهلَّن)[1] في مجراها كل البر وجزر اليونان بشكل عام ..»[2].

خامساً: وجود بعض القبائل المتدنية حضارياً على أطراف المراكز الحضارية.

عادة ما تلجأ القبائل والشعوب المتدنية حضارياً إلى الهجوع والاستكانة، والبقاء في حالة ترقبٍ، منتظرة فترات الضعف والتراجع، التي قد تعتري المراكز الحضارية وعواصمها، فتبدأ بتحركها نحو تخريب تلك المراكز والعواصم المُتحضرة، مُستَغِلَّةً ضعفها، الذي عادة ما ينجم عن: إمّا صراع داخلي على السلطة

(١) تهلَّن: أي تأثر بالهللينية دماً وحضارةً.
(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٥.

بين قادة وملوك وأمراء تلك الدول، أو بسبب عدوان خارجي قد يُشنُّ عليها من قبل دولة معادية، أو بسبب تغيرات مُناخية (سيول - جفاف - قحط - زلازل - أمراض جائحة... إلخ) ما يؤدي إلى حالة من الضعف، فتبدأ تلك القبائل والشعوب المتخلِّفة بتحركها لتخريب تلك المراكز الحضارية.

وفي الغالب، يحدث تسللٌ سلمي لهذه القبائل والشعوب المتخلِّفة، في حالة السلم، وقوة الدولة المركزية المتحضرة، لتستقر داخل العواصم والمراكز الحضارية، فتؤسس لها بنية أو هيكلاً ما، يبقى في حالةِ ترقبٍ مماثلةٍ لحالة التّرقب التي تمارسها الشعوب التي ما زالت خارج هذه المراكز الحضارية، وعند حدوث الضعف للأسباب السالفة الذكر، تشترك هذه القبائل والشعوب في الداخل والخارج في تدمير وتخريب الحضارة والسيطرة عليها.

لكن الذي يحدث عادةً، إثر خراب هذه المراكز الحضارية، هو:

١ - إمّا أن تندمج هذه القبائل ضمن البنى الحضارية، وتتمثلها وترتقي معها، وتقوم بالحكم والهيمنة على السلطة، إلى حين ضعفها، فتنتفض الشعوب الحضارية، والدول الحضارية

المجاورة عليها، لتستعيد تلك الشعوب المُتحضرة حُكمها وسلطتها من جديد، ولنا في سيطرة الكاشيين على بابل، إثر الغـزو الحثـي عليهـا والقـضاء عـلى الـسلطة البابليـة وتسليمها للكاشيين عام ١٥٩٥ ق.م وحُكمها من قِبل الكاشـيين، إلى حـين سـقوط الحكـم الكـاشي عـلى يـد العيلاميين عام ١١٥٧ ق.م، خير مثال على ذلك.

٢ - وإمّا أن تبقى الشعوب المُتدنية حضارياً، بعـد سـيطرتها على المراكز الحـضارية، فـتحكم بقـوة الـسلاح والقتـل والإرهاب، إلى حين استنهاض ونهوض قوى حـضارية جديدة، تستغل الـضعف الـذي قـد يعـتري الـشعوب المُتدنية حضارياً، نتيجة صِراعهـا عـلى الـسلطة، فتقـوم بالانقضاض عليها وإعادتها إلى مكانها الطبيعي، خـارج إطار المنطقة الحضارية، ولنا في الغزو الغوتي على مدينـة أكاد، والسيطرة عليها وتخريبها، ومن ثمَّ إعادة القـضاء عليهم، على يد اليقظة الحـضارية الـسومرية في القـرنين الثاني والعشرين والواحد والعشرين قبل المـيلاد، خـير مثال على ذلك.

وبالعودة إلى موضوعنا، فهنا نجد أن بعض القبائل التي كانت تتحيَّنُ الفُرص، من أجل السيطرة على المراكز الحضارية في الدولة الحثية ومصر، مُستَغِلَّةً ضعف هذه المراكز، وتَقدُّم وتحرك شعوب البحر، فقامت بالهجوم عليها، لكنها لم تحقق النجاح في مصر لقوة الحكم فيها، في حين نجحت في العاصمة الحثية حاتوشا، ودمرتها، وهنا سوف نأتي على ذِكرِ هذه القبائل والشعوب التي كانت دائماً في حالة تَرقُّبٍ للعاصمةِ حاتوشا، مُنتظرة الفرصةَ المُواتية للانقضاض عليها، التي يبدو أنها أتت حين ضَعُفت الدولة بسبب الصراع الداخلي على السلطة، والجفاف الذي حلَّ بأراضيها، وبسبب تحرك شعوب البحر نحو آسيا الصغرى، وسيطرتها على سواحلها، فقضت على طروادة وباقي الساحل الأيوني.

تاريخ الصراع الحثي مع قبائل الجوار

لقد كان النزاع والصراع في مناطق غرب آسيا، يَنبع دوماً من داخلها، وذلك على مرِّ قُرابة أربعة قرون من الزمن قبل عام ١١٩٠ق.م، إذ كانت المناطق الشمالية الشرقية من آسيا الصغرى ومرتفعات الهضبة الإيرانية، تُشكِّلُ دوماً

موطن القبائل التي تـزرع الخـراب والـدمار في منـاطق غـرب آسيا المتحضرة[1].

حارب ملوك وقادة الدولة الحثية، وعلى مرِّ العصور، وفي كافـة مراحلها، تلك القبائل التي كانت تعيثُ فساداً، كلـما أتاحـت لهـا الظروف ذلك، مُستَغِلين فترات الضعف والتراجع، فقـد اضـطر حنتيلي صهر وخليفة مورشيلي الأول للتخلي عن مدن دينية مقدسة مثل نيريك في جبال البونت لـصالح عـدو عريـق تَمَثَّـل في قبائـل الكاشكا المتوحشة[2]، وهم أنفسهم شعوب الكازكاز الذين اعتادوا مهاجمــة حاتوشــا منــذ عــصر شــوبيلوليوما الأول ١٣٨٠ - ١٣٤٦ق.م على الرغم من عـصر القـوة الـذي شـهدته الـبلاد في عصره، فعندما سَمِعَ شوبيلوليوما الأول أن الكازكاز يقومون بغزو الأراضي الحثية في (بالا)[3]، أرسل قائده الـوفي حتـو بيـانزا لقتـال الكازكاز، الذين ظلّوا هناك لمدة عشرين عاماً، لكنه قرر فـيما بعـد الذهاب بنفسه، حيث وافته المنية هناك نحو ١٣٤٦ق.م.

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص ٣٨٦.
(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٢٠.
(٣) تقع بالا إلى الشمال من حاتوشا.

وربـما اسـتطاع الحثيـون إخـضاع الكاشـكا، فقـد ذكـرت بعـض المـصادر قيـام الحثيـين بتـسليم قـسم مـن الكاشـكا إلى مـصر بموجـب اتفاقيـة وُقِّعَـت مـع أمنحوتـب الثالـث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ق.م فقد طلب أمنحوتب الثالث من الحثيين، إرسال بعض من شعوب الكاشكا، مما يـدلُّ عـلى أسرِهـم مـن قِبَلِ الحثيين، وهكذا أُرسل أُناس من (كوروشـتاما)[1]، ويبـدو أن صـفقة تـسليم بعـض الكاشـكا للمـصريين، كانـت مـن ضـمن الاتفاقيـة التـي وُقِعـت مـا بـين شـوبيلوليوما الأول وأمنحوتب الثالث[2].

وعندما ورِثَ مورشيلي الثاني ١٣٤٥ - ١٣٠٦ ق.م حُكـمَ حاتوشا بعد والده شوبيلوليوما الأول، اسـتطاع هـذا العاهـل القوي أن يستعيد معظم الأراضي التـي فُقِـدت في عهـد أخيـه آرنووانداً ١٣٤٦ - ١٣٤٥ ق.م عن طريـق الحـرب، وخاصـة في القـسم الغـربي مـن آسـيا الـصغرى ضـد بلـدان (أرزاوا)،

(١) وهي مدينة تتبع للكاشكا.

(٢) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ٥٨، ٦٦.

وفي الشمال ضد قبائل الكاشكا المُتجددة، وفي الشرق ضد بلاد (الـ خياشا)[1].

ويبدو أن العديد من هذه القبائل، كانت قد انضمَّت إلى الدولة الحثية في عصر قوتها، أثناء حُكمِها من قِبل مواتالي ١٣٠٦ - ١٢٨٢ ق.م الذي خاض معركة قادش مع المصريين عام ١٢٨٥ق.م، فقد ظهرت أسماء العديد من هذه القبائل، وهي تقاتل في صفوف الجيش الحثي، ومنها قبائل: لوقش، قشقش، إميشويش، والذين على ما يبدو أنهم قطنوا منطقة آسيا الصغرى، كان رعمسيس الثاني قد خاف من قوتهم وعددهم[2].

وفي عهد تود خاليا الرابع ١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م كانت هيبة الدولة قد ذهبت، وزاد الخطر حولها، وخاصة في عهد آرنووانـدا الثالث ١٢٢٠ - ١٢٠٠ ق.م، الذي بذل الجهد الكبير للمحافظة على الإمبراطورية أمام أطماع الدول المعادية في الغرب، وهي

(١) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٣٠.
(٢) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ٨٠، ٨١.

(احي - ياوا)[1]، وبلدان الأرزاوا[2]، وكان ملك أخياوا (أكاي) قد أقدم على غزو الأراضي الحثية من الغرب واستولى على أرزاوا، وذلك قبل وفاة تودخاليا الرابع مباشرة.

هذا، وقد ترافقت الاضطرابات في الغرب مع تلك الآتية من الشرق، وسرعان ما وجدت حاتوشا نفسها مُحاصرةً بالأعداء من جميع الجهات: آشور في الجنوب، القبائل البربرية في الشمال، وشعوب البحر التي بدأت طلائعها تظهر من الغرب[3].

ويبدو أن الأمور قد بدأت تسوء أكثر فأكثر مع تسلّم آرنوواندا الثالث الحكم نحو ١٢٢٠ ق.م، ففي عهده انفصل كل الغرب عن الإمبراطورية تحت قيادةِ تابعٍ سابقٍ للمملكة الحثية، وهو (مدّو - واتا) وربما كان هذا أخ آرنوواندا، أو ربما يكون شوبيلوليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩٠ق.م، آخر ملوك حاتوشا[4].

---

(١) أي الآخيين.

(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(٣) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ٩٨.

(٤) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٣٧.

وهكذا نرى كيف كانت حاتوشا تُعاني من استمرار هجمات الشعوب المُتخَلِّفة وعلى مدى أكثر من ثلاثة قرون، ما أدى إلى إضعافها، والذي أسهم في النهاية - إضافة للقحط والمجاعة اللذين حلَّا بها - في سقوطها أمام ضربات شعوب البحر، ولكن هنا لا بد من ذِكرِ شعوب الفريجيين، الذين يبدو أنهم لعبوا الدور الكبير في القضاء على حاتوشا، والذي جعلهم بعض الباحثين قادمين من اليونان (تراس - تراقية) وقد استوطنوا القسم الغربي من هضبة الأناضول حتى نهر الهليس في أراضي فريجية الأصلية، ثم امتدوا نحو الشرق في قسم من كبادوكيا[1]، ويبدو أن الغزاة الأوروبيين من الفريجيين القادمين من (تراس - تراقية) قد عُرفوا في وثائق الآشوريين بـ(موشكي) Mushki وهم (موشو) Mochoi[2] وسوف نأتي على ذكرهم من خلال صراعهم في أواخر القرن الثاني عشر مع تجلات بليصر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م.

---

(١) نور الدين حاطوم وآخرون: موجز تاريخ الحضارة - حضارات العصور القديمة، ج١، مطبعة العروبة، دمشق، ١٩٦٤م، ص ٢٧٨.

(٢) فيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي القديم - بلاد الشام - سورية ولبنان وفلسطين والأردن، دمشق، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ٢٠٥.

تأريخ غزوات شعوب البحر

ليس هناك تأريخ محدد لبدء هذه التحركات، كما أن ليس هنـاك تواريخ مضبوطة بدقة لزمن بعض تحركاتهم، وزمن دخـولهم، أو تـدميرهم لـبعض المـدن كحاتوشـا أو أوغاريـت، فقـد نجـد في المراجع الكثير من الاختلافات في زمن تحديـد هـذه التحركـات، وهذه الخلافات لا تتجاوز عشر سنوات بـين مرجـع وآخـر، وإن هــذه الاختلافــات لا تــؤثر عــادةً عــلى مــصداقية حــدوث هذه التحركات، إذا ما قيست إلى الزمن الذي نحـن بـصدده، أي أواخر عصر البرونز الحديث، وأوائل عصر الحديد، أي الفترة مـا بين ١٣٥٠ – ١١٠٠ق.م وحتى ١٠٥٠ق.م.

ففي كتب التاريخ التي عـادةً مـا تُنسَبُ إلى ذلـك التـاريخ الموغل في القدم، يكون من المقبول حدوث هذه الاختلافـات، وخاصـة مـا قبـل عـام ٩١١ ق.م، وهـو زمـن نـشوء الدولـة الآشورية الحديثـة، والـذي عُـدَّ زمنـاً مـضبوطاً ومقبـولاً مـن قبل الجميع، وأصبحت التـواريخ التـي تـأتي بعـده مـضبوطةً بدرجةٍ كبيرة.

وهنا لا بد من ذِكرِ أن العديد من المصادر التاريخية، تختلف في زمن حكم العديد من الملوك والقادة الكِبار، الذي يأتي وجودهم في حكم المؤكد، والذي لا يقبل النقاش، أمثال: حمورابي، شوبيلوليوما الأول، رعمسيس الثاني، مرنبتاح، رعمسيس الثالث... إلخ، كل هؤلاء الحكام ليس هناك اتفاق تام حول زمن حكمهم، بل إن الارتياب ما بين مرجع وآخر يتراوح ما بين ٥ - ١٠ سنوات، وهي النسبة المقبولة في الألف الثاني قبل الميلاد، والتي لم تشذ عنها تواريخ أحداث غزوات شعوب البحر.

وبالعودة إلى زمن هذه الغزوات، نجد أن زمن هذه التحركات، استمر على مدى تجاوز ثلاثة قرون من الزمن، وعلى الأغلب إن هذه التحركات لم تكن على وتيرة واحدة، بل كانت تتراوح ما بين الهدوء لفترة من الزمن، يتخللها الكثير من التسلل السلمي لبعض مكونات هذه الشعوب، ومن ثَمَّ تبدأ حملة كبيرة مُدمِّرةَ تستهدف مواقعَ الحضارة، ولكن المتتبع لهذه التحركات، يشهدُ على عدة حملات قوية، منها ما كان يحدث على أطراف مصر من الغرب في عهد مرنبتاح، ومن ثمَّ في عهد رعمسيس الثالث، أي في الفترة ما بين ١٢٢٤ - ١١٩٠ ق.م،

وكـذلك الهجـمات التـي دمَّـرت طـروادة، ومـن ثـمَّ حاتوشـا وأوغاريت وباقي مـدن الـساحل الـسوري مـا بـين ١٢٠٠ - ١١٩٠ ق.م، التي، والحال كهذا، تكون مترافقة مـع الهجـمات التي كانت تُشنُّ على مصر من ناحية الغرب.

نخلص، مما سبق، إلى أن غزوات شعوب البحر، هي عبـارة عن تحركات سلميَّة تارةً، وحربية طوراً، كانت فعاليتهـا كبـيرة مـا بـين ١٣٠٠ - ١٢٤٠ ق.م، تقريبـاً في أوروبـا، وكـان لهـا تأثير كبير على الحضارة الميكينية في الـبر الأوروبي، والمينويـة في جزيرة كريت، وكذلك في الفترة ما بـين ١٢٣٠ - ١١٩٠ق.م، إذ توجّهت ركابها نحـو الـشرق (آسـيا الـصغرى، والـساحل الـسوري، ومـصر وليبيـا) واسـتمرت نحـو الـشرق مـا بـين ١١٦٠ - ١١٥٠ق.م، لتنتهي آخر تحركاتها مع قضاء تجـيلات بليصر الأول على ما تبقّى منها مـا بـين ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م، في مناطق حوض الفرات الأعلى وجواره، وبعدها لم نسمع أيـة أخبـار عـن هـذه القبائـل والـشعوب التـي طواهـا النـسيان، فاندمجت مع باقي شعوب المنطقة، واستقرت فيها.

خط سير تحركات شعوب البحر

يبدو أن المتحركين من شبه جزيرة البلقان، ومن ثمَّ عبرَ جزره إلى مناطق الاستهداف والجذب الحضاري، بما فيها من جذب اقتصادي، خاصة لأننا نتحدث عن فترة جفاف، عزَّت فيها الموارد، وأصبح طلبها يستدعي أحياناً، تحريك الجيوش من أجل الحصول عليها.

ويبدو أن هذا التحرك لم يكن في خط سير واحد، وقد اختلفت الآراء، وإن بشكل بسيط، حول تحديد المحاور التي سلكتها هذه التحركات، ولكنها بالمجمل تتفق على شكل عام واحد. فقد ذكر (دونالد ب رودفورد) في كتابه الموسوم بـ /مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / خطين للسير سلكتهما هذه التحركات، هما:

١ -**الأول**: وهو الطريق الأكثر وضوحاً، على امتداد ساحل المتوسط الشرقي، ويستخدم قبرص كمحطة توقف بسيطة.

٢ - **الثاني**: الأقل وضوحاً، رغم أنه مطروقٌ جيداً، يمضي بالمسافر عبر كريت، ومن ثمَّ جنوباً إلى ساحل أفريقيا الشمالي، حيث ينزل إلى البر بجوار مرسى مطروح

الحالية في مصر، حيث كشفت التنقيبات الأثرية مؤخراً عن وجود نقطة دخول لخدمة التجارة بين كريت وقبرص والدلتا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

بكل الأحوال، كان ساحل غرب الدلتا المصرية معروفاً للبحارة وسائقي القوافل، في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر قبل الميلاد(١).

فيما تذكر بعض المصادر، أن المغيرين الجدد، قد قدموا في هجرتهم هذه من الغرب والشمال الغربي، عبر ثلاثة خطوط، هي:

١ - **الأول:** من البلقان، وقد تألَّفَ من الفريجيين والميسيين، فقد اتحدوا مع الكاشكيين الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسيا الصغرى، وبخاصة السواحل الجنوبية من البحر الأسود، وقد دَمَّرت هذه القبائل قلب الإمبراطورية الحثية، ولم تعد آسيا الصغرى تحتلُ سوى مكانة ثانوية في هامش أحداث تاريخ غرب آسيا القديم.

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٣.

٢ - **الثاني:** انطلق من كريت إلى قبرص، فدمَّر ممالكها بعد أن (هلَّنَ) كاملَ البر اليوناني باتجاه الجنوب، حيث اتحدت مع الليبيين ضد مصر.

٣ - **الثالث:** خروج قبائل البلست، الليرية، والزّاكار، مُنطلِقةً من كريت باتجاه ساحل بلاد الشام، فدمَّرت جميع ممالكه، وتوغلت في الجنوب، وقد تصدى لها رعمسيس الثالث في معركتين على البر والبحر(١).

فيما ذكرت مصادر أخرى أن تلك الشعوب قد سلكت في تحركها طريقين، هما:

١ - **الأول:** وقد انطلق من البلقان، وهو مؤلف من الفريجيين وألماسا(٢) إلى سواحل آسيا الصغرى، واتحدوا مع قبائل الكازكاز (الكاشكا) أعداء الحثيين، الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسيا الصغرى، ولا سيما السواحل الجنوبية من البحر الأسود وبحر مرمرة، وتحركوا نحو

---

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

(٢) ألماسا - ماسا Masa: وهو اسم قبيلة صغيرة كانت موجودة في العهد الحثي ومعروفة برماحها وحرابها.

العاصمة الحثية حاتوشا، وعملوا على إحراقها وتـدميرها، وبعد حاتوشا، سار الغزاة نحو كركميش، ومن ثمَّ جعلـوا قاعدتهم بعدها في أراضي مملكة أمورو.

٢ - **الثاني:** انطلـق مـن جزيـرة كريـت إلى قـبرص فـدمَّرها وأجبر حُكامها على الانضمام إليـه، ثـمَّ تـابع مـسيره إلى جزيرة كريـت، حيـث دمَّرهـا واتجـه إلى جزيـرة أرواد، فجعلها قاعدة له للهجوم على الساحل السوري كله[1].

وتذكر مصادر أخرى أيـضاً أن محـاور التحـرك كانـت عـلى الشكل التالي:

١ - **الأول:** من اليونان (البلقان) إلى آسيا الصغرى، وكانـت تتألف من الفريجيين والميسينيين و«الكاشـكيين»، وأدى إلى دمار الإمبراطورية الحثية.

٢ - **الثاني:** من كريت إلى قبرص ومن ثمَّ إلى مصر، وتتـألف من القبائل الشاردانية واللوكية والميسينية، وقـد أوقـف رعمسيس الثالث تقدم هذا المحور المُتحالف مع القبائل

(١) إبراهيم توكلنا: شعوب البحر، مرجع سابق، ص ٧١٤.

الليبية، عبر غرب مصر في معركة فاصلة في دلتـا النيـل، فاتجهت فلول الغزو نحو فلسطين.

٣ - **الثالـث:** مـن كريـت إلى قـبرص إلى الـسواحل الـشامية، ويتألف من قبائل البلست، الليرية، الزّاكاريـة، وكـان مـن شأن هـذا الهجـوم بالتعـاون مـع القبائـل المهزومـة أمـام رعمسيس الثالث، تدمير معظم المدن الكنعانية الساحلية[١].

وتذكر بعض المصادر أن قبائل البلست التـي انطلقـت بعـد وصولها إلى كريت وإلى الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، إلى أن غادرتها باتجاه الشاطئ الممتد من أسدود (أشـدود) إلى غـزة، في وقتٍ كانت فيه البلاد تتعرض لهجمات شعوب من الرُحَّل مـن الجهة الشرقية والداخل[٢].

أما عن تحرك شعوب البحـر الـذين دمَّـروا حاتوشـا، ففـي الأعوام التي أعقبت الإطاحة بطروادة مباشرة، تجمعت بعـض الدول المشاركة في الحملة الميسينية معاً في اتحاد فـضفاض تحـت

---

(١) صالح الحكيم: الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي في الألف الثاني قبل الميلاد، وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، ٢٠١٠م، ص ١١٣.

(٢) محمد حرب فرزات: موجز تاريخ، مرجع سابق، ص ١٥٠.

قيادة مقاطعات من كاريا، وتحركوا شرقاً على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ومعهم عائلاتهم، ليستقروا في سهول كيليكيا وشمال سورية، كما انطلقت سفن المهاجرين إلى قبرص في انتظار اللحظة المناسبة للانقضاض على حاتوشا[1].

وفي نص هابو (حابو)[2] يصف رعمسيس الثالث تقدم شعوب البحر، فيقول: «قامت البلاد الأجنبية بمؤامرة في جزرهم، وقد زعزعت المعركة وبعثرت البلاد كلها في وقت واحد، ولم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمام أسلحتهم، وقد ابتدوا بخاتي (حاتوشا) وقودي وقرقميش وإرزاوا

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٢) وجدت هذه النقوش على جدران معبد رعمسيس الثالث الكبير في مدينة هابو، وهو المعبد الجنائزي الوحيد الذي يُعدُّ خير وأهم ما بقي لنا من نوعه على الضفة الغربية من طيبة، وليست هناك جدران معبد آخر عليها مثل هذه النقوش البالغة الأهمية، والنقوش الدينية هي الغالبة طبعاً، ولكن مناظر الحروب كثيرة كذلك، وهي تُكمِّل الروايات المكتوبة في صورة قيمة جداً، وقد دوَّن عليها رعمسيس الثالث تفاصيل انتصاراته في سنوات حكمه الخامسة والثامنة والحادية عشرة، انظر كتاب /مصر الفراعنة / سير ألن جاردنر ص ٣١١ - ٣١٢.

وألاسيا (قبرص)... أقيم معسكر في مكان من أمـور، وقـضوا على شعبها وأرضها فأصبحوا كأن لم يكن لهم وجود من قبل... ثم جاؤوا واللهب مُعدٌّ أمـامهم مُتقـدمين نحـو مـصر، وكـان حلفهم مكوناً من بلست، وزكار، وشكلش، ودانو، ووشـش، مُتحدين جميعاً، ووضعوا أيـديهم عـلى الـبلاد جميعـاً إلى محـيط الأرض كلها، وقلوبهم تُردِد في ثقة (لقد نفذنا خطتنا)»[1].

وحول تحرك هذه الـشعوب بعـد تـدميرهم لمدينـة حاتوشـا العاصمة الحثية، يذكر مصدر آخر النص السابق بشكل مختلف، إذ يقول:«من حثي، إلى خود، فقـرقميش، ويريـت، ويـريس، كلهم تم ضربهم دفعة واحـدة، وأقـيم معـسكر في مكـان مـن أمور، دمروا شعبه وأرضه كأنهم لم يوجدوا مبكـراً في التـاريخ، يأتون بَيِّنِي الـشعلة حـاضرة أمـامهم إلى الأمـام باتجـاه مـصر، تحالفهم كان مكوناً مـن بلـست، تيكـير، شـيكيليش، دينينـي، ويشيش... ولقـد أخـذت أراضـيهم، ووضـعوا أيـديهم عـلى

(١) آلن جـاردنر، الـسير آلـن جـاردنر: مـصر الفرعونيـة، ت. نجيـب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعـة كلارنـدون، القاهرة، ١٩٦١مو ص ٣١٤.

الأرض حتى منتصف (الأرض)[1]، قلـوبهم واثقـة ومُطمئنـة: خططنا سوف تنجح»[2].

أما عن تقدم شعوب البحر نحو أوغاريت، فعلى ما يبـدو أنهـا جاءت من قبرص، فمن خلال رسائل مُتَبادلة بين ملك أوغاريت وملك قبرص، نستطيع الاستنتاج، أن القوات العسكرية لشعوب البحر كانت على مقربة من الساحل السوري، ففي البداية احتلـت شعوب البحر جزيرة قبرص، وقد تم بناء رأس جـسر عـسكري على سواحل عمورو (أمورو) في الوقت الذي كانـت فيـه قـوات وأسطول أوغاريت الحربية تحاول مساعدة القوات الحثية في حمايـة حاتوشا، وعبر أمورو - ربما - وصلت جيوش شعوب البحـر إلى أوغاريت ودمَّرتها[3].

إن نظرة مليَّة إلى كل تلك الاحتمالات الواردة في المراجع لخـط سير غزوات شعوب البحر، تؤكد وعلى الرغم من وجـود بعـض

---

(١) وردت في المرجع «الكرة الأرضية» ؟؟.

(٢) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٣) قصي محمد عبد الرحمن: أوغاريت، وزارة الثقافة، سـورية، دمـشق، ط ١، ٢٠٠٨م، ص ١٩٧.

الاختلافات البسيطة ما بين مرجع وآخر، وذلك بسبب نقص المعلومات الواردة حول تلك الفترة من نصوص ونقوش وكتابات، التي يبدو أنها قد دُمِّرت، أو ربما لم تكتب أصلاً، تؤكد أننا أمام تحركات بربرية غزت المناطق والمراكز الحضارية، فقضت على كل شيء، فلم يجد كتّاب ذلك العصر مُتَّسعاً من الوقت لتدوين كل ما حدث، أو ربما دونوه ولكنه حُرِقَ مع ما حُرق من منجزات الحضارة في أواخر عصر البرونز الحديث.

وبالعودة إلى الطُرق والاتجاهات التي سلكتها تلك الشعوب والقبائل المتحركة، نجد أن قواسم مشتركة، بل وأكثر من مشتركة، تكاد تصل إلى حدِّ التطابق فيما بينها، نخلصُ منها إلى تصوّر نهائي مقبول يوجز هذه التحركات بما يلي: لقد كان لهذه التحركات عدة اتجاهات، هي:

١ - **الأول:** خرج من بلاد البلقان، وهو مؤلف بشكل خاص من القبائل الميسينية (الآخيين) والفريجيين إضافة إلى بعض القبائل الأخرى، متجهين نحو الساحل الأيوني في آسيا الصغرى، وقد أدى وصولهم - وبعد القضاء على طروادة - إلى تحرك القبائل الساكنة شمال،

وشمال شرق حاتوشا، فتحالفت مع القادمين الجدد، لتشكيل حلف كبير زحف باتجاه حاتوشا (العاصمة الحثية) وقضى عليها، ومن ثمَّ اتجه نحو كركميش، فقضى على كل المدن والبلدات التي صادفها في طريقه إليها، ومن ثم دمَّر كركميش، وبعدها اتجه نحو أواسط سورية (أمورو)، وجعلَ منها قاعدة لانطلاقته الجديدة، وخاصة نحو مصر والساحل الشامي.

٢ - **الثاني**: هو الاتجاه الذي اتخذ من كريت قاعدةً له، ثم اتجه نحو قبرص، ومنها نحو سواحل بلاد الشام، فدمَّر أوغاريت، ثم استقر في جزيرة أرواد، ومنها انطلق نحو الجنوب وإلى الداخل نحو آلالاخ، وقسم منهم توجّه بشكل خاص نحو فلسطين، وهو مؤلفٌ من بلست وزكار وليريا وتيكير[١].

٣ - **الثالث**: وهو الذي انطلق من كريت أو قبرص نحو سواحل ليبيا، حيث اتحد مع القبائل الليبية، ومعها

---

(١) وربما اتّحد هذا القسم، مع القسم المنطلق من سهول أمورو نحو فلسطين، لخوض معركة زاهي.

شكلوا مُنطلقاً نحو مصر، وعبر سنوات عديدة تجاوزت الخمسين سنة على الأقل.

ونلفت عناية القارئ، إلى أن هذه التحركات لم تتم على دفعة واحدة، وإنما على عدة دفعات، وفي عدة اتجاهات، عبر فترة زمنية مديدة، وسوف نأتي على تفصيل بعضها لاحقاً، وذلك حسب تسلسل زمني تاريخي مُتَّبع قدر المستطاع، في ترقب مسير هذه الشعوب نحو هدفها لتدمير المراكز الحضارية، بُغية نهب خيراتها، وسلب شعوبها، وتدمير بُناها وتاريخها.

وصف شعوب البحر

لقد وردت بعض الكتابات والنقوش والرسومات التي تصف شعوب البحر، والحالة التي جاؤوا بها إلى بلادنا، وإن من يتأمل هذه الأوصاف، يُدرك أبعاد انتقال هذه الشعوب، من أنها شعوب ارتحلت مع عائلاتها، وبحالةٍ همجيةٍ توحي برغبتهم بتدمير كل معالم الحضارة، إضافة إلى السبب الرئيس في قدومهم، وهو السيطرة على مقدرات بلادنا، وخيراتها الاقتصادية، ومن ثمَّ الاستيطان فيها دائماً.

يذكر الباحث الكبير أنطون مورتكات، أن (الفيكنجيين)[1] الذين أسهموا في تدمير الدولة الحثية كانوا يشعلون النيران من على ظهر سفنهم في سواحل آسيا الصغرى وبلاد الشام. أما فيما يتعلق بوصفه لقبائل البلست، فيقول: «أما فيما يتعلَّق بلغتهم، فإننا لا نعلم شيئاً عنها حتى الآن، وبالمقابل يمكننا أن نتصور منظرهم الخارجي، انطلاقاً مما خلَّفه لنا المصريون في رسومهم لهم: يتميز محاربوهم بتاجٍ مُزيَّن بريشة يغطي رؤوسهم»[2].

ويصف الباحث فيليب حتّي أحد أسياد مدينة أشدود من البلست في كتابه الموسوم بـ /تاريخ سورية ولبنان وفلسطين / إذ يقول: «وتظهر صورة أحد أسيادهم بلحيةٍ على الشفة السفلى، وشعرٍ مجدولٍ على الجانب، على غطاء تابوت من الخزف وُجِدَ في

---

(١) يقصد الفريجيين.

(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

بيت بِلتِ Beth - Pelet [1] (خربة المشاش) قرب بئر السبع في أقصى جنوبي فلسطين»[2].

فيما يصف ليونارد وولي مكتشف آلالاخ في كتابه الموسوم بـ /آلالاخ مملكة منسية / إذ يقول: «وأما حركة شعوب البحر الكبيرة التي دمَّرت مدينة حاتوشا في الأناضول، فاتجهت نحو الجنوب واجتاحت سورية كالسيل العارم، الذي يجرف الأرض ومن عليها، وكان مع هؤلاء الغزاة أطفالهم ونساؤهم، محمولين على عربات ذات دولابين تجرها ثيران»[3] ذات سنام.

فيما تصف لنا مُدونات السنة الثامنة لرعمسيس الثالث قبيلة (التيكير) وهي من شعوب البحر، بقولها: «وهؤلاء يرتدون بصورة مميزة عُصابة للرأس تنتأ منها ريشة (الهبليت) الكبيرة

---

(١) هكذا وردت في الكتابات اليهودية.

(٢) فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ت. جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ج١، ١٩٨٢م، ص ١٩٧.

(٣) ليونارد وولي: آلالاخ - مملكة منسيّة، دراسات ونصوص قديمة (٥)، ت. فهمي الدالاتي، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ١٩٩٢م، ١٥٠.

العريضة، وقطعة واقية أسفل العنق، وتشتمل أسلحتهم على السيوف الطويلة، والرماح، والتروس المدورة، وأحياناً الدروع»[1]، ويخبرنا السفير المصري (أون - أمون) عن إمكانية التيكير البحرية العظيمة، كونهم قراصنة متمرسين، والذين استطاعوا بِشقِّ النَّفس قطع الطرق البحرية التي كانت تسلكها السفن الصورية[2]، وهذا ما أكَّده أيضاً فيليب حتي في كتابه الموسوم بـ / تاريخ سورية ولبنان وفلسطين / إذ يقول في وصف التيكير: «وكان نشاط لصوص البحر في شرقي المتوسط في زمن (أون - أمون) مصدره جوالة البحار هؤلاء..» [3].

وقد ورد في النصوص المصرية القديمة وصف لشعوب البحر بأنهم: «سكان الجزر الشمالية». أما عن وصف شعوب البحر التي هاجمت مصر عن طريق ليبيا، بالتحالف مع قبائل (اللابو - الليبو) Labu إضافة إلى قبائل المِشوش البحرية،

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٢) يولي بركوفيتش تسركين: الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ت. يوسف أبي فاضل، دار جَروس برس، طرابلس، لبنان، ط١، ١٩٨٨م، ص ٢٦.

(٣) فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، مرجع سابق، ص ١٩٦.

فقد وُصِفوا بـ عباءاتهم الطويلـة المُذيلـة، ولحِـاهم وشـعورهم الملفوفـة في جديلـةٍ واحـدةٍ عـلى أحـد الجوانـب، وقـد قـدَّم هيرودوت وصـفاً مفـصلاً نوعـاً مـا للقبائـل الليبيـة في زمنـه، وبالتحديد المِشوش إذ يقول: «هي قبائل تعيش في بيوت عادية وتمارس الزراعة، وعلى رأسها قبيلـة المِـشوش الـذين يُطيلـون شعورهم على الجانب الأيمن للرأس، ويحلقون الجانب الأيسر، ويلطخون أجسادهم ببقعٍ حمراء، ويدّعون أنهم ينحـدرون مـن أصل طروادي»[1]... إلخ.

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٤.

الفصل الثالث

شعوب البحر تغزو مصر

أولاً: شعوب البحر في عهد مرنبتاح ١٢٢٤ -١٢١٤ ق.م

لقد كان من أهم الآثار التي نجمت عن تفرق الآخيين واضطراب فترة حكم تودخاليا الرابع ١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م هو تحرير تلك الدول والشعوب الأقل شأناً في الجزر الممتدة على طول بحر إيجة، وعلى امتداد الساحل الغربي لآسيا الصغرى، والتي كانت فيما سبق، تخضعُ لسيطرة الإمبراطورية الحثية، أما الآن ومع المستجدات الدولية سالفة الذكر، فقد قويت هذه الدول وبدأت بالتحرك بُغية إيجاد مناطق وفيرة الغلال والمحاصيل، لذلك كانت الدول الغنية في الشرق« صيداً مناسباً» وقد منحتهم صفاتهم القتالية الكبيرة، وأسلحتهم

المتفوقة (الحديد)[1]، ثقة كبيرة بالنفس، خاصة في ظلِّ اضطراب الحكم في دول الشرق، وخاصة مصر التي أدَّت دور الجذب الكبير بالنسبة للشماليين (سكان جزر الشمال) وكان طريق وصول هؤلاء إلى مصر، عن طريق البحر المتوسط، عبر احتمالين:

١ - الوصول إلى قبرص، وعدَّها محطةً للوصول إلى مصر.

٢ - الوصول إلى مصر، عبر جزيرة كريت، ومن ثمَّ جنوباً إلى ساحل أفريقيا الشمالي، حيث ينزل، إما في شواطئ ليبيا، أو في منطقة مرسى مطروح المصرية، حيث كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود موقع كان يُستخدم لخدمة التجارة بين كريت وقبرص والدلتا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد[2].

---

(١) يُعتقد أن الإيجيين ورثوا التقدم الكبير في مجال التعدين الذي حصل في البلقان في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، وهو تقدم أفصحَ عن نفسه بالسيوف الطويلة، والتروس والخوذات والدروع، لدى عدد كبير من أفراد شعوب البحر.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢١٢، ٢١٣.

تولى مرنبتاح العرش، وكان له من العمر ستون عاماً، ومنذ بداية حكمه واجهته المشكلة التي واجهت كل الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وجزره، ومن المحتمل أن بداية هذه الأزمة نشأت منذ عهد جده سيتي الأول ١٣٠٧ - ١٢٩١ق.م الذي ترك الحرب في فلسطين، وذهب إلى الحدود المصرية - الليبية، ليخوض معركتين ضد ما يُعتقد أنهم شعوب البحر[١].

ويبدو أن ثمَّة ثورة قامت بها مناطق غربي سورية وفلسطين، التي كانت خاضعة لمصر، والظاهر أن مرنبتاح - وحسب ما أوردته أنشودة خاصة بهذا النصر - قد ذهب شخصياً إلى هناك، وذلك في السنة الثالثة من حكمه، وقمع الاضطرابات، على الرغم من كِبَرِ سنه[٢]. والثابت أن مرنبتاح لم يرجع من آسيا

---

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢١٥.

(٢) جيمس هنري برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي - صفحات من تاريخ مصر (٤)، ت. حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦م، ص ٣١٣.

إلا بعد أن قمع ثورتها، وأرجع الأمن إلى نصابه، ولا يُحتمل أن يكون وسَّع حدوده هناك عمّا كانت عليه أيام والده[1].

لم تقم شعوب البحر التي استقرت على الحدود المصرية الليبية بالهجوم مباشرة على مصر، فإنهم ومن بعد استقرارهم في ليبيا، ومزاحمة الليبيين على معيشتهم، بدؤوا بالتسرب إلى مصر، على شكل جماعات سلْميَّة وطبيعية في بادئ الأمر، لكن هذه التسرّبات ما فتئت تتحول شيئاً فشيئاً لتُصبِحَ أكثر خطورةً على مصر، لأنها أضحت تتخذ صفة الفتح والاستيطان، خاصة بعد أن أدخلوا معهم نساءهم وأولادهم ومواشيهم، وبدؤوا بالسيطرة على منطقة الدلتا[2]، وباتت تحركاتهم تُنبئ عن أعمال

---

(١) يذكر جيمس هنري برستد في كتابه / تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي /، أنه: «لا يستبعد أن يكون مرنبتاح، قد اقتصَّ تماماً من الحثيين، والظاهر أن الحثيين في تلك الآونة، قد ساعدوا أهالي البحر المتوسط من ليسيين ودردانيين، وهم الذين اتحدوا مع الليبيين في غربي الدلتا، والظاهر أن الحثيين قد ساعدوا هؤلاء الأقوام أدبياً على الأقل، إن لم يكن ماديّاً، ثم زادوا على ذلك فأوقدوا نار الفتنة في مستعمراته الآسيوية رغبة منهم في ضمها إلى أملاكهم».

(٢) عبد العزيز عثمان: مرجع سابق، ص ١٥٤.

عسكرية مرتقبة، وعندما حاول هؤلاء التقدم عبر طريق مُنخَفَض وادي النطرون[1]، استطاعوا التوغل حتى اقتربوا من منطقة كفر الزيات[2]، ويذكر جيمس هنري برستد في هذا الصدد: «أن الليبيين التحنو Tehenu - Libyans[3]، استمروا يزحفون على مصر بطريق مستعمراتهم على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ويُحتمل أن تكون طلائعهم وصلت وقتئذ إلى قناة عين شمس»[4].

وعندما علم مرنبتاح بالخطر المُهدد لكيان مملكته، قام بتحصين قلاع عين شمس ومنف، وفي آخر مارس من السنة الخامسة - أي نحو ١٢١٩ق.م - من حكمه بلغه خبر زحف

---

(١) محمد حرب فرزات: محاضرات في تاريخ الشرق القديم - مصر القديمة وحضارتها، دمشق، ١٩٨١ - ١٩٨٢م، ص ٢١٦.

(٢) محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم - من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص ١٩٤.

(٣) إقليم التحنو، متاخم لحدود مصر الغربية، ويلي ذلك غرباً القسم المعمور بقبائل ليبو أو ريبو المعروفين عند اليونانيين بالليبيين.

(٤) جيمس هنري برستد: تاريخ مصر، مرجع سابق، ص ٣١٣.

الليبيين على مصر، فاستدعى موظفيه بسرعة، وأمـرهم بحـشدِ جيوشه وتجهيزها للقتال في ظرف أربعة عشر يوماً[1].

لقد استطاع مرنبتاح التصدي لهم، والقضاء على زعيم ذلك التحالف الذي يـدعى (مـاراي) Maraye[2] وكـان أبـوه يـدعى (ديد) Did الذي كان يُلقَّب بملـك (ليبـو) Libu أي الليبيـين[3]، وقد ظهرت في هـذا الوقـت لأول مـرة، ويُعتقـد الآن أن هـذه القبيلة، ربما جاءت من منطقـة برقـة المـشرفة عـلى البحـر، لأن حلفاءها كانوا من شعوب البحر الذين لا يَستَقِرُ لهم قرار، وقد

(١) جيمس هنري برستد: تاريخ مصر، مرجع سابق، ص ٣١٥.
(٢) مريي Mwryey الذي أجبر بدو التحنو على أن ينضموا إليه. وكان مريـي قد استعان بحلفائه، قراصنة البحـر الأبـيض المتوسـط لامكزنينـي مـن سدينيين وشاكلاشيين من صقلية وآشيين المعروفين باسم Ekwesh وهم الذين سطوا على مصر أيام أمنحوتب الثالث، والأتروسكيين المعروفين على الآثار باسم (ترش) وهؤلاء الأقوام هم أقدم من أتوا إلى مصر مـن سكان أوروبا وكانوا ينهبون البلاد بالسطو وقد ورد ذكرهم في نصوص عهد المملكة الوسطى، ولكن هؤلاء ليسوا أول الأوروبيين الذين أتوا إلى مصر لأن المعروف عنهم أنهم عبروا البحر المتوسـط كثـيراً فـيما مـضى، وإليهم يعزى أصل الليبيين البيض البشرة.
(٣) كان قدماء المصريين يطلقون اسم ليبو على سكان البادية الغربية.

ذهب مرنبتاح - بعدما استطاع جمع جيشه فيما لا يقلُّ عن أسبوعين - لصدِّ هذا الهجوم عند حدود مصر الغربية في مكان من غرب الدلتا يدعى (باير) Pi – Yer[1]، ومن المؤكد أن مرنبتاح نجح في صدِّ هذا الهجوم، بعد معركة استمرت نحو ست ساعات، وقد انتهت بطرد الليبيين من مصر، إذ جاء في النصوص المصرية، ويبدو أن الأمير الليبي الذي ولَّى هارباً في جنح الليل وحيداً، لم تكن في رأسه ريشة، وكان حافي القدمين، ولم يكن معه ماء ليحفظ عليه حياته، فقد فرَّ إلى بلده يائساً من النصر، تاركاً جميع أسرته وأثاث منزله في أيدي المصريين.

والجدير بالذكر، أن بعض المصادر تذكر أن عدد المهاجمين كان كبيراً (نحو العشرين ألف مقاتل)، وقد بلغ عدد القتلى ستة آلاف[2]، وعدد الأسرى أكثر من تسعة آلاف، كان من بينهم نساء الملك الليبي وأولاده وإخوته[3].

---

(١) وردت باريرو قرب بتوفي في شمال غرب الدلتا عند دونالد ب. رودفورد.

(٢) وردت تسعة آلاف عند دونالد ب. رودفورد.

(٣) يبدو أن العدد مبالغ فيه، وهي عادة ملوك مصر.

وهنا تتعدد أسماء هذه الشعوب، ما بين مصادر ومراجع تلك الفترة الزمنية، فبينما يذكر د. محمود عبد الحميد أحمد، في كتابه الموسوم بـ /دراسات في تاريخ مصر الفرعونية / قبائل (الأكيين، والتيرسيين، والليكيين، والسردينيين، والصقليين)[1]، نجد أن الباحث د. أنطون مورتكات، يذكرهم في كتابه الموسوم بـ / تاريخ الشرق الأدنى القديم / إذ يقول: «وكما اتحد الليبق (الليبو) مع الشاردانيين، والليقيين، والتورشيين، وشعوب بحرية أخرى»[2] ولا حاجة لبذل الجهد لنعرف أن الشاردانيين هم السردينيون، والليقيين هم الليكيون.

فيما ذكرتهم صفيّة سعادة في كتابها الموسوم بـ /أوغاريت /إذ تقول: «ليس فقط الليبيون، بل الأكويش[3]، والترنيش[4] واللوكا،

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢١٥، ٢١٦.

(٢) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٥.

(٣) الإيجيين أو الليسيين.

(٤) أي الليديين.

والشردين، والمشوش[1]، والـشيكيليش»[2]، فـيما يعـددُ أسـماءهم الأستاذ أحمد أمين سليم، في كتابه الموسوم بـ /دراسات في تـاريخ الشرق الأدنى القديم - مصر - العراق - إيران / إذ يقول: «تمكَّن ملك قبيلة ليبو من أن يجمع من قهق ومشوش بجانب خمـسة مـن شعوب البحر، معهم نساؤهم وأطفالهم وماشيتهم..»[3]، فيما تَرِدُ أسـماؤهم عنـد الباحـث دونالـد ب. رودفـور في كتابـه الموسـوم بــ / مـصر وكنعـان وإسرائيـل في التـاريخ القـديم / إذ يقـول: «والـ مشوش، والآشوتا، والحاسا، وآخرون..» ويـرى أن هـذه القبائل كانت تسير تحت قيادة قبيلة (اللابـو) –وهـم مَـن سُـمِّي زعيمهم باسم (ميريه أو ماراي) - الأقوى فيهم سياسياً وعـددياً،

---

(١) المشواش: Meshwwsh قطنوا غربي بلاد الليبيين (الصحراء المجهولة الحد وقتئذ)، وهم قوم متمدنون نوعاً ما، وهـم مـاهرون في الفنـون الحربية، ويلاحظ أن جهات غـربي الـدلتا امتزجـت بالـدم الليبـي، وكثرت فيها الأسر الليبية.

(٢) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٤.

(٣) أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنـى القـديم - مـصر - العــراق - إيــران، دار النهــضة العربيــة، بــيروت، لبنــان، ١٩٨٩م، ص ١٦٧.

كما أنه يرى أنهم اجتاحوا مصر من أقصى الشمال، حيث يوجد شريط الواحات الغربية ومن ثمَّ دخلت الدلتا.

إن نظرة مليَّة في الأسماء السابقة، تُظهِرُ مدى حجم التطابق الكبير في أسماء هذه القبائل، ويبدو أن الاختلافات ناجمة عن اختلاف الترجمة، أو لجنسية الكاتب، أو لأسباب فنية أخرى.

فالأكيون عند محمود عبد الحميد أحمد، هم الأكويش (الإيجيون) عند صفيّة سعادة، والتيروسيون عند محمود عبد الحميد أحمد، هم التورشيون عند أنطون مورتكات، وهم الترنيش (الليديون) عند صفيّة سعادة، فيما الليكيون عند محمود عبد الحميد أحمد، هم الليقيون عند مورتكات، وهم اللوكا عند صفيّة سعادة. كما أن السردينيين عند محمود عبد الحميد أحمد، هم الشاردانيون عند أنطون مورتكات، وهم الشرديون عند صفيّة سعادة، ومنهم جاءت تسمية جزيرة سردينية (التي سكنوا فيها فيما بعد).

وقد أورد محمود عبد الحميد أحمد اسم الشيكيليش، وهو الاسم الذي ورد عند صفيّة سعادة على شكل الصقليين، وهذا

طبيعي، فاسم صقلية قد جاء من (شيكيليش - ثكلس - صقلية)[1]، أما تسمية اللابو، فقد وردت على عدة تسميات، مثل: (ليبو - الليبيق - الليبيين) ومنها جاءت تسمية ليبيا حالياً، فيما انفرد د. دونالد ب . رودفورد بذكر اسمين هما (الآشوتا - الحاسا).

نجد، ومن خلال هذا التطابق في الأسماء بين مختلف الباحثين، مدى صحة حدوث هذه الغزوة على ليبيا، وعدم تشكيك أحدٍ بها، (انظر جدول الأسماء في ملاحق الكتاب).

وبعد الانتصار الكبير الذي حققه مرنبتاح[2]، على هذه القبائل، اتجه قسم منها نحو الجنوب، بُغية الوصول إلى وادي النيل في منطقة النوبة، ولكن المصريين استطاعوا أن يردوهم عنها[3].

وبموت مرنبتاح، مرَّت على مصر فترة من الانقلابات والاضطرابات، اغتصب خلالها الحكم بعض المغامرين من

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٢) وردت عند دونالد ب. رودفورد: بمعركة الساعات الست.

(٣) محمد أبو المحاسن عصفور: مرجع سابق، ص ١٩٤.

خـارج الأسرة المالكـة (يارسـو) الأمـوري الـسوري الأصـل[1]، ما أدخل البلاد في حالة مـن الـضعف والتراخـي، ولم يكـن ثمَّـة ما يدعو للاستخفاف بـالليبيين، فخـلال أكثـر مـن عقـدين مـن الـزمن مـن الحكومـات الـضعيفة، حكـم خلالهـا أربعـة أو خمسة ملـوك ضِـعاف، إلى أن وصـل إلى الحكـم (سـت نخـت) ١٢٠٠ -١١٩٨ق.م مؤسس الأسرة العشرين (أسرة الرعامسة) ووالد رعمسيس الثالث ١١٩٨ -١١٦٥ ق.م الذي سيكون لـه شأن كبير في صدّ غزوات شعوب البحر على مصر، بعدما عـادت من الغرب، وبدأت مُقدماتها تظهر من الشرق.

ثانياً: شعوب البحر في عهد رعمسيس الثالـث ١١٩٨ - ١١٦٥ ق.م

بعد فترة الاضطرابات التي عمَّت مـصر إبـان الفـترة مـا بـين موت مرنبتاح، ووصول رعمـسيس الثالـث إلى الحكـم، اسـتغل اللابو والمِـشوش ضـعف وانـشغال الدولـة المـصرية بـصراعاتها الداخلية، فدخلوا مـصر مجـدداً، حتـى وصـلوا إلى غـرب الـدلتا

(١) محمد حرب فرزات: محاضرات، مرجع سابق، ص ٢١٧.

الغربية، من غير أن يعترضهم أحد، واستقروا بعيداً إلى الشرق، حتى ضفة النيل الأوسط، مُدمِّرين مدن منطقة زويتي Xoite، ولم يتمكّن «الفرعون» سيبتاح السيئ الحظ، من ردِّهم عنها، بسبب إصابته بشلل الأطفال، وسيطرة أخته (تاووسرت) ومستشاره الكنعاني الأصل (باي) Bay[1]، على موقع القرار.

غزوة السنة الخامسة من حكم رعمسيس الثالث عام ١١٩٣ق.م

يبدو أن السبب الحقيقي في تفجّر الأوضاع ثانيةً على الحدود الغربية مع ليبيا، كان بسبب العداوات التي تشكَّلت حول خلافة السلالة الحاكمة بين قبيلة اللابو، وقد كان رعمسيس الثالث قد رفض أن يُطلق سراح أحد أبناء الزعيم الليبي، الذي كان قد أسره ليَخلُفَ أباه[2]، فكانت الشرارة التي أعادت الحرب ما بين الطرفين، وقد جاء في نقوش معبد هابو (حابو)، أن الملك رعمسيس الثالث، قام بحملة عسكرية ضد جيران مصر الغربيين المعروفين بـ (التحنو)،

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٥.
(٢) المصدر نفسه: ص ٢١٥.

ونستنتج من هذه النقوش، أن ثورة قامت في هذه المنطقة، لأن «الفرعون» ساعد حاكماً ليبياً من الموالين لمصر على الوصول إلى السلطة.

وقد ذكرت النصوص المصرية في هذه الحملة ثلاث قبائل رئيسية[1]، وقفت في وجه الفرعون، وهي قبائل (الليبو - السبد - المشوش[2])[3]، ولكن المؤرخ (دونالد ب. رودفورد) يذكر أسماء الذين غزوا مصر في هذه الحملة، فيقول: «كانوا من المشوش والأسبوتاي والحاسا، ومن الإيجيين فرقة من الزاوية الجنوبية الغربية لآسيا الصغرى، الكاركيز هذه المرة، وفرقة أخرى من ساموس وأبديرا»[4]، ولا ندري من أين جاء رودفورد بأسماء الحاسا والكاركيز، إذا رأينا أنه يعني

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢٢٠.

(٢) المشوش الذين ورد ذكرهم للمرة الأولى منذ عهد أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ق.م.

(٣) وقد صوَّرت النصوص المصرية أسرى هذه الحملة بلحى حمراء وخصلات شعر جانبية، وثياب طويلة مزينة.

(٤) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٥.

بالأسبوتاي هم السبد، فهل يعني بالكاركيز (الكازكاز) الـذين مرُّوا معنا سابقاً، مع العلم أنه ذكر شعوب الحاسا مـن ضـمن الشعوب التي غزت مصر، وحاربهـا مرنبتـاح في سـنة حكمـه الخامسة، وقد ذكرناها سابقاً؟

وقد كـان النـصر في هـذه المـرة كبـيراً، فـاق نـصر مرنبتـاح السابق، فقد دوَّن رعمسيس الثالث نـصره هـذا عـلى جـدران معبد هابو، بقوله: «أنا رعمسيس الثالـث، دمَّـرتهم وذبحـتهم وفي ضربة واحدة أطحت بهم، أوقعـتهم يتخبطـون بـدمائهم، وحولتُهم إلى كوم من الجثث، ردعتهم عن وضع أقدامهم عـلى حدود مصر... وجئت بمن تبقى... أعداداً غفيرةً من الأسرى، مثل طيورٍ مقصوصة الجناح أمام خيولي، ونـساؤهم وأطفـالهم بعشرات الآلاف»[1].

وعلى الرغم من المبالغـة الواضـحة في مـدونات رعمـسيس الثالث، وهي صفة معظـم ملـوك الـشرق، إلا أنهـا لـن تُغيـب الحقيقة، في تحقيقه نصراً كبيراً على هـذه الـشعوب المُغـيرة عـلى

---

(١) المصدر نفسه: ص ٢١٥.

مصر، عند حدود الدلتا الغربيـة، والتـي كانـت في طريقهـا إلى منف، وربما على مقربة من الفرع الكاتوني، أي من نهاية الطريق الساحلي، أو عند (كوم أبو بللو)، وهي إحـدى المـدن المـصرية المهمة في ذلك العصر، وقد وزّع رعمسيس الأسرى الكُثر عـلى حصون مصر، ليعملوا فيها[1]، وبذلك زال الخطر الليبـي، عـلى الرغم من أن المشوش شنّوا في مناسبة أخرى - بعد نحو سـت سنوات - غارة لحسابهم الخـاص، فقـد خـاب سـعيهم، إلا أن تفاصيل ثانوية في مدونات رعمسيس الثالـث في معبـد هـابو، تُنذِرُ بأشياء قادمة، فاثنان من الزعماء الأسرى، يحملان اسـمين ليسا من نوع الأسـماء الليبيـة، وهمـا (مـيلادي وموسـخيون)، يتحدد شكل كل منهما كأسير راكع بغطاء رأس مُزيّن بـالريش، وله حاشية عريضة لينة، ولم يمضِ وقت طويل حتـى شـهدت مصر محيطاً حقيقياً من هذا الريش[2]. وهـذا مـا سـوف نـراه في حملة رعمسيس الثامنة.

---

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢٢٠.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٥.

غزوة السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث ١١٩٠ - ١١٨٩ق.م

لم تمضِ على حملة رعمسيس الثالث ضد تحالف قبائل شعوب البحر مع قبيلة الليبو سوى ثلاث سنوات، رمَّم فيها رعمسيس الثالث جِراحه، وأعاد بناء قواته العسكرية، مُنتظراً الطريق الذي سوف تسلكه هذه التحركات البحرية والبرية الكبرى، والتي كانت تستهدف من ضمن ما تستهدف، الاستقرار في مصر.

وفي هذه الجولة الجديدة، التي يبدو أنها كانت حاسمة في إيقاف هذه الشعوب، وتدمير قواتها، والقضاء على أملها في الدخول إلى مصر، فقد تقدمت هذه الشعوب باتجاه مصر قادمة من جهة الشرق.

فبعد خروج الشعوب والقبائل المُغيرة من حاتوشا بعد تدميرها، وبعدما مرّت على كركميش، اتجهت نحو منطقة أواسط سورية، مُندفعة من خلال ممرات جبال طوروس إلى سهول مملكة أمورو، ومن أمورو[1]، اتجهت نحو مصر عن

(١) أي في وادي اليوثيروس، وهو وادي النهر الكبير الجنوبي.

طريق فلسطين، لتشتبك مع القوات المصرية في معركة زاهي نحو العام ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م، وفي وصفه لتقدم هذه الشعوب نحو بلاده، دوَّن رعمسيس الثالث سيرهم على أحد جدران معبد مدينة هابو قائلاً: «قامت البلاد الأجنبية بمؤامرة في جزرهم، وقد زعزعت المعركة، وبعثرت البلاد كلها في وقت واحد، ولم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمام أسلحتهم، وقد ابتدوا بخاتي وقودي وقرقميش وأرزاوا وآلاسيا... أُقيم معسكر في مكان ما من أمور... وقضوا على شعبها وأرضها، فأصبحوا كأن لم يكن لهم وجود من قبل... ثم جاؤوا واللهب مُعدٌّ أمامهم، مُتقدمين نحو مصر، وكان حلفهم مكوناً من بلست وزكار وشكلش ودانو ووشش، متحدين جميعاً، ووضعوا أيديهم على البلاد جميعاً إلى محيط الأرض كلها، وقلوبهم تردد في ثقة (لقد نفذنا خطتنا)، ولكن قلب هذا الإله سيد الآلهة كان مستعداً ومجهزاً لاقتناصهم كالطيور، لقد دعَّمتُ حدودي في زاهي (فلسطين وسورية) وأعددت أمامهم الأمراء المحليين وقواد الحاميات والماريانو (البدو)، وأمرت بأن يُجهَّز مصب النهر كسور قوي بالسفن الحربية والغلايين

والزوارق، التي كانت مُعدَّة إعـداداً تاماً مـن قبـل ومـن بعـد بالشجعان من الرجال الذين يحملون أسلحتهم، ومن المشاة من خيرة المصريين، الذين كانوا كالأسود المزمجرة فوق الجبال، أما العربات فكان بها المحاربون الأكفاء، وكل الـضباط الممتـازين ذوي الأيدي القادرة، وكانت خيـولهم ترتعـد كـل مفاصـلها، مُستعدين لِسحقِ البلاد الأجنبية تحت حوافرها».

ويتابع رعمسيس في وصفه من وصل من المغيرين إلى حدوده، فيقول: «أما عن أولئك الذين وصلوا إلى حدودي، فليست فـيهم بذرتهم، قلوبهم وأرواحهم انتهت إلى الأبد... أولئك الذين تقدموا من ناحية البحر[1]... كان اللهب الكامل أمامهم عند مصبّ النهر، وكان سياج من الحِراب يُحيط بهم على الشاطئ»[2].

نستنتج من قراءة النص السابق، أن المعركة التي حدثت بـين المصريين وشعوب البحر، كانت عبارة عـن معـركتين، واحـدة

(١) تذكر بعض المصادر، أن شعوب البحر كانوا يمتلكون سفناً شراعيـة ذات مجاذيف، لكن مشهد المعركة البحرية في مدينـة هـابو، لا تظهـر فيه تلك المجاديف.

(٢) آلن جاردنر: مرجع سابق، ص ٣١٤.

بريَّة على الأغلب في منطقة فلسطين الجنوبية، والأخرى معركة بحريَّة، كانت على مصب نهر النيل في البحر المتوسط[1].

أما عن وصفه للمعركة البحرية فيقول: «جهزت لهم شبكة لاقتناصهم، فكان من دخل منهم إلى مصب النهر، يُحصَرُ ويسقط في داخلها، ثم يقيدون في أماكنهم، ويُذبحون ثم تُقطّع جثثهم»[2]، انظر إلى النقش الذي يصور المعركة في ملحق خاص بالكتاب.

أما عن الشعوب التي غزت مصر في السنة الثامنة، فإضافة إلى ما ذكره السير آلن جاردنر في قراءته لنقش هابو، يُضيف المؤرخ دونالد ب. رودفورد في قراءةٍ للنقش نفسه، إذ يقول: «إن من هاجم مصر في هذه المعركة هم شعوب البلست والتجيكرو والشيكيليش والدعنو والـ واش واش» وفي تفسيره لمصدر هذه الشعوب يرى رودفورد أن: الواش واش مرتبطون بجزيرة لاسوس قُبالة ساحل كاريا، أما عن الدعنو، فهم مُتطابقون مع (دنعشي) هومر، الاسم الوصفي العام الذي

(١) وقد تمَّ تحديد موقعها بالضبط، في موقعة بيلوزيوم في الدلتا، انظر صفية سعادة في كتابها /أوغاريت / ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣١٦.

أُطلق على الإغريق عامةً، فيما رأى أن مصدر الشيكيليش من ساغالاسوس في بيسيديا[1].

فيما يذكر د. محمود عبد الحميد أحمد، أسماء الشعوب التي هاجمت مصر، في حملة السنة الثامنة، على الشكل التالي: (الشكلش والوشاش والدانو أو الدانونا[2] والبلست والزكار) مُضيفاً اسم الدانو إليهم، لكنه يطرح تسلسلاً جديداً لخط سيرهم، يخلط الأوراق من جديد، وخاصة فيما يخص الشعوب التي دمَّرت أوغاريت، ونحن نعلم أن من دمَّر أوغاريت، هم

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٢) تذكر رسائل تل العمارنة (الرسالة ١٥١) المتضمنة تحريراً - تقريراً عن الأوضاع في بلاد كنعان، وتشير إلى حدودها الشمالية ببلاد (دانونا)، وكانت هذه مملكة صغيرة في المناطق الشرقية من سهل كيليكيا قُبالة خليج إسكندرون ومتاخمة لبلاد الحثيين في جهة الشمال. نص الرسالة: يقول (أبي ملكي) حاكم صوريّ (صور) فيها للملك المصري أمنحوتب الرابع (أخناتون): «لقد كتب، سيدي إليَّ عمّا سمعته عن بلاد كنعان، أقول: لقد مات ملك بلاد دانونا، وصار أخوه ملكاً بعده، وبلاده تشهد السلام....»، انظر كتاب /مراسلات تل العمارنة الدولية /، د. فاروق إسماعيل، ص ٤٧.

شعوب قادمة من قبرص، وهذا ما سنناقشه لاحقاً، ولكنني أعتقد أن ذكره لأوغاريت هنا، جاء عن غير قصد، أو ربما لأسباب نجهلها، إذ يقول في معرض ذكره، لمسير شعوب البحر التي دمَّرت حاتوشا بشكل دقيق:«وانحدرت شعوب البحر بعد ذلك جنوباً، وقد جلبوا معهم نساءهم وأطفالهم على عربات تجرها الثيران، فقضوا على مملكة أوغاريت، وبعد ذلك عسكروا في سهول سورية الوسطى، للقيام بالمرحلة الثانية»، وأعتقد أنه يقصد بسهول سورية الوسطى، سهول أمورو، والمرحلة التالية، هي غزو مصر.

وبالعودة إلى معركة زاهي، والتي يعدُّها د. محمود عبد الحميد أحمد، فلسطين الحالية، إذ يقول:«واستطاع هذا الملك أن يهزمهم في منطقة زاهي (فلسطين الحالية /اليوم) ويقضي على قوتهم قضاءً مبرماً»[1].

فيما يحدد د. عبد العزيز عثمان، بدقة أكثر موقع معركة زاهي البرية والبحرية، ففي كتابه الموسوم بـ /معالم تاريخ الشرق

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢٢١.

الأدنى القديم / يقول: «فَجرت معركة كبـيرة في الـسنة الثامنـة من حكمه، بين قواته وبينهم، عنـد مدينـة رفـح، بـالقرب مـن الحدود المصرية، كما جرت معركة بحرية بالقرب من موقع بور سعيد اليوم».

إذن، فقــد حقــق رعمــسيس الثالــث انتــصاراً كبــيراً في هــذه المعركــة، ووقــع عــدد كبــير مــن المغــيرين في الأسر، وهكذا نجح رعمسيس الثالث في إنقاذ مصر مجدداً، مـن غـارةٍ خطرة لا تقلُّ في نتائجها البعيدة عـن دخـول الهكـسوس، إن لم تكن أشد منها.

وبعد أن اطمأن رعمـسيس عـلى حـدوده، تـرأس حملـة إلى سورية، ليُعيد سيطرته عليها، ويطهِّر فلسطين من بقايا شـعوب البحر، وقد ذكرت أخبار هذه الحملـة عـلى جـدران معبـده في مدينة هابو، وهي تقصُّ علينا أنه حاصر خمسَ مدنٍ، ووصل إلى الفرات، وتفرقت شعوب البحر، فاستقر أكثرهم في البلاد التي حلّوا بها كسكانٍ مُسالمين[1].

(١) عبد العزيز عثمان: مرجع سابق، ص ١٥٦، ١٥٧.

غزوة السنة الحادية عشرة من حكم رعمسيس الثالث نحو ١١٨٧ق.م

بعد أن خاض رعمسيس الثالث في سنة حكمه الثامنة حرباً ضد شعوب البحر الشماليين، وتمكَّن من هزيمتهم، عمل على تقوية جيشه، وتزويده بالعِدة والعِتاد، كما عمل على إقامة الاستحكامات اللازمة، اتِّقاءً لخطرٍ قد يَقَع، وهو في غفلةٍ من أمره، من الشرق كان ذلك أو من الغرب، وقد صدق حدْسُ الفرعون، إذ لم تأتِ سنته الحادية عشرة، حتى رأى الليبيين يُعيدون تنظيم أنفسهم ويهاجمون مصر من جديد.

ويعتقد البعض، أن الحرب الشمالية التي هاجمت مصر من الشرق، قد جذبت كل انتباه المصريين نحو الحدود الشرقية، وهكذا فقد تركوا حراسة الحدود الغربية، فأعطوا بذلك الليبيين الفرصة لكي يخترقوا الدلتا بسهولة(١)، وبذلك فإن متاعب مصر الخارجية لم تنتهِ مع النصر الذي حققوه في غزوة السنة الثامنة، وذلك أنه في العام الحادي عشر من حكم

(١) أحمد أمين سليم: مرجع سابق، ص ١٧١، ١٧٢.

رعمسيس الثالث تجدد الخطر الليبي، لكن رعمسيس الثالث قد حقَّق انتصاراً آخر على شعوب البحر، وقد دوَّن أخبار ذلك النصر في الجزء الختامي من البردية الكبرى، التي نقتطف منها هذا الجزء البسيط:«كان الليبو والمشوش مُستقرين في مصر، وكانوا قد استولوا على الرقعة غرب (حيكو بتاح) أي (منف) حتى (قيروبن) ووصلوا إلى النهر الكبير[1]، من كلِّ جوانبه، وكانوا هم أولئك الذين خرَّبوا مدن إقليم إكسويس[2]، على مدى بضع سنوات، حين كانوا في مصر... هاك إنني قد قضيتُ عليهم وذبحتهم بضربةٍ واحدة، ولقد أذللت المشوش، وليبو، وإسبات، وقيقاش، وشايتب، وهاسا، وبقن، وجعلتهم يرتدُّون عن وطءِ حدود مصر... وكان هناك عشرات الآلاف من نسائهم وأطفالهم، وكانت تُعدُّ مواشيهم بعشرات الآلاف، وأحللت قادتهم في معاقل تحمل اسمي، وعينت عليهم قواد جيش ورؤساء قبائل، ثمَّ دفعتهم، محوِّلاً إياهم إلى عبيد

---

(١) الفرع الكانوبي للنيل، أبعد الفروع غرباً.

(٢) سخا الحالية، على الفرع الكانوبي.

موسومين باسـمي، وقـد عوملـت نـساؤهم وأطفـالهم بـنفس المعاملة، أما ماشيتهم، فقـد حملتهـا إلى بيـت آمـون، وجعلتهـا قطعاناً أبدية له».

وهناك نصان كبيران في مدينة هابو، أُرِّخا في الـسنة الحاديـة عشرة، يتناولان الموضـوع نفـسه نـستطيع أن نـستفيد مـنهما في إضافة شيء واحد فقط، وهو أن (مشر) رئـيس الــ (مـشوش) أُخذ أسيراً، وأن أباه (كبر) التمس الرحمة من دون طائـل، وقـد وُصِفَ ذلك في منظر أخَّاذ(١).

وبذلك تكون الشعوب التي هاجمت مصر في غزوة السنة الحاديـة عشرة، هي: (المشوش، ليبو، إسبات، قيقاش، شايتب، هاسا، بقـن)، وقد كانت راية الزعامة في هذه المرة، قد عُقدت لقـوم المـشوش، فـيما كانت زعامة الحـرب الليبيـة الأولى لــ (ريبـو)، واسـتطاع زعـيمهم (كبر) أن يقود المشوش، ومن تحالف معهم نحو مصر.

كما استطاع أن يقضي على قوم (تحنو) المُسالمين، الذين كـانوا يسكنون في غربي الدلتا على الحدود المصرية مبـاشرة. واسـتمر

---

(١) آلن جاردنر: مرجع سابق، ص ٣١٦، ٣١٧.

المشوش، وحلفاؤهم الليبيون في تقـدمهم داخـل الـبلاد حتـى وصـلوا في زحفهـم مـن رأس الـدلتا حتـى قاعـدتها. وتقـدم الفرعون لِمقابلة أعدائه، وتحدث معركة حاميـة الـوطيس، أبـلى فيها الفرعون ومشاته وفرسانه بلاءً حسناً.

وتقدم لنا المناظر المصوَّرة على جدران معبد مدينة هابو، الجنود المصريين، وهـم يتممـون هزيمـة الليبيـين، ويوضِّـح الـنقش أن جلالته قد استولى على (٢٠٥٢) أسيراً، وأما الذين كـان نـصيبهم القتل، فقد بلغوا (٢١٧٥) قتيلاً، وهكـذا تنتهـي المعركـة بـسحق المشوش المُعتدين، الذين غزوا الـبلاد. إلا أن أثمـنَ الغنـائم عـلى الإطلاق كان (مشر) زعيم المـشوش، وقائـد حملـتهم، وقـد بلـغ انتصار رعمسيس الثالـث حـداً جعـل المـصريين يعدُّونـه حـدثاً يحتفلون به سنوياً، وسُمي عندهم (عيد قتل المشوش).

وبعد أن قضى رعمسيس الثالث عـلى هـذا الهجـوم، لم يعـد أمامه ما يخشاه من هذه الناحية، بعد أن قلَّـم أظـافرهم، كـما أن الليبيين بدورهم، لم يحاولوا ثانية بعد هزيمتهم هذه، أن يدخلوا عنوةً إلى مصر، فقد تحوَّل دخـولهم إليهـا عـن طريـق الـدخول السلمي، ما شكَّل مـن بعـد ذلـك أثـراً خطـيراً عـلى مـصر في

مستقبل الأيام[1]، فقد انخرط الكثير منهم في سلك الجندية كجنود مرتزقة، وكان هؤلاء الليبيون يتحلّون بريشة فوق الرأس، وعُرِفوا باسم (الماشواش[2])[3].

ثالثاً: مصير شعوب البحر التي هاجمت مصر

كنّا قد ذكرنا سابقاً مصير الشعوب البحرية والليبية المُتحالفة، التي هاجمت مصر في حملتي السنتين الثامنة والحادية عشرة، من حكم رعمسيس الثالث، وهنا يأتي السؤال المهمّ: ماذا حلَّ بقبائل وشعوب البحر، التي هاجمت مصر في غزوة السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث؟، أي ماذا حلَّ بشعوب البحر التي هاجمت فلسطين بعد خسارتها في معركتي زاهي، البرية والبحرية؟؟.

فبعد معركة زاهي، والنصر الذي يدَّعيه رعمسيس الثالث، والذي يبدو أنه لم يكن نصراً مؤزّراً[4]، كما يريدنا أن نظن، إلا أن

---

(١) أحمد أمين سليم: مرجع سابق، ص ١٧٢، ١٧٣.
(٢) وكان هذه الاسم يُختصر أحياناً إلى كلمة «الما».
(٣) محمد أبو المحاسن عصفور: مرجع سابق، ص ١٩٧.
(٤) وذلك حسب رأي المؤرخ دونالد ب رودفورد.

وقفته الصامدة، كانت كافية لفرط التحالف، وإرغام الأعضاء الداخلين فيه على الفرار، والانتشار في كافة أرجاء بلاد الشام ومصر، فالسفن التي أفلحت في الوصول إلى الدلتا، تمَّ التعامل معها بأقصى سرعة، يقول:«أولئك الذين جاؤوا عبر البحر، واجههم اللهب المُستعر عند مصاب النيل... استُدرِجوا، وطوِّقوا وطُرِحوا على الشاطئ، وقد ذُبِحوا وكُوِّموا من أول السفينة حتى آخرها..»، أما من نجا منهم، فقد هرب من مصر، إذ أبحر بعض أفراد الشيكيليش غرباً إلى صقلية[1] وربما وجد الدعنو مأوى لهم في قبرص، أما الواش واش فقد اختفوا عن الوجود[2].

وفي هذا الصدد، يذكر جواد بولس في كتابه الموسوم بـ /لبنان والبلدان المجاورة/ إذ يقول:«وبعد هزيمة اتحاد شعوب البحر والشمال، تفرَّق هؤلاء في الأرض، فاتجهت عناصر منهم إلى شواطئ سورية الشمالية وآسيا الصغرى وجزر البحر الإيجي،

---

(١) التي أعطوها اسمهم.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٩.

وسردينيا وإيطاليا..»»[1]. أما عن مصير البلست، والتيكر، والزّكار، فهو ما سوف نناقشه بالتفصيل لأهميته الكبيرة.

مصير البلست والتيكر، وتسمية فلسطين

تُجمع غالبية المصادر، باستثناء القلَّة القليلة جداً، على أن رعمسيس الثالث آخر محارب عظيم في مصر، قد سمح لبعض هذه الشعوب المهزومة بالاستيطان في ساحل فلسطين، وربما كان ذلك لتكون هذه الشعوب درعاً لِمصر، يقيها من أي هجوم جديد، فاستقرَّ شعب البلست، الذي«ربما» جاء من جزيرة كريت، بين يافا وغزة، كما استقرَّ شعب بحري آخر يسمى التيكر إلى الجنوب من جبل الكرمل، وهو الجبل الذي صار فاصلةً تحجز بين الفينيقيين (كنعانيي الشمال) والقادمين الجدد، ولهذا ما عاد الساحل الفلسطيني إلى الجنوب من الكرمل يدخل في فينيقيا بعد ذلك التاريخ، وصار اسمه«فلستيا» نسبة إلى قبائل البلست، ثم انتشر هذا الاسم على كافة ما يسمى الآن بفلسطين، وهو الاسم الذي أطلقه الرومان على كل البلاد عند احتلالهم لسورية، وقد

(١) جواد بولس: مرجع سابق، ص ١٠٨.

حلَّ البلست في خمس مدن كنعانية، هي: غزة، وعسقلان، وعقرون، وأسدود، وجت، ونظّم البلست مدنهم الجديدة، على هيئة ممالك مستقلة في إدارتها وحكومتها، إلا أن هذا الاستقلال لم يمنع المدن الخمس من أن تعرف ضرباً من ضروب الاتحاد، وربما كان مركزه في مدينة أسدود.

ولم يبتعد البلست عن البحر كثيراً، وذلك بحكم كونهم شعوباً بحرية تجهل البراري، ولا تستسيغ المُناخ الجاف، وبما أن الساحل الذي لا يبتغي القادمون الجدد أرضاً سواه، قد كان ممتلئاً بالمدن العامرة بسكانها الكنعانيين، فإن البلست لم يؤسسوا من المدن سوى اثنتين وحسب، وهما: اللد وزكلاج الواقعة إلى الشمال من بئر السبع، وأغلب الظن أن اللد قد أعادوا بناءها ولم يبنوها لأول مرة في تاريخها.

غير أن البلست، قد توغلوا قليلاً في داخل فلسطين، واستولوا على بعض المدن الكنعانية[1] الصغيرة، التي لا تبعد

(١) في الحقيقة هم لم يستولوا على تلك المدن، بل على الأغلب اندمجوا مع السكان الأصليين.

كثيراً عن ساحل البحر، وفوق ذلك فقد انتشروا في بعض المدن البعيدة عن البحر، ولاسيما بيسان الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الأردن إلى الجنوب من بحيرة طبرية.

وقد كان البلست يتقنون صناعة المعادن، وعلى رأسها الحديد، ويستخدمون الأسلحة الحديدية على نحو وفير، فقد تركوا الكثير من هذه الصناعات المعدنية، ولاسيما المطارق والأزاميل والأدوات الزراعية، ولا شكَّ في أنهم استخدموا العربات الحديدية في القتال، ما كان له أثر كبير وواضح، خلال معاركهم وانتصاراتهم في الأناضول وبلاد الشام، كما كان البلست بحّارة مهرة، لكن سرعان ما اقتبس البلست الديانة الكنعانية، فعبدوا آلهة الكنعانيين، أمثال (داجون - دجن) بوصفه إلهاً للحبوب في أسدود، وإلهاً للسمك في غزة، وما زال حتى اليوم في ساحل يافا أكثر من قرية تحمل اسم دجن، أما عسقلان، فقد جعلوا منها مركزاً لعبادة عشتار الكنعانية.

ومع مرور الزمن، أخذ البلست يذوبون في الثقافة الكنعانية ذوباناً تدريجياً، غير أن لغتهم - وكما ذكر يوسف سامي

اليوسف في كتابه الموسوم بـ /تاريخ فلسطين عبر العصور / - استمرت في الوجود حتى القرن الخامس قبل الميلاد، ولا يَعرف المؤرخون متى زالت تلك اللغة من الوجود على وجه الدقة[1].

هذا ما يخصُّ استقرار البلست في فلسطين، وإعطاءهم إياها الاسم الذي مازال مُتعارفاً عليه حتى الآن، إضافة إلى انصهارهم في حضارتها، وهذا ما نجده دائماً عبر التاريخ، إذ نجد الكثير من الشعوب الغازية الأقل حضارة، تتمثَّلُ حضارة الشعوب التي غزتها، وتنصهر فيها حتى تتلاشى كعرق أو إثنية، أو قوم، عبر التاريخ، والباحث في التاريخ يجد الكثير من هذه الأمثلة.

وقد يعترض البعض على فكرة إعطاء هذه الرقعة (كنعان الجنوبية) أو زاهي (الساحل الفلسطيني) اسم فلسطين، نسبةً لهذا الشعب الغريب عن المنطقة، بداعي العروبة، والتمسّك بها، ورفض فكرة أن تكون هناك أرض عربية، مُسمّاة باسم شعب غريب عنها، وللإجابة عن هذا التساؤل أقول ما يلي:

---

(١) يوسف سامي اليوسف: تاريخ فلسطين عبر العصور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٩م، ص ٥٨، ٥٩، ٦٠.

نحن، وأمام عدم وجـود أدلَّـة أو دراسـات تُثبِـت أن اسـم فلسطين اسم عربي، فما الـضير في قبـول هـذه التـسمية، وهـذا النسب، إن كان هذا لا يؤثر على عروبة هـذا البلـد الغـالي عـلى قلوبنا، وعلى كلِّ حال، فإن عروبة فلسطين تبقى في انتمائهـا إلى الأمة العربية، وتحريرها من نير الاحتلال الإسرائيلي، وليس في تسميتها، إن كانت فلسطين، أو حتى«العرباء».

كما أن هنـاك العديـد مـن المـدن العربيـة الخالـصة، جاءت تسميتها من أسـماء أشـخاص، وبلـدان غـير عربيـة، ولم يـؤثّر ذلك في عروبتها، ولنا في أسماء (اللاذقية، وإنطاكيـة، وأفاميـا، والإسكندرية، وأسكندرونة، وطـرابلس... إلـخ) خـير مثـال على ذلك.

أما عن باقي القضايا التي طُرِحت حول موضـوع اسـتقرار البلـست في فلـسطين، وبنـائهم للعديـد مـن المـدن، وتمـثُّلهم للحضارة الكنعانية، فقد ورد في العديـد مـن المراجـع العربيـة والمترجمة، التي أيدت ما ذُكِرَ سابقاً، نوجز بعضها:

فقد ذكر د. محمود عبد الحميد أحمد، في كتابه الموسوم بـ / دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، وفي حاشية الصفحة ٢٢١ /إذ يقول:«إن رعمسيس الثالث قد سمح لقبيلة (الزكار) وقبيلة (بلست) بالاستقرار على ساحل فلسطين الجنوبي، وقد تسمت المنطقة باسم قبيلة البلست، ثم أُطلق - الاسم - على فلسطين كلها، ومن المُحتمل أنهم جاؤوا من جزيرة كريت (كفتور) ولكن ربما كانت كريت محطة فقط من محطات هجرتهم»(١).

فيما يذكر د. محمد حرب فرزات، أن:«قبائل البلست الذين تمكنوا بعد توقف في جزيرة كريت، وعلى الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، أن ينزلوا على الشاطئ الممتد من أسدود إلى غزة... وقد انضم البلست إلى الكنعانيين، واندمجوا بهم، واعتقدوا عقائدهم، وحملوا معهم أسلحتهم الحديدية... وقد أعطوا اسمهم لجزء من بلاد كنعان، حيث أقاموا واستقروا... ثمَّ أطلق الرومان اسمهم على كل البلاد، عندما احتلوا سورية..»(٢).

---

(١) محمود عبد الحميد أحمد: مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٢) محمد حرب فرزات: موجز تاريخ، مرجع سابق، ص ١٥٠.

ويُفـرِدُ د. صـالح عبـد الحكـيم، بعـض الأسـطر، مـن كتابـه الموسوم بـ /الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي /للحديث عـن البلست، إذ يقول: «كانت نتيجة هذه الغزوات، أن استقرت قبائل الفلستو في خمس مدن سـاحلية، هـي: عكـا، أسـدود، عـسقلان، جت، غزة، وأصبحت أسدود عاصمة لدولة فلستية (فلـسطينية) بحيث انصهرت القبائل الإيجية الغازية مع القبائل الكنعانية التـي كانت تسكن تلك المدن..»[1].

أمـا د. أحمـد سوسـة، وفي كتابـه المعـروف، والموسـوم بـ /العرب واليهود في التاريخ /يذكر: إنَّ قبائل الفلـستينيين، وبعد هزيمتهم على يـد رعمـسيس الثالـث، يقـول: «فـاتجهوا بعد إخفاقهم في النزوح إلى مـصر نحـو الـساحل الفلـسطيني الجنـوبي، في القـسم الـذي يمتـدُّ مـن غـزة جنوبـاً إلى أسـفل يافا شمالاً، ومنهم جاءت تسمية فلسطين... وكانت المدن التي أسسوها... هي غـزة، أشـقلون، جـت، أشـدود، عقـرون..» ويـذكر في مكـان آخـر «أن هـؤلاء الفلـستينيين، قـد انـدمجوا

(١) صالح الحكيم: مرجع سابق، ص ١١٤.

بالكنعـانيين والعمـوريين كليـاً، بحيـث لم يعـد بالإمكـان تمييزهم عن العناصر الكنعانية والعمورية» ثم يُضيف، داعـماً رأيـه بـرأي الباحـث (لـودز) الـذي يقـول:«إن الفلـستينيين قد (تكنعنوا) بسرعةٍ في حدود القرن الحادي عشر قبل المـيلاد، خلال فترة تقلُّ عـن ١٥٠ عامـاً، بعـد اسـتقرارهم عـلى أرض فلسطين» ويضيف د. سوسة أن:«الإله الرئيس (داجون) الذي كانوا يعبدونه، هو نفس داجون... (داجـان) إلـه الغلـة الـذي كان يعبده الكنعـانيون»، ثـم يـضيف أيـضاً، أن:«أقـدم ذكـر للفلستينيين ورد في النصوص المصرية والآشورية، فقد سُـميَّت بلادهـم باسـم (بالاسـتو) Palastu أو (بيليـستو) Pilistu وهو نفس الاصطلاح اليوناني (فلستيا) Philistia الذي أصـبح (بالستينا) أي (فلسطين)»[1].

وكانت الباحثة صفيّة سعادة، قد ذكرت في كتابهـا الموسـوم بـ /أوغاريت / أن:«البلست، وإثر معركة بيلوزيـوم (زاهـي)

(١) أحمد سوسة: العرب واليهود في التـاريخ، العـربي للطباعـة والنـشر والتوزيع، دمشق، ط ٦، ص ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠.

في الـدلتا، اسـتوطنوا في فلـسطين، وتتأكـد مـن صـحة هـذا الاستيطان من خلال وثيقة فريدة مـن العـصر اللاحـق لوفـاة رعمسيس الثالث، وهي رحلة وينامون، الـذي قـام برحلـة إلى فلسطين، ووصف الأوضاع هناك، وهـو يـذكر أنـه زار مدينـة (دور) حيث يعيش التيكير»[1].

أما عن الكتَّـاب الأجانـب، فقـد ذكـر فرانـسوا دوكريـه في كتابه الموسوم بـ / قرطاجة الحـضارة والتـاريخ / أنـه:«كـان من نتائج هذه الحركة، استقرار شعب جديـد هـو البيلـست... وقد استقر هؤلاء الغزاة الذين أعطـوا اسـمهم لفلـسطين عـلى شريط ساحلي يمتد من عسقلان إلى غزة، ووجب على الـشعب الكنعـاني الـذي كـان يـستقر قـبلهم في هـذه المنطقـة، أن ينسحب منها»[2]، وهذا ما أكَّده أنطون مورتكات، عندما ذكر: «بعد الهزيمة عاد هؤلاء (الفلسطينيون الليريون) الذين جعلـوا قبل ذلك مـن كريتـا محطـة لهـم، فحطّـوا رحـالهم في الـسهول

(١) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٢) فرانسوا دوكريه: قرطاجة الحـضارة والتـاريخ، ت. يوسـف شـلب الشام، دار طلاس للنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٣.

الساحلية للجزء الجنوبي من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، فاستوطنوها وأعطوها منذ ذلك الوقت اسمها الحالي (فلسطين)..» ثمَّ يضيف:«ولما لم يحصل هؤلاء على مدٍّ شعبي جديد مستمر، نجد أن القوة الكافية لم تتوفر لديهم بالمقابل ليؤثِّروا تأثيراً واضحاً في الكنعانيين سكان البلاد الأصليين، بل بالعكس لم يدم الأمر طويلاً حتى انحلّوا في هؤلاء - يقصد الكنعانيين - عرقيّاً وحضارياً»، أما فيما يتعلق بلغتهم، فهو يقول:«فإننا لا نعلم شيئاً عنها حتى الآن»[1].

أما جيمس هنري برستد، وفي كتابه الموسوم بـ /العصور القديمة، ص ٢٧٨ / فيقول:«وكانت فلسطين الجنوبية البلد الوحيد الذي كان عدد المهاجرين الإيجيين فيه كافياً لاحتلاله، وتأليف أمّة منهم، وهكذا استطاعت قبيلة كريتية عُرِفت باسم الفلسطينيين أن تُحرز لنفسها مقاماً، وتبني عدداً من المدن الزاهرة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد».

---

(١) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٦.

وهكذا نخلص من كل ما سبق إلى النتائج التالية(1):

١ - البلست قبائل قَدِمت من البحر المتوسط - بحر إيجة - أو من جزيرة كريت.

٢ - شارك البلست في اجتياح الدول والممالك التي سبق ذكرها.

٣ - البلست ليسوا دولة واحدة، إنما جزء من مجموعة قبائل مجهولة.

٤ - لم يشكل البلست في فلسطين دولة أو قوة موحدة، وإنما كانوا موزعين على مجموعة مدن، لكلِّ مدينة مَلِكُها المستقل.

٥ - استوطن البلست الساحل الجنوبي، الذي سُمِّي باسمهم في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

٦ - ظهر البلست في بلاد كنعان فجأة، ولم يُخلِّفوا أي أثرٍ، بل اندمجوا وتمثَّلوا الحضارة الكنعانية، وأصبحت آلهتهم آلهةً كنعانية، وأهمها داجون وعشتار.

٧ - البلست شعبٌ متقدمٌ في صناعة واستخدام الحديد.

---

(١) أحمد داوود: تاريخ سورية القديم (تصحيح وتحرير)، سلسلة (الكتاب الأول)، دار المستقبل، دمشق، ط ١، ١٩٨٦، ص ٧١٩.

أما د. أحمد داوود، وفي سياق اعتناقه لنظرية أن الأحداث التي وردت في التوراة بما يخص فلسطين، أنها كلها قد حدثت في غرب شبه الجزيرة العربية، إذ يقول: «وفي بلاد غامد وزهران تحديداً، هي هكذا: أرض كنعان، هي من جبل جاد في لبنان شمال جذانه في بلاد غامد إلى جنوب بني سار في بلاد زهران ..»[1].

ويدعم هذه النظرية أيضاً، د. كمال الصليبي، ففي كتابه الموسوم بـ /التوراة جاءت من جزيرة العرب / وهو الكتاب الذي بحث في جغرافيا التوراة، على أسسٍ جديدة، وخلاصته، أن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين، بل في غرب شبه الجزيرة العربية، بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديداً في بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن[2].

---

(١) المصدر نفسه: ص ٧٢٢.

(٢) كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ت. عفيف الرزّاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م.م. بيروت، لبنان، الطبعة العربية السادسة، ١٩٩٧ /، من الغلاف الخارجي للكتاب.

لـذلك فـإن د. أحمـد داوود يـرفض كـل الأحـداث الـسابقة، والمتعلقة بـشعوب البحـر - جملـةً وتفـصيلاً - ويـتَّهمُ المـؤرخين الــذين يكتبــون عنهــا، بــأنهم:«يعتمــدون جغرافيــا التــوراة المزوّرة..»، وبعد شرحه لنظريته الجديدة - سـواء آمنّـا بهـا، أم لم نؤمن - يقول:«والحقيقة هي أن ثمَّة واديين في جنوب بلاد غامـد يُدعيان بهذا الاسم: فهناك وادي كريـث (كريـت) شرقـي جبـل سوده... وهناك وادي (قرية) جنوب (شمران)..»، ومـن يتـابع شرحه السابق في سياق رفضه الكامـل لكـل الأحـداث الـسابقة والخاصة بشعوب البحر[1]، ولن نخوض في تحليل ما كتبه د. أحمـد داوود، وإنما، وحرصاً منّا على الموضوعية في البحث، فقد تطرقنـا إلى رأيه، علَّه يجد له مكاناً ما في عقول القارئين...

هذا فـيما يخـص البلـست، أمـا فـيما يخـص قبائـل التيكـير، فهــم شــعوب أيــضاً ســكنت منطقــة فلــسطين، لكــن يبــدو أن الدراسات حولهم قليلـة ومحـدودة، فـلا يَعـرف المؤرخـون

---

(١) أحمد داوود: مرجع سابق، ص ٧٢٤، ولمزيد مـن المعلومـات حـول رأي د. داوود، يرجى مراجعة كتابه /تاريخ سورية القديم/.

عـنهم إلا القليـل، وأهـم مـا في الأمـر، أنهـم قـد بنـوا مدينـة سموها (دور) إلى الجنوب من جبل الكرمل، وقد وفـد علـيهم الـسفير المـصري (ونـامون) وهـو في طريقـه إلى جبيـل، بغية الحصول على خـشب الأرز مـن أجـل بنـاء معبـدٍ لآمـون في طيبة، وفي (دور) سرق التيكير الذهب الذي مع (ونـامون)، وحـاول ملـك المدينـة أن يُعيـد الـذهب المـسروق إلى طيبـة، ولكنه عبثاً فعل، ودوَّن (ونامون) هذا في المذكرات التي كتبهـا عن رحلته، والجـدير بالتنويـه، أن رحلـة (ونـامون) هـذه قـد تمَّت في الثلث الأول من القـرن الحـادي عـشر قبـل المـيلاد[1]، ويبدو أن سلوك هـؤلاء القـوم كـان مُـشيناً، فقـد كـانوا تجـاراً مهرة، لكنهم عملوا بالقرصـنة، فقـد ذكـر د. فيليـب حتـي في كتابـه الموسـوم بــ /تـاريخ سـورية ولبنـان وفلـسطين / أنـه: كان نشاط لصوص البحر في شرق البحر الأبيض المتوسـط في زمن (ون آمون) مصدره جوَّالة البحر هؤلاء[2].

---

(١) يوسف سامي اليوسف: مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢) فيليب حتي: مرجع سابق، ص ١٩٦.

وهنا نعود للقول: قد يأخذ البعض على هذا الكتاب، إعطاء اسم فلسطين هوية أجنبية، وسواء كان ما قدمناه صحيحاً أم لا، فتبقى تسمية فلسطين، إن كانت من مصدر عربي، أم لا، أمراً ثانوياً، إذا ما قيست بالعمق الحضاري لهذا البلد العربي القديم قِدم الإنسان، ولا ننسى أن الإنسان العاقل - الجد المباشر للإنسان الحالي - قد عاش في أرض فلسطين العربية[1]، وتبقى مسألة عروبة فلسطين برأيي المتواضع، مرهونة بتحريرها من المغتصب الإسرائيلي، وسواء بقي الاسم - فلسطين - أم لم يبقَ.

---

(١) تشير أغلب الدراسات الحديثة، إلى أن الإنسان العاقل، جدّ إنساننا الحالي، قد عاش في العديد من مناطق فلسطين، منذ أكثر من ٥٠٠٠٠ سنة.

الفصل الرابع

شعوب البحر تغزو آسيا الصغرى

كنّا قد ذكرنا في السابق، أن شعوب البحر عندما تحركت، لم تتحرك في اتجاه واحد، وليس في زمن واحد، بل هي تحركات عمَّت منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، وعلى مدى أكثر من ٢٠٠ سنة، وكانت ذروة هذه التحركات، ما بين ١٢٢٠ - ١١٨٩ ق.م، ومن ضمن هذه التحركات، كانت التحركات التي استهدفت آسيا الصغرى، والتي أدت إلى إثارة بعض القبائل والشعوب المُتخلِّفة، والتي كانت أصلاً تنتظر - وكعادة هكذا شعوب - الفرصة المواتية لتحركها، فوجدت في قدوم جحافل شعوب البحر فرصتها المُنتَظَرة، فاتحدت معها، مشكلين معاً تحركاً هائلاً أزال في طريقه عاصمةً من أقوى عواصم الدنيا حينذاك، ألا وهي العاصمة الحثية حاتوشا.

وقد دمَّرت هذه التحركات في طريقها مدينـةً لطالمـا سـمعنا عنها، وشاهدنا الكثير من الأفلام عنهـا، إنهـا مدينـة طـروادة، التي كانت حليفة حاتوشا عشية سقوطها، أو تابعة لها سياسياً، وقد تأخر الدعم الحثي لها، فبعد حصار دام نحو عشر سنوات، كما هو معروف - ويبقى هذا الرقم مُبالغاً فيه - سـقطت هـذه المدينة، قبل وصول إمدادات الحثيين إليهـا، فكـان ذلـك بوابـة لسقوط حاتوشا نفسها؟!.

أولاً: حرب طروادة

لن نخوض في هذه العُجالة، في كيفية سـقوط هـذه المدينـة، أو أسبابها، أو نحاول إثبات الأبعاد الحقيقيـة لهـذه الحـرب، ولـدمار طروادة، من أبعاد اقتصادية بحتة، وبعيداً عن الأسطورة المعروفـة لدى الجميع، وقد كنّا قد نوّهنا عنها سابقاً، ولو باقتضاب.

فعلى الرغم من وقوف طروادة إلى جانب بعـض المُنتفـضين على السيادة الحثية، في أواسط القرن الثالث عشر قبـل المـيلاد، فقد واجه الملك تودخاليا الرابع مـا بـين ١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م تحالفاً معادياً مؤلفاً من اثنتين وعشرين دولة متمردة، على امتداد

الساحل الأيوني[1]، من كاريا (ليسيا) إلى ويلوسا (إليون أي طروادة)، وقد دحر الحثيون هذا الحلف، لكن الأطراف الغربية من إمبراطوريتهم بدأت تتصدع[2].

وعلى الرغم من عدِّ طروادة من أعداء حاتوشا، في بدايات القرن الثالث عشر قبل الميلاد، إلا أنها كانت تابعة لها سياسياً في أواخر هذا القرن، وإلى حين سقوطها نحو العام ١٢٠٠ ق.م تقريباً، بعد نحو «سنوات عشرٍ» من الحصار.

ولكن يبدو أن انتصار الآخائيين في حرب طروادة كان بداية نهايتهم، وذلك بسبب إنهاكهم الطويل في حصار وحرب طروادة، ما أدى إلى تشتتهم في الجزر - جزر بحر إيجة - واستقرارهم فيها. وأمام هذه الفوضى التي حلَّت بالآخائيين، والتي أدت إلى ضعفهم، ما شجَّع القبائل الهمجية على مهاجمة البلاد - بلاد اليونان أي ميسينا - وعلى دفعات متتالية استمرت مدة من الزمن[3]، وقد

(١) الساحل الغربي لآسيا الصغرى، تركيا حالياً.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٢.

(٣) خليل سارة: مرجع سابق، ص ١٥٦.

أدت هذه الهجمات إلى دمار ميسينا، وتشكّل دفعات جديدة من الهجمات البحرية المُشكَّلة ممّا تبقى من الأسطول الآخي (الميسيني)، إضافة إلى القادمين الجدد (الدوريين) وبعض أساطيل جزر بحر إيجة، والآريين من آسيا الصغرى، ومن جزيرة كريت، فقد اتَّجه جزء من هذا التجمع البشري الهائل نحو العاصمة الحثية حاتوشا، التي سقطت تحت ضرباتهم(١).

ونستطيع إيجاز ما حصل، ومن خلال بعض الأدلة الأثرية المعاصرة، والموجودة في الأدب الكلاسيكي، أن نرسمَ صورةً لما حدث: ففي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أثمرت الجهود الحثيثة لإعادة توحيد المجتمعات الميسينية المتفسخة في توجيه تحالفٍ هشٍ من الدول السابقة ضد طروادة، قائده الاتحاد الأيوني السابق ضد الحثيين، وفي الأعوام التي أعقبت الإطاحة بطروادة مباشرة، تجمعت بعض الدول المشاركة في الحملة الميسينية - ضد طروادة سابقاً - معاً في اتحادٍ تحت قيادة مقاطعات من كاريا، وتحركوا شرقاً على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، ومعهم

---

(١) جواد بولس: مرجع سابق، ص ٩٤، ١٠٧، ١٠٨.

عائلاتهم، ليستقروا في سهول كيليكيا، وشمال سورية، وبعضها إلى جزيرة قبرص[1]، الواقعة تحت الهيمنة الحثية حينها، وعبثاً حاول شوبيلو ليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩١ ق.م - آخر الأباطرة الحثيين - الدفاع عنها، لكن القسم الأكبر من هذه الحشود، كان قد اندفع نحو العاصمة حاتوشا، وقد انضمت إليه بعض الشعوب والقبائل، هنا وهناك، مدمِّرة العاصمة الحثية حاتوشا[2].

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٢) تأتي بعض المصادر الكلاسيكية أحياناً، على ذكر بعض القادة الذين شاركوا في حرب طروادة، فيقال مثلاً: إن موبسوس الكولوني تمكن من لاجئين من يويوشا، قاد الشعوب مباشرة بعد الحرب الطروادية من الساحل الأيوني إلى جبال طوروس، ومنها إلى بامفيليا وكيليكيا، والتي هاجر منها البعض إلى سورية وفلسطين، وبالمثل، يُقرن اسم أمفيلوخوس أيضاً بهجرة من إيجة إلى بامفيليا، بعد حرب طروادة، وأصبح المؤسس الشهير لـ بوزيدون في سورية، وبالطريقة نفسها قاد تيوكير أخو أجاكس، الذي قاتل في حرب طروادة، هجرات انتهى بها المطاف في قبرص وكيليكيا، ويُظنُّ أن أغابينور أيضاً ملك الأركاديين، قد قَدِم إلى قبرص بعد حرب طروادة، ويبقى كل ما ذكرناه في هذه الحاشية برسم الأسطورة، التي لا ترتقِي إلى الحقيقة التاريخية، انظر كتاب / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / دونالد ب. رودفورد، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

ثانياً: سقوط العاصمة الحثية حاتوشا

كنّا قد ذكرنا في الصفحات الأولى من هذا الكتاب، الأسباب التي دعت الحثيين إلى توقيع معاهدة السلام - مع المصريين - بعد معركة قادش، وكنّا قد ذكرنا الظروف الصعبة التي أودت بالعاصمة الحثية، وجعلتها لُقمة سائغة في يد هجمات شعوب البحر، ولم تكن السنوات العشر الأخيرة، وخاصة بعد سقوط طروادة، بالسنوات الهادئة في حاتوشا، في ظلِّ تنامي الأخطار الخارجية، واقترابها شيئاً فشيئاً من العاصمة.

كان لوصول طلائع شعوب البحر إلى البر الأيوني، وتغلغلها داخل آسيا الصغرى، أن تحركت قبائل وشعوب آسيا، وتحالفت مع هذه الشعوب القادمة عبر البحر، ومن ثمَّ الانقضاض على حاتوشا، وتدميرها عن بِكرةِ أبيها، وإزالتها من الوجود كلياً. وكان لِمُجمل الأسباب التي أضعفت الدولة الحثية، وعلى رأسها المُناخ الجاف الذي ساد الخمسين سنة الأخيرة من حياة الدولة، أثره الكبير في ضعفها ووقوعها لقمةً سائغةً بيد شعوب البحر.

حاتوشا عشية سقوطها

لقد بدأ أفول المملكة الحثية في عهد أرنوواندا الثالث ١٢٢٠ - ١٢٠٠ ق.م إذ تأثرت بتغلغل الإغريق وانفصال بعض المقاطعات البعيدة عن العاصمة، ونشوب بعض الحروب الداخلية التي أفقدت العاصمة هيبتها، واستمر ذلك في عهد أخيه شوبيلو ليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩١ ق.م، الذي استطاع أن يُحسِّنَ الأوضاع قليلاً، وتتحدث بعض تقاريره عن انتصارٍ على قبرص (آلاشيا)، ولكن ازدياد تغلغل المجموعات البشرية التي تُسمى في النقوش المصرية بـ (شعوب البحر)، وهجومها على بلاد الأناضول وسورية الشمالية، أنهى الكيان السياسي للحثيين[1].

المجاعة وطلب المساعدات

أكدت الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية - وكنّا قد ذكرنا بعضها في بداية هذا الكتاب - أن جفافاً كبيراً شهدته

(١) فاروق إسماعيل: الحثِّيون وحملاتهم على سورية، بحث في مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨١ - ٨٢ ، ٢٠٠٣م ، جامعة دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب، ص٢٨.

معظم مناطق الشرق الأدنى القديم، بما فيها مناطق الأناضول، ما أدى إلى حدوث عوزٍ كبير في المناطق التي شهدت هذا المُناخ الجاف، وتتحدث الكثير من الوثائق عن كارثة الجوع، التي أصابت المملكة الحثية[1]، وقد ذكر هيرودوت وديودوروس هذه المجاعة التي أجبرت الناس من سايمي، ونكسوس، وسرديس على الهجرة، وقد تحدَّثت الكثير من الوثائق المعاصرة من مصر وأوغاريت أيضاً عن مجاعة الأناضول[2]، كل هذه المستجدات، أدت إلى تراخي قبضة السلطة المركزية في العاصمة حاتوشا، فقد استقلت بعض الولايات الحثية، التي يُقاتل بعضها بعضاً، ويبدو أن شح المحاصيل وفقر البلاط الملكي، الذي لم يعد قادراً على تمويل جيشه، كان عاملاً أساسياً في تفكك البنية السياسية للمملكة الحثية، فانتشار المجاعة في أرجاء البلاد، إضافة إلى انتشار العصابات المسلحة، التي تبحث عن لقمة العيش بكلِّ الوسائل، دفعت بالبلاط الملكي إلى

---

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١١.

استجداء القمح من مصر وأوغاريت، ومعظم الدول الصديقة والتابعة له[1].

وتتحدث نصوص متعددة من أوغاريت، عن دور المدينة بتزويد بلاد الأناضول بالمواد الغذائية، وبخاصةٍ الحبوب، لكن من غير الواضح ما إذا كانت كل هذه النصوص، تعود إلى عصر حمورابي آخر ملوك أوغاريت أم لا، على أيَّة حال، نذكر هنا رسالة من الملك العظيم إلى ملك أوغاريت، يطلب منه فيها الانتباه إلى الحبوب القادمة من بلاد موكيش (آلالاخ) والمنوي إرسالها إلى حاتوشا عبر ميناء (أورا) البحري، وذكر أن الموضوع عاجل جداً، أي أنه قضية «حياة أو موت»، وهذا ما يؤكد حدوث المجاعة الكبيرة، التي حلَّت ببلاد الأناضول، كما يُشير إلى ذلك أيضاً نقشٌ للملك المصري مرنبتاح، يُظهِرُ (أورا) كميناء لاستيراد الحبوب، في نص من بوغازكوي - الاسم الحالي لحاتوشا - له علاقة بمجاعة في حاتوشا، وعلى الرغم من أن المجاعة في حاتوشا لم تكن حدثاً فريداً، فإن تزويد قلب

---

(١) فراس السواح: مرجع سابق، ص ١٨٢.

المنطقة الحثية بالمواد الغذائية كان مصحوباً ببعض الإشكالات خلال الفترة الأخيرة من حياة الإمبراطورية.

وكانت أوغاريت في تلك الآونة، قد تحولت إلى مركز لشحن المواد الغذائية القادمة من سورية، عبر ميناء مدينة (أورا) في كيليكيا، أو إلى أماكن أخرى، تعبر منها المواصلات سلسلة جبال طوروس، وهذا ما يؤكده لوح أُرسل إلى ملك أوغاريت، الذي لم يُذكر اسمه، من قِبَلِ شخص يُدعى Pgn ربما يتطابق مع بوكانا المذكور على خاتم اكتشف في طرسوس في كيليكيا، والذي كان وجيهاً كبيراً في الإمبراطورية الحثية[1].

كما أن مرنبتاح ملك مصر، كان قد أرسل بعض المساعدات الغذائية إلى حاتوشا، وعلى رأسها القمح، فقد دلَّت إحدى الوثائق إرساله لشحنةٍ عاجلةٍ من الحبوب، نزولاً عند رغبة حمورابي ملك أوغاريت الذي نقلها إلى حاتوشا، ولقد ورد في نصِّ هذه الرسالة حدثان، هما: المجاعة والعدو، فنقوش

---

(١) هورست كلينغل: تاريخ سورية السياسي ٣٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م، ت. سيف الدين دياب، تدقيق. عيد مرعي، دار المتنبي، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٦٢، ١٦٣.

مرنبتاح الموجودة على جدران معبد الكرنك في مصر، تذكر إرسال بعثةٍ إلى حثي (حاتوشا)، وتؤكد بعد النظر لدى مرنبتاح، عندما قرر إرسال المساعدة، فهو قد أدرك أن المتاعب قد بدأت، نعم، لقد ساعدت مصر الحثيين، لأن حاتوشا لعبت دور الدولة العازلة بين تلك القبائل التي بدأت تصبُّ من الشمال، وبين الدولة المتمدنة في مصر.

فمن بين الرسائل التي كان كلود شيفر[1]، قد اكتشفها في أوغاريت[2]، لوحٌ يتحدث عن رسالة بأمر (الملك - الشمس)، ودون المقدمة المُعتادة والسلامات والتمنيات الطويلة، يقول لـِ ملك أوغاريت حمورابي: «اجمع ما عندك وابعث به إليَّ»[3].

ويبدو أن طلب المساعدة الحثية لم يقتصر على المساعدات الغذائية فحسب، فقد بلغ الضعف بالدولة الحثية، أن أقدمت

---

(١) مُكتشف مدينة أوغاريت.

(٢) فبينما كان كلود شيفر يُنقِّب في أوغاريت، عثر على فرن مطبخ الألواح الفخارية، وكان هذا الكشف حدثاً مهماً، لأنه لم يُعثر في أي مكان من الشرق الأدنى على فرن مماثل له.

(٣) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٣، ١٠٤.

علـى طلــب المــساعدة العــسكرية مــن أصــدقائها وحلفائهــا. وتتحدث العديـد مـن المراجـع عـن طلبـات الاسـتغاثة التـي وجهتها حاتوشا إلى حلفائها، فقـد تحـدثت رسـالة موجهـة إلى الملك الأوغاريتي، من قِبل الحثيين يطالب كاتبها الملك بتجهيز وإرسال ١٥٠ سفينة، وكـذلك ذكـرت الرسـالة، التـي كانـت ترجمة لرسالة آخر ملوك الحثيين شوبيلو ليوما الثاني إلى حمورابي آخر ملوك أوغاريت، إذ يطلب فيها مساعدةً ضد العدو الـذي يهدد بلاده، وضد كارثة الجوع[1].

ويبدو أن حالة الضعف التي وصلت إليها العاصـمة الحثيـة حاتوشا، وقبل فترة وجيزة من سقوطها، دعـت بالملـك الحثـي أن ينقل الأسرة الحاكمة خارج العاصمة، وهذا ما بينته رسـالة موجَّهة إلى أوغاريت، من أجل تـأمين عـدد كبـير مـن الـسفن لنقل (جنود)، وبشكل خـاص لإخـلاء أفـراد العائلـة المالكـة إلى مكـان غـير محـدد. وقـد كـان الهـدف مـن ذلـك مقاومـة الخطر المُحدق بالمملكـة، فقـد تحـدثت إحـدى رسـائل الملـك

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٤٩.

الحثـي إلى ملـك أوغاريـت: «سُـفنك وأنـت عليهـا، تعـال لمقابلة الشمس - سيدك»، وعده مقابل ذلك بكمية كبـيرة مـن الذهب والفضة[1].

وقد بلغَ الضعف بحاتوشـا، أن ملـك أوغاريـت حمـورابي، أصبح يتعامل مع حاتوشا، ومع ملكها شوبيلو ليوما الثاني مـن موقع الند للند، وذلك لمعرفته بـأن حاتوشـا بحاجـة إليـه وإلى أساطيله وجيـشه، مـن أجـل صـد هجـوم الـشعوب البحريـة الغازية، هذا ما نستخلصه من مراسلات شـوبيلو ليومـا الثـاني مع حمورابي ملك أوغاريت[2]، لكن وعلى الرغم من ذلك، فقـد بيَّنت الأحداث أن حمورابي قـد أرسـل فعـلاً عرباتـه وجنـوده وسفنه الـ ١٥٠ إلى حاتوشا للمساعدة[3].

وهناك رسالة أخرى كُتِبت هذه المرة من قِبل ملك كركميش نفسه، تتعلَّق بتفقّد فـرق المـشاة والعربـات الأوغاريتيـة التـي أُرسلت كفرق مساعدة لدعم الحثيين، وقد تمَّ التفقد مـن قِبـل

---

(١) قاسم الشوّاف: أخبار أوغاريتية، مرجع سابق، ص ٨١.
(٢) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ٢١١.
(٣) قاسم الشوّاف: أخبار، مرجع سابق، ص ٨١.

موظف يدعى تالمي تيشوب[1]، كان يعمل في خدمة (الـشمس) أي الملك العظيم (ملك حاتوشا)، وتـشير الجملـة الأخـيرة في الرسـالة، إلى وضـعٍ خطـيرٍ جـداً، ربـما كـان سـببه هجـوم آشوري[2]!!!؟.

وأغلب الظن أن أرنوواندااش الثالث أو شوبيلو ليوما الثاني آخر ملكين في حاتوشا، لم يتركا أيّة وثائق تـشير مبـاشرة إلى تهديـدات شعوب البحر، وهكذا لم تصلنا أيّـة وثـائق مـن حاتوشـا، وحتـى أوغاريت نفسها بقيت صامتة بشأن سقوط حاتوشا[3].

وقد يكون الصراع على قبرص، بين الحثيين وشعوب البحر، هو السبب الذي جعل هذه الشعوب تهاجم حاتوشا وتدمرها، وعبثاً حاول شوبيلو ليوما الثاني أن يُنقذ الموقف، فها هو يصف صراعه معهم، فيقول: «اصـطفت الـسفن مـن قـبرص ثـلاث مـرات في منتـصف البحـر ضـدي - دمَّرتهـا، اسـتوليت عـلى السفن، وأضرمت النار فيهـا، وهـي في عـرض البحـر»، ومـع

(١) وهو حاكم كركميش (جرابلس الحالية) الموالي والتابع لحاتوشا.
(٢) هورست كلينغل: تاريخ سورية السياسي، مرجع سابق، ص ١٦٠.
(٣) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٥.

ذلك نسمعه بعد بضعة أسطرٍ، يقول: مرة أخرى:«خرج عليَّ العدو من آلاشيا (قبرص) بحشود لا حصر له». فقد كانت سفن المُغيرين تظهر على كامل الشاطئ السوري والقبرصي[1] في انتظار تدميرها لحاتوشا، ومن بعدها أوغاريت.

كما أثبتت رسالة نُقِشت على الرقيم الذي يحمل الرقم /Rs 34.129/ الذي كُتِبَ إبان حكم حمورابي، أن الملك الحثي القلق من الوضع المضطرب في المشرق العربي الغربي، كان قد خاطب حاكم أوغاريت للحصول على معلومات تتعلق بأهالي سيكيلا Sikilia المُقيمين على القوارب، وكما تشير إلى ذلك لائحة رعمسيس الثالث الشهيرة، فقد فُهِمَ على ما يبدو أنهم: أحد شعوب البحر، وقد توجه الملك الحثي مباشرة للحاكم، لأن ملك أوغاريت لا يزال فتياً وقليل الخبرة، حيث يدَّعي الملك الحثي أنه أرسل شخصاً يُدعى (إيباندوشو) وهو سجين لدى الـ Sikileen (السيكيلين) ولكن أُطلِقَ سراحه لاحقاً، بهذا فهو يأمل بالحصول منه على معلومات عدة، خاصة بالوضع في

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٨.

البحر المتوسط[1]، وليس من الصعب تحديد هوية هؤلاء السيكيليين Sikileens بأنهم الشيكيليين (الشكلش) وهم من شعوب البحر.

القبائل التي هاجمت حاتوشا وأسقطتها

يبدو أن القبائل التي هاجمت حاتوشا، جاءت من البلقان، وهم من الفريجيين والماسا، الذين وصلوا إلى سواحل آسيا الصغرى، واتحدوا مع قبائل الكازكاز Kazkaz أعداء الحثيين التقليديين، الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسيا الصغرى، ولاسيما السواحل الجنوبية من البحر الأسود وبحر مرمرة، فتحركوا نحو العاصمة الحثية حاتوشا، وعملوا على إحراقها وتدميرها[2] نحو العام ١١٩١ق.م رغم مؤازرة الدول المؤيدة لها كـأوغاريت.

---

(١) رينيه لوبران: أوغاريت وخاتي في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، مقال في مجلة مهد الحضارات، ت. غادة الحسين، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للتدريب والبحث الأثري، العدد ١١ - ١٢، ٢٠١٠م، ص ٤٧، ٤٨.

(٢) إبراهيم توكلنا: مرجع سابق، ص ٧١٤.

وفي نفس الصدد، يذكر د. محمد حرب فرزات، في كتابه الموسوم بـ / موجز في تاريخ سورية القديم /إذ يقول:«وتسببت هذه الهجمات في انهيار الإمبراطورية الحثية، ثمَّ عاصمتها حاتوشا بيد شعوب الكازكاز التي تحركت من جهات شواطئ البحر الأسود» وفي مكان آخر من الكتاب نفسه، يقول:«إن هجرة الآخائيين إلى شرقي البحر المتوسط، ووصولهم إلى سواحل آسيا الصغرى، أدى إلى تحريك شعوب الإمبراطورية الحثية، ومنهم شعب الكازكاز (الكاشكيون)«على شواطئ البحر الأسود وبحر مرمرة» فتحركوا نحو العاصمة الحثية، وعملوا على حرقها وتدميرها..»[١].

فيما يذكر د. فيصل عبدالله، في كتابه الموسوم بـ / تاريخ الوطن العربي القديم - بلاد الشام - سورية ولبنان وفلسطين والأردن / شعوب البحر التي هاجمت حاتوشا، فيقول:«فقد كانت الشعوب الأوروبية المتمركزة في غرب الأناضول من آخين وأرزاويين ولوسيين متحدين جميعهم ضد حاتوشا»[٢].

---

(١) محمد حرب فرزات: موجز، مرجع سابق، ص ١٠٨، ١٤٩.

(٢) فيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي - بلاد الشام، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

إذن، الشعوب التي دمَّرت حاتوشا، هي مزيج من الشعوب الأوروبية القادمة من جزر بحر إيجة، والشعوب الآسيوية، وبالمجمل تكون الشعوب التي دمرت حاتوشا هي: شعوب: «الكازكاز (الكاشكيين) - شعوب الفريجيين - شعوب الماسا - الآخائيين - أرزاويين - لوسيين».

وهكذا دُمِّرت العاصمة الحثية حاتوشا، ولم يعد لها ذكرٌ في التاريخ، إلا بعدما ظهرت مجدداً على يدِ منقبي الآثار في منطقة بوغازكوي الحالية. أما عن مصير شعوب هذه العاصمة، وهذه الدولة الكبيرة، فلا توجد دراسات حول مصيرهم، ولكن المنطق العقلي والتاريخي، يقول: إنهم ساحوا في البلاد إلى أماكن أكثر أمناً في كافة مناطق الأناضول، ولا بدَّ أن قسماً منهم قد دخل الأراضي السورية عبر جبال طوروس، مُهرولين أمام تقدم شعوب البحر، ومُعتقدين أن إمارات وممالك سورية، ستحميهم من القادمين الجدد، فنجا بعضهم، ولاقى الآخرون مصيرَ ما لاقته شعوب الساحل السوري، إثر وصول شعوب البحر إليهم، وذلك حسب مناطق انتشارهم الجغرافية.

أما فيما يتعلَّق بالسلطة الحثية المُنهارة في حاتوشا، فأغلب الظن أنها انتقلت إلى كركميش التابعة أصلاً للحثيين، التي تُعدُّ العاصمة الثانية لهم بعد حاتوشا، والتي (ربما) ستلاقي مصير حاتوشا نفسه لاحقاً، لكنها لن تزول عن الوجود تماماً كما زالت حاتوشا، وستبقى كركميش في قادم الأيام، المركز الذي يُمثِّل السلطة الحثية في سورية بعد خروج شعوب البحر منها، فماذا عن سقوط كركميش - إن حدث ذلك - بيد شعوب البحر، هذا ما سنتعرَّفُ إليه في الفصل القادم.

الفصل الخامس

شعوب البحر تغزو
بلاد الشام والساحل السوري

أولاً: غزو كركميش

اختلفت الروايات حول صحة دمار كركميش على يد شعوب البحر القادمة من بعد ما دمَّرت حاتوشا، ويبدو الدليل الأكثر إقناعاً لسقوط هذه المدينة ضحية لهذه الغزوة، هو ما ذكره رعمسيس الثالث في تدوينه على جدران معبد هابو في سياق ذكره لخط سير جحافل شعوب البحر القادمة من حاتوشا باتجاه كركميش، ومنها نحو سهول أمورو، إذ يقول: «وقد بدؤوا بخاتي وقرقميش وأرزاوا وآلاسيا..»[1].

---

(١) آلن جاردنر: مرجع سابق، ص ٣١٤.

وهذا ما يؤكد أن هذه المدينة قد لاقت مصير حاتوشا نفسه، وهذا ما أكَّده أيضاً (ليوناردو وولي) في كتابه الموسوم بـ /آلالاخ مملكة منسية /ففي وصفه لخط سير جحافل الغزوات التي دمَّرت حاتوشا، يقول وولي:«دُمِّرت مدينة (بوغازكوي)[1] في الأناضول، فاتجهت - جحافل الغزوات - نحو الجنوب، واجتاحت سورية كالسيل العارم... وكان يرافقهم أسطول بحري على امتداد الساحل السوري، كانوا يجتاحون المدن التي أخذت تتساقط تباعاً... ثم سقطت كركميش، حلب..»[2].

ويبقى الحسم في مجال التاريخ، هو دعم الرأي بالتنقيبات الأثرية، فقد أظهرت الحفريات الأثرية التي جرت في جرابلس (كركميش) تتابع الفخار الذي يُشير إلى استمرارية خاصة، وما من دليل على حدوث دمار كبير في نهاية عصر البرونز المتأخر، وهنا يبدو التناقض واضحاً ما بين الكتابات التي دوَّنها رعمسيس الثالث، ويصف فيها كركميش، كواحدة من المدن التي سقطت على أيدي شعوب البحر، وما بين التنقيبات

---

(١) يقصد بها العاصمة الحثية حاتوشا.

(٢) ليونارد وولي: مرجع سابق، ص ١٥٠.

الأثرية، وفي الحقيقة قد لا نستطيع أن نعدَّ ذكر كركميش في نقوش رعمسيس الثالث برهاناً كافياً على سقوطها[1]، وذلك اعتماداً على إمكانية قيام رعمسيس الثالث بتضخيم حجم القوات التي حاربها، من أجل إعطاءِ عظمةٍ أكبر لانتصاره الكبير في معركة زاهي، وبالتالي قد لا تكون كركميش من بين المدن التي دُمِّرت على يد شعوب البحر، ومما يُضيف على ذلك برهاناً، هو بقاؤها عامرة بعد فترة الاجتياح، واستمرارها كمركزٍ للنفوذ الحثي، بل وعاصمتهم الجديدة في سورية، إلى زمنٍ ليس بالقصير.

لكننا، يمكن أن نفكِّر في إيجاد صيغة قد تبدو مقبولة، ما بين التنقيبات الأثرية التي يُعتمد على نتائجها، وما بين الكتابات والنقوش الأثرية، التي لا يُستهان عادة بصحتها، صحيح أن الملوك عادةً، قد يضخِّمون الحدث، لكن على الأغلب، هم لا يخلقونه، وهذا ما نجده غالباً في دراسة حوليات ملوك الشرق عادة.

---

(١) هورست كلينغل: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

إذن، قد يبدو الاحتمال الأقرب إلى الصواب، أن شعوب البحر قد مرَّت من قرب كركميش، وربما حاصرتها، ودارت بعض المعارك حولها، لكنها - أي شعوب البحر - لم تتمكَّن من تدميرها وفتحها، وبالتالي بقيت عامرةً صامدة أمام هذا الإعصار الجارف والمؤقت، فلربما تركتها هذه الشعوب مُحاصرةً، مُعتمدة على قوتها، ومُعتقدةً أنها سوف تعود إليها لاحقاً، بعد القضاء على الحكم في مصر - هدفها المنشود - لكن ما حدث في معركة زاهي، والقضاء على جيوشهم وسحقها وتشتتها، أدى إلى تشتت شعوب البحر المُحاصِرة - افتراضاً - لكركميش، وبالتالي انتهاء الحصار، وهروب القوات المحاصِرة عنها. ويبقى كلُّ ما ذكرناه برسم التفكير السليم غير المُعتمد على الأدلّة القاطعة، وبرسم الرغبة في الوصول إلى الحقيقة، التي لا ندَّعي الوصول إليها، منتظرين نتائج الدراسات المُعتمدة على تنقيبات جديدة، والتي قد تفضي لاحقاً إلى كشف ما حدث لكركميش، إبان مرور شعوب البحر من قربِها، ومعرفة الحقيقة المرجوَّة.

ثانياً: غزو مملكة أمورو

كنّا قد ذكرنا مراراً في الصفحات السابقة، أن شعوب البحر، ومنْ تحالفَ معها، كانت قد اندفعت بعد تدميرها لحاتوشا سالكةً طريقاً دمَّرت من خلاله معظم المدن التي اعترضت طريقها، إلى أن اجتمع عسكرهم في بقعة واحدة بأرض أمورو[١]، وجعلوها قاعدةً لهم، ولتحركاتهم المقبلة،[٢].

وقد ذُكرت أمورو في الكتابات المسمارية منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد باسم (مارتو - Mar.tu) وبالصيغ الأكادية بـ (A-mur-ru) إذ كانت تُشير إلى جهة الغرب من وجهة نظر سكان بلاد الرافدين، ولاسيما المنطقة الواقعة غرب نهر الفرات الأوسط[٣]، وبعد ذلك أُطلقت تسمية (أمورو) على السكان أو المجموعات القبلية القادمة من هذه الجهة(الغرب)،

---

(١) أمورو - وادي إليوثيروس (وادي النهر الكبير الجنوبي) وعاصمتها (صُمر) حالياً تل الكزل - قرب صافيتا، انظر كتاب / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / لـ دونالد ب. رودفورد.

(٢) عيد مرعي: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ١٦٥.

(٣) ووردت كذلك في نصوص إيبلا.

إلى بلاد الرافدين، ونحو منتصف الألـف الثـاني قبـل المـيلاد، أصبحت أمورو اسماً لمنطقةٍ جغرافيةٍ تقعُ ما بين سـاحل البحـر المتوسط، وسهول حمص[1]، وقـد كـان لهـا دور بـارز في الفـترة ما بين ١٤٠٠ - ١٢٠٠ق.م وهي فترة رسائل تل العمارنـة، فقـد لعب مَلكاها عزيرو وابنه عبـدي عـشرتا دوراً بـارزاً في الـصراع الحثي المصري، وغير معروف من كان يحكم أمورو أو ما إذا كـان هناك ملك على الإطلاق، عنـدما نـصبت أولى جماعـات شـعوب البحر خيامها، في هذه المنطقة، كما أنه لا توجد معلومـات إضـافية عن الفترة الأخيرة من تاريخ المملكة وسلالتها.

وتـستحق الرسـالة المُرسـلة إلى ملـك أوغاريـت مـن قِبـلِ شخص يدعى بارسو (برصو) Parsu الاهتمام، فقد طلب فيهـا من ملك أوغاريت، وبأدبٍ، أن يوصِـلَ كـل الأخبـار المتعلقـة بتحركات عدو (لم يذكر اسمه) كما كانت العادة سـابقاً مـا بـين أوغاريت وأمورو، وهكذا يُصبح واضحاً أن العدو كان نـشطاً في منطقة ليست بعيدة عن أوغاريت، ما يُشكِّلُ تهديداً لأمورو،

---

(١) هورست كلينغل: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ١٧٥.

وهذا ينطبق تماماً على الحالة، التي كانت جماعات شعوب البحر تقاتل في شمال شرق البحر المتوسط، ووصلت أخبار تحركاتها إلى ملك أوغاريت عن طريق حاكم ألاشيا (قبرص)[1].

وفيما يلي نقدم نص الرسالة Ugaritica v,115,Rs 20.162,86 المُرسلة من (برصو) إلى ملك أوغاريت، الأغلب أنه حمورابي، ويطلب منه إخبار بلدان أمورو بتحركات العدو المتربص بهم يقول فيها:

سيّدي قلْ:

هكذا (يقول) خادمك بَرْصو

اسجد عند قدمي سيدي

٥ - بالنسبة لك ليت (كل شيء) سالم

يا سيّدي! هكذا (يقول) ملك بلدان

أمورو

٧ -٨ - (أ) لم أقلْ أمامك حقاً: «عندما

(١) المصدر نفسه: ص ١٩٠.

٩ -١١ - تسمع خبراً يخصّ الأعداء

الغرباء، فأرسل إلى بلداني (خبراً). والآن

يا سيد لماذا

لم ترسل (خبراً)

إلينا

١٥ - بخصوص كلام الأعداء الغرباء

مثلما تسمع؟

أمرٌ ثانٍ، يا سيدي

بلدان أمورو وبلدان أوغاريت

هي وحيدة

٢٠ - يا سيّدي! إنْ تسمع خبراً

عن الأعداء الغرباء فليت سيدي

٢٢ -٢٣ - يرسلـ (ـه) إلينا. يا

سيدي!

الآن أنا سأرسلُ ما يلي:

٢٥ - حقاً سأرسل السفن التابعة لنا
للقائك
فليت سيّدي يعرف (بذلك)[١].

والمُتتبع لهذا النص يُدرك أن كتابته كانت في المرحلة، ما قبل وصول تلك الشعوب إلى أوغاريت وأمورو، ويبدو أن حاكم أمورو الذي يُعلِنُ نفسه تابعاً لأوغاريت إذ يُخاطب ملك أوغاريت بـ (سيد) وبلهجة استجداء وترجٍّ، ويستنتج أن الأخبار قد وصلت إلى أمورو عن طريق آخر، وليس عن طريق ملك أوغاريت، ففي كلامه شيء من العتب:«ألم أقل أمامك حقاً: عندما تسمع خبراً يخصُّ الأعداء يا سيد لماذا لم ترسل (خبراً)».

لكن الأمر يُبدي حالة من اليأس والخوف والتبعية: «يا سيدي إن تسمع خبراً عن الأعداء الغرباء فليت سيدي يرسله إلينا..»

(١) جيهان عزت محمد: أخبار مملكة أمورو في النصوص الأكادية، وزارة الثقافة، سورية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، دمشق، ٢٠١١م، ص ٢٤٨، ٢٤٩.

وعلى الرغم من تجاهل ملك أوغاريت، وعدم إخبار أمـورو بالتحركات البحرية التي عَلِمَ بها من ملـك آلاشـيا (قـبرص)، فإن ملك أمورو سوف يُرسل سفنه لتلاقـي سـفن أوغاريـت، وتساعدها في وقفِ هذا العدو، علَّـه بـذلك يُنقـذ أمـورو مـن الخطر القادم، لكن دمار أمورو على ما يبـدو لم يـأتِ مـن جهـة البحر، وإنما جاء عن طريق البر، ويبدو أن سقوط أمـورو كـان مُحققاً، فهذا ما أثبته النص (٨٦: ١٢ - ٢٥) الذي يُشير إلى عدو خارجي، كان يتربَّص بمملكة أمورو، وإلى أن الخطر مُحدِق بهـا لا محالة، وهذا ما رأيناه في النص السابق.

وفي هذا الصدد، يقول هورست كلينغل في كتابه الموسوم بـــ / تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠ - ٣٠٠ ق.م /: «يُـذكَرُ نـصٌ هيروغليفي - يعود إلى الـسنة الخامـسة مـن عهـد رعمـسيس الثالث، يذكر (ملك أمـورو) الـذي (أصـبح رمـاداً) (أي فقـد حياته) الـذي اختفـى اسـمه، أمـا أهـالي أمـورو، فقـد أُسِروا، وشُتِتوا، وأُخضِعوا..»[1].

(١) هورست كلينغل: تاريخ سورية السياسي، مرجع سابق، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

وليست لدينا معلومات عن السنوات الأخيرة لمملكة أمورو، ولا ندري إن كان هناك حاكم اعتلى عرشها بعد (شاوش جاموا ١٢٣٥ - ؟ ق.م) ويعود ذلك لعدم اكتشاف وثائق كتابية توضِّحُ ذلك حتى الآن. لكن المؤكد أن أمورو قد لاقت مصيرها، ونهايتها كغيرها من مدن وممالك ساحل بلاد الشام، على يد شعوب البحر(١).

ثالثاً: غزو مملكة آلالاخ

تقع مدينة آلالاخ Alalach(٢) التي يُعرف موقعها الحالي باسم تل العطشانة، الواقع عند المجرى السفلي لنهر العاصي، بالقرب من إنطاكية في لواء اسكندرون المُغتصب، وقد جرى التنقيب في هذا الموقع على سبعة مواسم ما بين أعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ و ١٩٤٦ - ١٩٤٩م، وذلك من قِبَلِ بعثة بريطانية برئاسة السير ليونارد وولي L.woolley(٣).

---

(١) المصدر نفسه: ص ٢٥٩.

(٢) عاصمة مملكة موكيش الأمورية.

(٣) مُكتشف مدينة آلالاخ.

إن تاريخ مملكة آلالاخ الأمورية، لا بدَّ أنه مرتبط بشكلٍ مباشر بتاريخ مملكة يمحاض (حلب) الشهيرة، وذلك لقربهما جغرافياً، ولأن مملكة آلالاخ كانت تابعةً وفي معظم مراحل تاريخها للنفوذ الحلبي، فقد حكمت فيها أسرة حلبية، خاصة في القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد، وقد دخلت تحت سيطرة الحثيين[1] إثر سيطرة شوبيلو ليوما الأول على النصف الشمالي من سورية عام ١٣٦٦ق.م.

وقد لاقت آلالاخ المصير ذاته لمدن شمال سورية، عام ١١٩٠ ق.م بعد مرور شعوب البحر، الذين كانوا يسيرون رجالاً ونساءً وأطفالاً وعربات تجرُّها الثيران، فكانوا قوة متحركة لم تستطع قوة كقوة الحثيين إيقافها، فما عساها دولة مدنية مُتحضِّرة كـآلالاخ أن تفعل أمام غزو مدمِّر كهذا، فقد اجتاحت شعوب البحر التي دمَّرت حاتوشا آلالاخ، ودخلوا سورية«كالسيل العارم»[2].

---

(١) نزار مصطفى كحلة: إبداعات حضارية في تاريخ العرب قبل الإسلام، كتاب قيد الطباعة، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٢) عمار عبد الرحمن: مملكة آلالاخ -ألق التاريخ على العاصي، وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ١٥٥.

ويقـدِّمُ ليونـارد وولـلي وصـفاً لـدمار المدينـة عـلى يـد هـذه الشعوب، إذ يقول: «أما أطلال الحرائق التي التهمت أكبر بيوتات المدن، فتؤكد أن آلالاخ تقاسمت مع جيرانهـا الآخـرين الأقـوى منها الدمار والفناء، ويعود وولـلي ليقـدِّمَ دلـيلاً أثريـاً عـلى دمـار المدينة الكامل، في حادث تمثال الملك (إيـدري - مـي)[1] المُحطَّـم، والذي حاول أحد سكان المدينة مجازفاً بحياتـه جمـع مـا بقـي مـن قطع التمثال وإعادته إلى مكانه السابق، ولكنه لم يعد، وبعد مـرور خمسين عاماً على مأساة آلالاخ، قامت محاولة لبعث المدينة القاحلة (الصحراء) مـن جديـد، وجعلهـا مدينـة مزدهـرة تعـجُّ بالحيـاة والنشاط، وفي هذا الوقت بالـذات كانـت أطـلال جـدران معبـد المدينة التي تداعت على أثـر غـزو شـعوب البحـر التـي ابتلعـت موجودات المعبد، التي ملأت ساحته، وأصـبحت آلالاخ ذكـرى طواها الزمن، ودخلت في عالم النسيان[2]، ويأتي الدليل على صـحة ما قدمه ليونارد وولي في رغبة السوريين إعادة إحياء المدينة، فبعـد مرور نحوٍ من خمسين عاماً على دمارها، عثر وولي ذاتـه عـلى قـبر

---

(١) أحد أشهر ملوك آلالاخ، وقد حكم نحو ١٥٠٠ - ١٤٨٠ ق.م.

(٢) ليونارد وولي: مرجع سابق، ص ١٥٠.

يحتوي منحوتة مصرية، وهي (جُعَلٌ) أو خنفساء رعمسيس الرابع، ويعود تاريخها إلى نحو ١١٤٠ق.م تقريباً، ولكن المدينة لم تَقُم لها قائمة بعد، وبُنيت مدينة أخرى على تلٍّ مجاور فيما بعد، ولكن لم يكن لها مجدٌ مشرقٌ كآلالاخ(١).

رابعاً: شعوب البحر تغزو أوغاريت

يقع تل رأس الشمرة، حيث عُثِرَ على أنقاض مدينة أوغاريت، على الساحل السوري الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وعلى بعد نحو ٩ - ١٠كم شمال مدينة اللاذقية، وقد اختار الإنسان قديماً هذا الموقع لكي يكون ميناءً ينقل البضائع نحو العالم القديم، وقد سُكِنَ هذا الموقع منذ عدة آلاف من السنين قبل الميلاد، لكن عصر ازدهارها كان في أواخر عصر البرونز الحديث، ما بين ١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م، ثم طواها الزمن، واختفت عن الوجود آخذة معها أسرارها وجمال عُمرانها ورقيَّها، إلى أن اصطدمت سكَّة فلاح بتمثال حجري يعود للمدينة، وجاءت في

(١) محمود عبد الحميد أحمد وآخرون: آثار الوطن العربي القديم - العراق - سورية - مصر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م، ص ٣٩٠.

الحال بعثة أثرية فرنسية برئاسة العالم كلود شيفر، وبدأ التنقيب المنهجي، وفي آب ١٩٢٩م ظهر اسم المدينة أوغاريت Ugarit وتمَّ العثور على آلاف الرُّقم الفخارية التي دُوِّنت عليها نصوص لغاتٍ، منها الأكادية المقطعية، والأوغاريتية الأبجدية.

وقد كانت سلطة أوغاريت السياسية، تمتد على سيانو Siyannu[١]، ومنطقة آلالاخ[٢] على بعد ٣٠ كم من أوغاريت، وجنوب جبال طوروس منطقة الأمورو، وقد حكم نيقمادو الثالث ١٢٢٠ - ١٢١٠ ق.م كآخر الملوك الشرعيين، في عصر ازدهار أوغاريت قُبيل وصول آخر حكامها غير الشرعيين، وهو عمورابي (حمورابي) ١٢١٠ - ١١٩٠ ق.م، وفي عصره سقطت أوغاريت على يد شعوب البحر عام ١١٩٠ ق.م[٣].

وتشير أغلب الدراسات على أن عمورابي ١٢١٠ - ١١٩٠ق.م، ليس ابناً شرعياً لنيقمادو الثالث ١٢٢٠ - ١٢١٠ ق.م، غير أن

---

(١) قرب جبلة، المدينة السورية الحالية.

(٢) تل العطشانة - في سهل العمق.

(٣) محمد عبد الحميد الحمد: حضارة طريق التوابل، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧م، ص١٧٧، ١٧٨، ١٧٩.

هناك ترنيمتين أوغاريتيتين تربطانه مع أسلاف ملكيين (يقاروم - عميشتمرو - نيقمادو - نيقميبا - أرخلبا - إيبرانو) وتطلبان السلام له شخصياً، ولزوجته، ولمدينته أوغاريت، ولبيته وأبوابه، وقد اعتقد بعضهم أن هذه الترانيم، قد استعملت بمناسبة تتويج عمورابي، وإن اعتلاءه العرش - وهو فتي جداً - لم يتم من دون مشاكل، وعندما اعتلى عمورابي العرش، كان تالمي تيشوب، لا يزال يحكم في كركميش، ومن المؤكد أن عمورابي كان معاصراً لشوبيلو ليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩٠ ق.م، آخر الملوك الحثيين، ويجب أن يكون شوبيلو ليوما هذا، هو الملك الحثي الذي أرسل إلى عمورابي الرسالة التي اكتشفت بين ألواح (الفرن) الواحد والسبعين، أي مجموعة الألواح الطينية التي وُضِعت في الفرن لشيِّها قبل دمار أوغاريت بوقت قصير[١].

ولقد شهدت أوغاريت في أواخر أيامها، دماراً شاملاً، أتى على كلِّ المدينة، فلم يُبقِ في المدينة على شيء عامر، فقد أتت الحرائق والدمار على كلِّ شيء.

---

(١) هرست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦١، ١٦٢.

وتُجمِعُ أغلب الآراء باستثناء البعض منها - وهذا ما سنناقشه لاحقاً - على أن دمار المدينة، كان على يد شعوب البحر، فقد دُمِّرَت مدينة أوغاريت أسوة بباقي مدن الساحل السوري، إضافة إلى حاتوشا عاصمة الحثيين، وكنّا قد عرضنا لدمار هذه الحاضرة، إضافة للغزوات التي قصدت مصر بغية استيطانها، ولكن ملوك مصر، وبإمكانياتهم الكبيرة، استطاعوا ردَّ هذا الغزو، وخاصة في عهد رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ق.م في معركة زاهي الشهيرة.

وهنا يُطرح السؤال التالي: من أين جاءت جحافل هذه الغزوات التي دمَّرت أوغاريت؟، فهل قَدِمت من البحر؟، أم من البر؟، أو من الطريقين معاً؟، هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال العرض القادم.

لقد سلكت شعوب البحر التي ذكرناها، انطلاقاً من شواطئ شبه جزيرة البلقان وجزر بحر إيجة، في تحركها نحو آسيا الصغرى وسواحل بلاد الشام، ومصر وليبيا، على محاور مختلفة، كُنّا قد عرضنا لها سابقاً، أما عن المحور الذي سلكته

شعوب البحر، التي يُفترضُ أنها دمَّرت أوغاريت، والتي سبق وذكرناها، فهو:

المحور الذي اتجه من جزيرة كريت بعد سقوطها، نحو جزيرة قبرص، ومنها نحو السواحل الشامية، ومن ثمَّ إلى أوغاريت، وتتألف قبائل هذا المحور، من: قبائل البلست، الليرية، الزكارية، وكان من شأن هذا الهجوم بالتعاون مع القبائل المهزومة أمام رعمسيس الثالث، في معركة زاهي، تدميرُ معظم المدن الكنعانية الساحلية[1]. وكانت هذه القبائل بعد سيطرتها على قبرص، التي كانت تابعة للدولة الحثية، وذلك بعد انتصارها على الأسطول الحثي إبان حكم شوبيلو ليوما الثاني[2]، ومن ثمَّ على أوغاريت، فقد دمَّرتها واتجهت نحو جزيرة أرواد، فجعلتها قاعدة لها في الهجوم على باقي الساحل السوري كله[3]، وهذا يعني أن سقوط أوغاريت

(١) صالح الحكيم: مرجع سابق، ص ١١٣.

(٢) كُنّا قد ذكرنا وصف هذا الملك في صراعه مع هذه الشعوب، بُغية الاحتفاظ بقبرص، لكنها سقطت أمامهم وبالتالي جعلوا منها مركزاً انطلقت منه نحو دمار العاصمة الحثية.

(٣) إبراهيم توكلنا: مرجع سابق، ص ٧١٤.

قد جاء في مرحلة لاحقة من سقوط حاتوشا، ومعركة زاهــي، أي نحو ١١٩٠ق.م.

وفي الحقيقة إننا لا نملك تأريخاً متسلسلاً وواضحاً عن تسلسل الأحداث بدقة، مَرجِعـهُ لـيس منطقيـة الأحـداث، وإنـما بـسبب تضارب سنوات حكم ملوك ذلك العصر، ما بين مـصدرٍ وآخـر، لأننا عادةً ما ننسبُ الأحداث إلى سنوات حكـم هـؤلاء الحكّـام، فإننا سوف نقع في مَطبٍّ تضارب تحديد زمان حدوث أي حـدث مهمّ، فمثلاً: عندما نقول إن معركة زاهي قد وقعت في السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ق.م فهذا يعنـي أن المعركة وقعت في سنة ١١٩٠ق.م، وبالتالي إذا كانت فلول معركة زاهي من شعوب البحر قد شاركت في الهجوم على أوغاريت، فإن دمار أوغاريت جاء بعد معركة زاهي، أي بعد العـام ١١٩٠ق.م. أمّا إذا كان سقوط أوغاريت قبل معركة زاهي، ولم تشارك الفلول فيه، فهذا يعني أنها حدثت ما قبل العام ١١٩٠ق.م وربما كـان مـا بين ١١٩٤ - ١١٩١ق.م، هذا كلُّهُ إذا كنَّا متفقين على زمن حكم رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ق.م الذي أصلاً، غـير متَّفـقٍ عليه ما بين مصدرٍ وآخر؟!.

أما عن سقوط أوغاريت، فيبدو أن شعوب البحر التـي كانـت قد احتلت قبرص، كانت قد تقدمت إلى أقرب مكان من سواحل أمورو، أي سواحل بلاد الشام، وعلى الأغلب جنوب أوغاريت، حيث أقامت لها جسراً عسكرياً عـلى هـذه الـسواحل، في الوقـت الذي كانت فيه قوات وأسطول أوغاريت الحربية تحاول مـساعدة القوات الحثية في عاصمتها حاتوشا، فقد استغلَّ قادة جيوش البحر انشغال أسطول وقوات أوغاريت الحربية، في مساعدة حاتوشا في قِتالِ الفرع الآخر من جيوش قبائل البحر، فقامت شعوب البحـر بإنزال قواتٍ برية لها على سواحل أمورو، ومن ثـمَّ وصـلت هـذه الجيوش إلى أوغاريت واحتلتها، بعد حصارها برياً وبحرياً، وقـد أحرق المنتصرون البيوت والقصور، وسرقوا ونهبوا ما وجدوه في أوغاريت، ومنذ ذلك التاريخ، وعلى الأغلـب لم تقـم قائمـة لهـذه المدينة العريقة بالحضارة[1].

ويمكن أن تكـون هـذه القـوات التـي دمَّـرت المدينـة بعـد نزولها على شواطئ أمورو، هي التـي دمَّـر فـرعٌ منهـا أمـورو،

---

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٩٧.

أو لـربما دمرتهـا بعـدما دمَّـرت أوغاريـت، أو قبلهـا بوقـت قصير، وهي القوات نفسها التي كـان يتـساءل عنهـا (برصـو) الــذي أرســل الرســالة ٨٦ (Ugaritica v,115,Rs 20.162) إلى ملــك أوغاريــت، والتــي ذكرناهــا في بحــث ســقوط مملكة أمورو، وقـد كـان قـد تـساءل فيهـا عـن تحركـات مـن سـمَّاهم بالأعـداء، وطلـب مـن ملـك أوغاريـت إخبـاره عن تحركاتهم.

وهنا نستطيع أن نتخيَّل ما حدث على وجـه التقريـب، فقـد احتلت شعوب البحر قـبرص، ومـن ثـمَّ اتجـه قـسمٌ منهـا إلى حاتوشـا، وبعـدما اتجهـت سـفن أوغاريـت وقواتهـا لتـساعد الأسطول والقوات الحثية في الدفاع عن حاتوشا، استغلت هذه القوات البحرية خلو أوغاريت مـن قواتهـا البحريـة والبريـة، فأقامت لها جسراً عسكرياً على السواحل الجنوبية لأوغاريـت، ومن ثمَّ أطبقت على المدينـة مـن الـبر والبحـر، مُـدمِّرةً إياهـا. ولربما تكون القوات التي دمَّرت أمورو، هي من القـوات التـي نزلت على البر، لذلك يمكن أن تكون قد دمَّـرت أمـورو قبـل أوغاريت، وعلى الأغلب بعد دمارها.

لكن أوغاريت لم تكن لقمة سائغة في يد شعوب البحر، فقد قاومت القطع البحرية والبرية المتبقية في أوغاريت، وبعد قتالٍ مستميت، استطاعت القوات الأوغاريتية تدمير الأنساق الأولى لشعوب البحر، وإحراق بعض السفن المعادية، ومن ثمَّ طلبت النجدة من قبرص، وإعلامها فيما إذا كانت هناك سفنٌ أخرى مُبحِرةٌ نحوها، لكن الغزاة، كانوا أقوى من أيَّةِ دولةٍ مُنفردة من دول بلاد الشام والساحل السوري، فوقعت الكارثة، وسقطت أوغاريت، وقد أثبتت التنقيبات الأثرية، أن المدينة أُحرِقت، وفرَّ منها سكانها[1]، ويبدو أن الرسائل التي كان مُزمَعاً إرسالها إلى قبرص، لم تُرسَل، لأنها بقيت في الفرن بغية شيِّها، لأن المدينة كانت قد سقطت، وحتى قبرص، كانت قد سقطت قبلها. وبعدما سقطت أوغاريت، جعلت شعوب البحر من جزيرة أرواد قاعدة لقواتها، بغية الإغارة على ما تبقى من سواحل بلاد الشام.

---

(١) علي أبو عسّاف: نصوص أوغاريت - دراسات ونصوص قديمة (٣)، وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط١، ١٩٨٨م، ص ١٩.

عمورابي في أيامه الأخيرة

على الرغم من الرُقم الكثيرة التي عُثر عليها في أوغاريت، إلا أن الرُقم التي عالجت الأيام والأشهر الأخيرة من حياة المدينة، وحياة ملكها عمورابي، تكاد تكون معدومة، وهذا ما يدلُّ على أن سقوط المدينة، كان مفاجئاً، إذ لم يتسنَّ لكتّاب و«مؤرخي» المدينة، تدوين مجريات الأيام الأخيرة، في هذه المدينة، ونحن نكاد نكون أمام صندوقٍ مغلق، وظلامٍ دامس، فيما يخصُّ سقوط المدينة، لولا العثور على بعض الرُقم التي عُثِرَ عليها في فرن القصر، والتي قدمت لنا العديد من الرسائل، التي من خلالها نستطيع مقاربة الأحداث الأخيرة، ورسم صورةٍ تقريبية للأيام الأخيرة التي شهدتها هذه المدينة العامرة بالسكنِ والسكَّان، فما هي قصة هذا الفرن المهمّ جداً؟.

بينما كان (كلود شيفر) يُنقِّبُ في المدينة، عثر على فرنٍ لطبخ ألواح الفخار[1]، وكان هذا الكشف حدثاً مهماً، لأنه لم يُعثر في أيِّ مكان من الشرق الأدنى على فرنٍ مماثل له[2].

(١) وهو الفرن الواحد والسبعون.

(٢) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٣.

وقد قدَّم لنا هذا الفرن بلويحاته الفخارية، والكتابات التي وجدت منقوشةً على هذه اللويحات، معلومات لا بأس بها[1]، حول الرسائل التي كانت مُتبادلة بين عمورابي، وآخر ملوك الحثيين شوبيلو ليوما الثاني، وملك آلاشيا (قبرص)، وهنا سنفرد بعض الأسطر لتقديم بعضٍ من هذه الرسائل، ومن خلالها سندرك أهميتها في تقديم لوحة تقريبية عن آخر أيام أوغاريت، وماذا حدث فيها.

في رسالة كُتبت من الملك العظيم (ملك الحثيين)، إلى ملك أوغاريت، يطلب منه فيها الانتباه إلى الحبوب القادمة من بلاد موكيش (آلالاخ)، والمنوي إرسالها إلى حاتوشا عبر ميناء (أورا)[2]، وقد ذُكِرَ أن الموضوع عاجل جداً،«أي أنه قضية حياة أو موت»، وهذا ما كنّا قد ذكرناه سابقاً حول حدوث مجاعة في حاتوشا، فقد أصبحت أوغاريت مركزاً لتحويل المساعدات إليها.

---

(١) يُذكر أن الألواح الفخارية السومرية، والبابلية، والآشورية، والسورية عموماً، كانت تُعرَّضُ لحرارة الشمس فقط، انظر كتاب / نصوص أوغاريت / علي أبو عسّاف، ص١٩٥.

(٢) وهو ميناء بحري.

وهناك ثلاث رسائل، تستحق عناية خاصة، وهي من فرن قصر أوغاريت، تُشير إلى أعداءٍ، وتجهيزات سفنٍ وفرقٍ عسكرية ، أي إلى وضعٍ في غاية الخطورة، قد تكون وراءه شعوب البحر. ومن بين النصوص التي اكتشفت في أوغاريت عام ١٩٧٢م والتي نُشِرت في مجلة Ugaritica VIII هناك لوح يشير إلى (شيكالايو - Shikalayu) وهم إحدى مجموعات شعوب البحر (العدو) الذي لا يُذكر عادةً بالاسم في النصوص المتعلقة بذلك، والذي بناءً عليه، يمكن أن يُنسب إلى شعوب البحر(١).

وفي رسالة موجَّهةٍ إلى عمورابي (ملك أوغاريت) من قبل إشووارو Eshuwarw الوجيه الكبير في مملكة آلاشيا (قبرص Rs 20.18) يُخبِره فيها عن تحركاتِ أعداءٍ هاجموا لتوهم أُناساً وسفناً من أوغاريت، ويستعدون الآن مع عشرين سفينة لاعتداءات جديدة.

---

(١) وقد قيل عن جماعة الشيكالايو، إنهم يعيشون على سفن ينهبون ويهاجمون المستوطنات الساحلية.

وتتحدث رسالة أخرى، أرسلها ملك آلاشيا نفسه (Rsl.1) عن سفن أعداء، وتوقع هجوم على مملكة أوغاريت[1]، وينصح ملك آلاشيا - حليفه عمورابي - باتخاذ التدابير الاحتياطية التالية: عليه أن يُحصِّنَ مُدنهُ بالأسوار، وأن يضع جنوده وعرباته الحربية خلفها، أي عليه أن يكون مستعداً للدفاع عن مدينته، بأيَّة لحظة.

وفي رسالة مُرسَلةٍ من قِبَلِ عمورابي إلى ملك آلاشيا (Rs20.238)، وقد خاطبه فيها بعبارة «أبي» ربما بسبب صغر سنه، ويُعلِمهُ فيها عن اقتراب السفن المعادية، وأن بعض المستوطنات قد تمَّ تدميرها بالنيران[2].

كما وجِدَ في فرن مطبخ القصر في أوغاريت، ومن بين الألواح، رسالة يأمر فيها «الملك - الشمس»[3] دون المقدمة

(١) على الرغم من أنَّ سفن شعوب البحر لم تكن مُجُهّزة بالكثير من المُجذفين والمحاربين، إلا أن هذه السفن، كانت تعتمد على السرعة والمباغتة والتفوّق في السلاح.

(٢) هورست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤.

(٣) وهو اللقب الذي كان يُلقب به عادةً ملك حاتوشا.

المعتـادة والـسلامات والتمنيـات الطويلـة، ملـكَ أوغاريـت عمورابي«اجمع ما عِندَكَ، وابعث به إليّ»[1].

وكان عمورابي قد أرسل سفنه إلى حاتوشا لإنقاذها، وتـرك أوغاريت خالية من السفن والقوات العـسكرية، ففـي رسـالةٍ مُرسَلةٍ من حاتوشا، يطلب كاتبها مـن ملـك أوغاريـت تجهيـز وإرسال ١٥٠ سـفينة. فـيما تتحـدث رسـالة أخـرى، أرسـلها شوبيلو ليوما الثـاني إلى عمـورابي، والتـي طلـب مـن خلالهـا مساعدته ضد العدو الذي يهدد بلاده، وضد كارثة الجوع[2].

وفي رسالة أخرى أيضاً، ومُرسَـلةٍ عـلى الأغلـب مـن ملـك الحثيين، إلى عمورابي، يقول فيها:«سُفنكَ، وأنت عليها، تعـال لمقابلة (الشمس) سيدك» وقد وعده مقابل ذلـك بكميـة كبـيرة من الذهب والفضة.

كما نجد في رسالة موجهة من حاكم جزيرة قـبرص، إلى ملـك أوغاريــت عمــورابي، يــشكو فيهــا (اســتنكاراً) قيــام بحَّــارة

(١) صفيّة سعادة: مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٢) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٤٩.

أوغاريتيين، كانوا راسين في قبرص، بتسليم سفنهم إلى عدوٍّ (غير محدد)، في دلالةٍ واضحة على «خيانتهم» لمدينتهم. فيما نجد في رسالة أخرى موجَّهة من ملك قبرص - يبدو أنها جاءت ردّاً على رسالة سابقة - إلى عمورابي ملك أوغاريت، أجابه فيها، بقوله: «ما كَتبتهُ لي: شوهِدت سفن في البحر، حتى لو لم يكن ذلك صحيحاً، ابقَ حازماً، فيما يختص بك، أين هم إذن جنودك وعرباتك؟... أليست بالقرب منك؟... إن لم يكن الأمر كذلك، فما الذي يجعلك تعدو خلف العدو؟... احمِ مُدنكَ بالأسوار، أدخل إليها جنودك وعرباتك، وانتظر العدو بحذر..»[1].

كما نورِدُ رسالة مُرسلة من عمورابي إلى ملك آلاسيا (قبرص) والتي تقول ترجمتها: «وصلت سفن الأعداء إلى بلادي، ومن ثمَّ أحرقوا مدني، وسببوا دماراً كبيراً، ألا يعرف والدي أن جنودي موجودون في بلاد خطي[2]، وأنَّ سفني بعيدة؟... عندما تظهر سفن عدوة مرةً أخرى، أرسل لي الخبر بأيِّة طريقة..»[3].

---

(١) قاسم الشوّاف: أخبار، مرجع سابق، ص ٨١، ٨٢.

(٢) أي بلاد حثي.

(٣) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٥٠.

ويبدو أن عمورابي، قد توجَّه أيضاً إلى ملك كركميش (جرابلس) تلمي تيشوب أو ربما ابنه كوزي تشوب، حتى آخر لحظةٍ في حياة المدينة، على أمل تلقي المساعدات والنجدة منه[1].

ونجد في رسالة أخرى، يبدو أنها من مجهول، إلى ملك أوغاريت، وقد وجِدت في فرن القصر السالف الذكر، تقول: «أنا هو حارس حياتك، ولن أتخلى عن واجبي هذا، عليك تجهيز مئة وخمسين سفينة».

ومن الرسائل التي وجهها ملك أوغاريت - ويبدو أن اليأس كان قد نال منه كثيراً - إلى ملك قبرص، وكأنها جاءت بعد فوات الأوان، يقول فيها: «أبي، أبي، ها هي سفن العدو، وقد وصلت، وأحرقت بالنار مدينتي، خرَّبت وارتكبت سوءاً في بلادي... أبي لا يعلم أن جنودي وعرباتي هي في البلد الحثي، وجميع سفني، هي في منطقة (ليسيا)[2] ولم تعد بعد إليَّ

(١) جاك فرو: علاقات أوغاريت الدولية في نهاية عصر البرونز، مقالة في مجلة المعرفة السورية، ت. موسى ديب الخوري، العدد ٥٦٦، ٢٠١٠م، ص ٣٨.

(٢) منطقة تقع في جنوب غرب آسيا الصغرى، وهي قريبة من الساحل.

حتى الآن... وهكذا فإن البلد متروك لمصيره، فليعلم ذلـك أبي من الآن فصاعداً، نعم، سفن عدوة أخرى في الأفـق، أعلمنـي بذلك بطريقة ما»[١]، فقد كان جنود أوغاريت في بـلاد الحثيـين، أي أنهم كانوا في خدمة السيد الأعلى، بينما كانت سفنه في بـلاد (لوكّا)، وهكذا كانت مملكة أوغاريت[٢] بلا مدافعٍ عنها.

وهنا نجـد أنفـسنا أمـام تـساؤل مهـمّ جـداً: هـل سـقطت أوغاريت قبل قبرص؟ وذلك بنـاءً عـلى مـا ورد في النـصوص (الرسائل) السابقة، وإذا كان هذا صـحيحاً، فهـو ينـاقض مـا قدمناه سابقاً. وهنـا يتـضح التـساؤل التـالي: لـو كانـت هـذه الرسائل تُعبِّرُ عن واقع الحال، فلماذا وجِدَ أغلبها في فرن القصر في أوغاريت؟... ولماذا لم تصل إلى قبرص إذن؟.

لا نستطيع، والحالة هذه، تفسير كل هذه التساؤلات، وذلك لغياب التأريخ الصحيح لها، لكننا نستطيع تقدير ما حدث على أن رسائل قبرص إلى أوغاريت قد أُرسِلت قبل سـقوطها، أمـا

(١) قاسم الشوّاف: مرجع سابق، ص ٨١، ٨٢.

(٢) هورست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦٤.

رسائل أوغاريت، والتـي يبـدو أنهـا تـأخرت، فلـم تُرسـل في أغلبها، بل بقيت في فرن طـبخ اللويحـات في قـصر أوغاريـت، وهنا نقف عاجزين عن توضيح هذه الإشكالية، عسى أن نجد في قادم الأيام والاكتشافات، ما يُجلي هـذا الغمـوض، ويُظهِـرُ الحقيقة كاملةً، والتي لا نملك منها إلا أن أوغاريت وقـبرص، وحسب كل ما سبق، قد دُمِّرتا على يد شعوب البحر.

أوغاريت في أيامها الأخيرة

يبدو أن الأوغـاريتيين، وبعـد أن اسـتطاع مـا تبقّـى لـديهم من سفنٍ وجنـودٍ، تـدمير الموجـات الأولى مـن هـذه الجمـوع التي تهدف إلى دمار المدينة، أدركوا أن المدينـة سـاقطة لا محالـة بيـد الأعـداء المُغـيرين مـن كـلِّ حـدبٍ وصـوب، فـما كـان أمــامهم، وفي ظـروف كهــذه، إلا اللجــوء إلى معبــد بعــل (حامي المدينة) عبر ابتهال له لحماية المدينة، بعدما فـشلت كـل السُبل في حمايتها.

ابتهال أوغاريت الأخير للإله بعل لحماية المدينـة، والـذي لم يُجدِ نفعاً، وخاصة الأسطر (٢٦ - ٣٦) من لوحة (الابتهـال)،

وهو جزء من لوحةٍ تُشير إلى الطقوس الواجب إقامتها تكـريماً للإله بعل:

«إذا هاجم عدوٌّ قوي أبوابكم

و(هاجم) مِقدامٌ أسواركم

فَنَخُّوا بعلاً

ارفعوا أنظاركم

أي بعل، أبعد القويَّ

عن أبوابنا

والمقدامَ عن أسوارنا

ثوراً أيها الإله

بعل سوف نخصص

ونذراً يا بعل

سوفَ نُقدِّم، ثوراً (ذكراً)

يا بعل سوف نخصص

وذبيحة يا بعلُ، سوف نُقدِّم

وليمة نذرية، أي بعل

سوف نُقدِّم

إلى مقرِّ بعل، سوف نصعد

الطرق نحو معبد بعل

سوف نسلك

ويستجيب بعل لصلاتكم

إنه سَيُبعد القويَّ عن أبوابكم

والمِقدامَ عن أسواركم..»[1].

وقد تؤكد هذه المواد المكتوبة، من الفترة الأخيرة من حياة مملكة أوغاريت، الفرضية التي تقول: إن العدو المذكور في النصوص، كان مسؤولاً عن التدمير النهائي للمدينة، وفقدِ عمورابي آخر ملوك أوغاريت حياته أو عرشه فقط، خلال الكارثة، ودُمِّرت في الوقت نفسه تقريباً مستوطنة وقصور رأس ابن هانئ التابعة لأوغاريت أيضاً[2].

(١) قاسم الشوّاف: مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) هورست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦٤.

لقد قام الغزاة بتدمير وإحراق ونهب أجمل وأغنى قصور الشرق الأوسط، كما أنهم تسببوا بانهيار أجمل مدينة في منطقة الشرق العربي القديم، تلك المدينة التي كانت ذات كثافة سكانية أعلى من جميع المدن الأخرى، لقد نهب هؤلاء الغزاة القصر الملكي بأكمله، ولكن الأشياء القليلة التي تركوها تُنبئ عن عزٍّ وازدهار أوغاريت، فخرِ ساحل المتوسط والعالم القديم[1]. لكن، وفي حين غادر سكان أوغاريت بيوتهم بسرعة، ولم يعودوا إليها بعد ذلك، أُعيد استيطان رأس ابن هانئ بعد الكارثة بوقت قصير، ربما من قبل الغزاة أنفسهم[2]، ففي هذا المكان يتجلى للمرء من خلال أطلاله المتبقية، أن حريقاً مُخيفاً قد دمَّرَ المدينة في الوقت نفسه الذي دمّر فيه مدينة أوغاريت، وقد تم العثور على هذه الأطلال من منشآت يُقال: بأن بانيها هو فريق كان يؤلف جزءاً من شعوب البحر، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن نجزم، ما إذا كانت عودة هذه الشعوب إلى رأس ابن هانئ من جديد، قد تمّت بصورة فجائية، لكن التحريات والتنقيبات الجارية في مواقع

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٥١.
(٢) هورست كلينغل: مرجع سابق، ص ١٦٤.

كثيرة، إضافة إلى موقع ابن هانئ، مثـل رأس البـسيط، قـد بـدأت توضح أنه: إذا كانت الفئات الاجتماعية الحاكمة في أوغاريت، قد زالت نهائياً من الوجود، وزالت معها الكتابة، فإن المنطقـة لم تخـلُ من السكان الـذين بـرزت أجيـالهم المتعاقبـة الأولى أو الثانيـة إلى الوجود ثانية، وقد بدا هنا جلياً، وخاصة في صناعة الخزف، الـذي كانت منه تلـك الأواني ذات الأشـكال والرسـوم التـي تؤكـد أن شعوب البحر الغازية قد ذابت في بوتقة الـشعب المقـيم في منطقـة أوغاريت، وإن العلاقات الدولية مع قـبرص لم تنقطـع أبـداً، وإن ازدهار تجارة حوض البحر الأبيض المتوسـط مـن جديـد خـلال الألف الأول قبل المـيلاد، قـد لاقـى في المنطقـة المـذكورة أرضـاً خصبة، جرى إعدادها إعداداً كاملاً[1].

وفي نحو العام ألف قبل الميلاد، جرت محاولة جديـدة لبنـاء أوغاريت، لكنها قد بـاءت بالفـشل، كـذلك بُنيـت مـستوطنة صغيرة على هذا التل (الخراب) نحو القرن السادس أو الـسابع

(١) البعثـة الفرنـسية المنقبـة: رأس الـشمرة /١٩٢٩ - ١٩٧٩ / ت. فهمي الدالاتي، المديرية العامة للآثار والمتـاحف، دمـشق، ١٩٨٠م، ص ٩٧، ٩٨، ٩٩.

قبل الميلاد لكنها اندثرت بسرعة، كذلك كانت محاولـة التّجـار اليونانيين لبناء ميناءٍ جديدٍ في المينا البيضا نحو القرن الـسادس أو الخامس قبـل المـيلاد، وكانـت فاشـلة أيـضاً، وقـد عُثـر في الطبقات العليا من هذا التـل عـلى بعـض الآثـار التـي تركتهـا جحافل الروم التي حطّت لمدة قصيرة، وفيما بعد عُثر على بعض آثار وبقايا مستوطنات عربية وتركيـة عـلى هـذا التـل، ويبقـى الثابت أن المدينة (الدولة) أوغاريـت، قـد وجـدت نهايتهـا في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد[1].

زلزال يدمر أوغاريت

إضافة لما قـدمناه سـابقاً في كـل هـذا البحـث الـذي تنـاول سقوط أوغاريت عـلى يـد شـعوب البحـر، ظهـرت نظريـات أخرى تتحدث عن نهايات مختلفة لهذه المدينة.

ففي حـين يـذهب الـبعض إلى أن المدينـة لم تُـدمَّر عـلى يـد شعوب البحر، مع الاعتراف بوجود هـذه الغـزوات، مُـبررين رأيهم هذا، أنه كان يعيش في أوغاريت أفراد ينتمون إلى منـاطق

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ١٩٧.

جاءت منها شعوب البحر، وقد استطاعت أن تتفاوض مع هذه الشعوب، ونجحت في أن تبقى في معزل عن كلِّ نزاع يقع بينها وبين الشعوب المذكورة، لذلك يلجؤون إلى الكوارث الطبيعية لتبرير دمار هذه المدينة، وهنا تبرز النظرية الثانية[1].

تقول هذه النظرية: إنه وبناءً على التنقيبات التي أُجريت في رأس الشمرة، تبيَّن أن زلزالاً أصاب المدينة نحو عام ١٢٠٠ق.م وقد ترافقت الزلزلة الكبرى فيه مع حرائق هائلة، فالرماد وآثار الحريق تنتشر في كل مكان في أوغاريت، ولا بدَّ يومئذ، أن هَجَرَ من بقي على قيد الحياة من الناس، فلا أثر لعودة الحياة فوق طبقة الحريق والأنقاض، غير ما راكمته الدهور من أتربة ورمال، مُستندين في رأيهم إلى الساحل السوري كان يتعرض باستمرار للهزات والزلازل في تلك الآونة[2]، وأنه من غير المقبول تفسير بقاء المدينة خالية وعدم

(١) البعثة الفرنسية المنقبة: مرجع سابق، ص ٩٨.

(٢) هورست كلينكل: آثار سورية القديمة - آثار ما قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥م، ص ٤٧، ٤٨.

بنائها بعد ذلك، إلا إذا كانت الهزة الأرضية قد غـيَّرت شروط الحياة في منطقة أوغاريت، لأن المـدن كانـت تُبنـى مـن جديـد وبسرعة زائدة نسبياً، بعد تعرضها لاحتلال من قبـل الأعـداء، أو كوارث أخرى، أما في أوغاريت، فربما كانت البنية التكتونية للمنطقة قد تأثرت بشكلٍ كبير، وبخاصةٍ الميناء، أو أن الظروف العامة لكسب الرزق تغيرت لفترة طويلة[1].

وربما يكون كلـود شـيفر (مُكتـشف أوغاريـت) مـن أشـد مؤيدي أن أوغاريت دُمِّرت بوساطة زلزالٍ قوي، إذ يقول: «إنَّ نهاية أوغاريت جاءت بعد عدة سنوات من هذا الغزو (شعوب البحر) عبر زلـزالٍ عنيـف أصـاب المدينـة وتـسبب في انـدلاع الحرائق، التي أكلت المدينة ومحتوياتها» وكدليلٍ على ذلك، فـإن شيفر يسوق بعض الأدلة، ومنها: الطبقة الترابية الصفراء التـي غطَّت حي الميناء بسماكة عدة أمتار، التي يعتقد فيها آثار وبقايـا النيران التي أكلت المدينة، ويضيف كلود شيفر إلى الـشعر بيتـاً، عندما يعطي سبباً عن عدم دمار المدينة على يد شعوب البحـر،

---

(١) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ١٦٥.

إذ يقول:«إن حكّام المدينة استطاعوا عبر الاستسلام والخضوع ودفع الكثير من الـذهب، إقنـاع الغـزاة البرابـرة مـن شـعوب البحر، بعدم احتلال أوغاريت» وكدليلٍ آخرٍ عـلى رأيـه، يـأتي شيفر بأحد«ألواح العمارنـة» التـي تعـود إلى عهـد رعمـسيس الثالث، حيث لم يُذكر من هذه القائمة اسـم أوغاريـت ضـمن التقرير عن المدن التي احتلتها شعوب البحر الغازية، إذ يعتقـد شيفر أن سكان أوغاريت، قد غادروا فراراً إثر الزلـزال الـذي أصاب المدينة، التي تعرضت فيما سبق لاضـطرابات الحـرب، ولسنوات من الجفاف، وعدم سقوط الأمطار...»[1].

أما النظرية الثالثة: والتي يقول بها الدكتور أحمـد داؤود، الـذي يرفض أصلاً فكرة شعوب البحر، إذ يقول في كتابـه الموسـم بـــ / تاريخ سورية القديم (تصحيح وتحرٍّ) الصفحة ٧٢٤ /:«وبالطبع لم يكن أمـام أولئـك المـؤرخين إلا أن يفترضـوا أن قبائـل تجتـاح سواحل المتوسط الممتدة من شمال مرسين إلى مـصر، لا يمكــن أن تأتي إلا من البحر، فأطلقوا عليها اسم شعوب البحـر» وبـما أن د.

---

(١) قصي عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ٢١٢.

أحمـد داؤود يتبنـى نظريـة (أن كـلَّ الأحـداث التـي نقرؤهـا في التاريخ، قد جاءت من غرب شبه جزيرة العرب)، فإنه يـرفض - بالطبع - نظرية دمار أوغاريت على يد شـعوب البحـر، لكنـه وفي مكان آخر من كتابه سالف الذكر، يعود ليقـول في الـصفحة ٧٣٢ مـا يـلي:«أمـا مملكـة أوغاريـت التـي دمرتهـا شـعوب البحـر «الفلسطينيون» فليست أوغاريت المتوسطية، وإنما هي«أغرتـه» (ه - جرتا - حجرة) في جبال زهران، حيث تنبع ميـاه وادي حجـرة المُنحَدِرة غرباً إلى البحر الأحمر..»[1].

ولمناقشة هذه الآراء مُجتمعةً، والتي أتمنّـى ألّا أُفهـم منهـا أننـي أدافع عن نظرية دمار أوغاريت على يد شعوب البحر، وإنما مُحاولاً معرفة كُنه الحقيقـة، أقـول التـالي: إن وجـود جاليـات تعـيش في أوغاريت من منشأ شعوب البحر، هي من أقنعت تلك الـشعوب بالعدول عن دمار المدينة والرحيل عنها، لا يقبله العقل، فالتـاريخ يقول لنـا، إن الـشعوب الغازيـة التـي امتهنـت القتـل والتـدمير، ودمَّرت مملكة ميكيني وكريت وقبرص، بكل ما لهـذه المـدن مـن

(١) أحمد داوود: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ٧٢٤، ٧٣٢.

علاقات قربى (عرقية) ومنشأ واحد، لن تنجو من كـوارث هـذه الشعوب المُتحركـة التـي لا يـربط بينهـا سـوى الرغبـة في القتـل والاستقرار على أرض التحضّر، فهي لن تأخذ بكـلِّ تأكيـد بِكـلِّ الجاليات الموجودة في أوغاريت، ولنا بما فعلتـه غـزوات الفرنجـة (الصليبية) وخاصة الحملة الأولى (حملـة الفقـراء) بـسكان مـدن وقرى الأوروبيين المسيحيين، وفي مـدن وقـرى بيزنطـة المـسيحية أيضاً، من نهبٍ وسلبٍ وقتلٍ، وذلك أثناء سـيرهم باتجـاه بلادنـا، فكيف سترحم معـرة الـنعمان - مـثلاً - لوجـود جاليـة أوروبيـة مسيحية فيها ؟؟!، وهنا يبطُلُ هذا الرأي الافتراضي أصلاً.

أما عن الرأي القائل: إنَّ أوغاريت قد دُمِّرت بزلـزال كبـير، فهذا أمر فيه الكثير من الريبة والشك أيضاً، لأن معرفـة مـا إذا كانت تلك المنطقة، قد تعرضت لزلزال في تلـك الآونـة، لـيس ببـالغ الـصعوبة - منطقيـاً - أمـام العلـماء بعلـم الأرض (الجيولوجيا) أو حتى علماء الآثار، لأن الدمار الـذي عـادة مـا ينجم عن الزلازل، أعتقد أنه لا يصعب تمييزه عن الدمار بفعل البشر، هذا إذا ما كانت العين الفاحصة خبيرةً.

ثم إذا كان سبب دمار أوغاريت هو زلزال، والزلزال الذي يقضي عادة على المدن الكبرى، ويُنهي الحياة فيها بالكامل - كما حصل في أوغاريت - هو زلزال كبير جداً ربما زاد في قوته عن الـ ٧.٥ درجة على مقياس ريختر على الأقل، وإذا ما كُنّا نتحدث عن مدينةٍ ساحلية كـ أوغاريت، فمن الطبيعي أن تتشكَّل أمواج (التسونامي) التي عادة ما تترك آثارها على مدن الساحل، مثل رأس ابن هانئ ورأس البسيط وغيرها، فهل دلَّت آثار تلك المناطق على غمرٍ بالمياه عمَّ المنطقة إبان خراب أوغاريت ؟؟.

أما عن مقولة أنه من غير المقبول أن تقضي هجمات شعوب البحر أو أية جيوش غازية على مدينة، وتُنهي الحياة فيها بالكامل، إلى يوم الكشف عنها، فهو أمر غير مقبول أيضاً، فهناك العديد من المدن في التاريخ، كانت نهايتها التَّامّة على يدِ غزوةٍ دمَّرتها، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك، ولم يتبنَّ أحد دمارها بوساطة زلزال كبير، نذكر أمثلة عنها: مدينة ماري التي دمَّرها حمورابي البابلي ١٧٩٢ - ١٧٥٠ق.م عام ١٧٥٩ق.م ولم تقم لها قائمة بعد ذلك الدمار، ونذكر آلالاخ التي دُمِّرت على يد شعوب البحر ولم تقم لها أيضاً قائمة بعد ذلك، ولم يدَّعِ

أحد أن زلزالاً قـد دمَّرهـا، ونـذكر مدينـة قرطاجـة العظيمـة، التي حَرَثَ غُزاتها الرومان أرضَها بالملح لمنع أهلها من العـودة إليها – كدليلٍ على قيام الغزاة أحياناً، بكلِّ مـا يمكـن أن يمنـع المدينة التي دمَّروها مـن العـودة للحيـاة ثانيـةً - وقـد نجحـوا بذلك، فهي - أي قرطاجة - لم تُبنَ من جديد عـلى يـدِ أبنائهـا بل على يـدِ غزاتهـا مـن الرومـان، فهـل كـان الرومـان أرحـم من شعوب البحر؟، ثم أيـن مدينـة أكـاد؟، وأيـن واشـوكاني عاصمة الميتانيين؟، وهل بقيت حاتوشا مُـستمرةً بعـد دمارهـا على يد شعوب البحر، أم أن زلزالاً آخر قد أصـابها أيـضاً!!... والقائمة تطول...

وسواء أكانت أوغاريت، قد دُمِّرت على يد شعوب البحـر، أم بفعلِ كارثةٍ طبيعيـةٍ، فإنهـا غابـت عـن صـفحات التـاريخ، بعلومهـا، ومعارفهـا، وألقهـا، وأسـاطيرها، وجَمـالِ نـسائها، وعظمـةِ أبجـديتها، وموسـيقاها الأولى... إلى أن عـادت إلينـا مجدداً، لتعزز بجمالها، وعبقريتهـا، أعظـم متـاحف التـاريخ في العالم أجمع.

خامساً: غزو مملكة قادش

يُعرَفُ موقع قادش الحالي باسم تل النبي مندو، الواقع على بعد نحو خمسةٍ وعشرين كيلو متراً جنوب غربي مدينة حمص الحالية، وقد استمدَّ أهميته من كونه قريباً من جبال لبنان، ومن البحر المتوسط، ومن تقاطع طرق التجارة والمواصلات الذاهبة من دمشق إلى حلب، ومن جبيل إلى تدمر وبلاد الرافدين.

وقد كان أمير قادش قد تحالف مع الأمراء السوريين الذين خاضوا معركة مجيدو ضد ملك مصر تحوتمس الثالث ١٤٦٨ - ١٤٣٦ ق.م[١]، كما وقفت قادش مع الحثيين في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م ضد المصريين، أي أن المعركة نفسها جرت في منطقة تابعة للمملكة، ويبدو أن قادش قد دُمِّرت بشكلٍ نهائي خلال الفترة التي وصلت فيها شعوب البحر إلى وسط سورية، أي في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد[٢].

---

(١) عيد مرعي: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ١٧٥.

سادساً: غزو صيدا وصور وباقي الساحل السوري

تُجمِعُ غالبية المراجع على أن مدينتي صيدا وصور، قد نالتا نصيبهما من جرَّاء مرور شعوب البحر، إذ دُمِّرت المدينتان، لكن السكن فيهما لم ينقطع كما انقطع في أوغاريت وآلالاخ، فقد أعاد أبناء المنطقة بناءهما مجدداً، ويذكر (يولي بركوفيتش تسركين) في كتابه الموسوم بـ /الحضارة الفينيقية في إسبانيا / أن قوماً يُسمّون بـ (الفيليستميين)[1]، أتوا من عسقلان، وهدموا صيدون، التي أُعيد بناؤها فيما بعد، ويُرجِّحُ البعض أحياناً، أن تكون صور قد هُدِمت أيضاً نتيجة هجوم (الفيليستميين) وذلك على حدِّ ما يقول (تروغ - جوستين) عن بناء هذه المدينة على يد الصيدونيين، الذين هاجروا إثرَ الهجوم العسقلاني، وإذا كان انتقال قسم من الصيدونيين إلى صور، قد حصل بعد هجوم (الفيليستميين) فإن ذلك لا بدَّ من أن يؤدي إلى تقوية صور، لا إلى إدخال المدينة في فلك الدولة الصيدونية، كما يدَّعي أولبريت، وما كان نشاط (الفيليستميين) البلست والتيكير الذين استوطنوا فلسطين ليعيق نشاط الصوريين[2].

---

(١) هم أنفسهم البلست السالفو الذكر.

(٢) يولي بركوفيتش تسركين: مرجع سابق، ص ٢٥، ٢٦.

وقد أكَّد سباتينو موسكاتي في كتابه الموسوم بـ /الحضارة الفينيقية / مُعتمداً على ما قاله جوستين، أنه: «كان لغزوات شعوب البحر نحو ١٢٠٠ ق.م أثرٌ كبيرٌ في دمار كلٍّ من أرواد وصيدا، وهذا ما أثبتته الاكتشافات الأركيولوجية (الأثرية)»(١)، وهذا ما أيده أيضاً الباحث فرانسوا دوكريه في كتابه الموسوم بـ / قرطاجة الحضارة والتاريخ / ففي معرِضِ ذكره لغزوات شعوب البحر يقول: «وقد اجتاحت هذه الغزوات ساحل كنعان اجتياحاً قاسياً، حتى إن مُدناً كنعانية من أمثال صيدا، خُرِّبت ودُمِّرت وأُشعلت فيها النيران»(٢).

كما يذكر المؤرخ جواد بولس في كتابه الموسوم بـ /لبنان والبلدان المجاورة /أن: «صور وصيدا اللتين غزتهما شعوب البحر والشمال، ودمرتهما، ما لبثتا أن نهضتا..» وقد ذكر أن هاتين المدينتين لم تنهضا قبل بضع عشرات من السنين(٣).

---

(١) سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية، ت. نهاد خياطة، دار العربي للنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م، ص ٢٩.
(٢) فرانسوا دوكريه: مرجع سابق، ص ١٣.
(٣) جواد بولس: مرجع سابق، ص ١٠٩، ١٢٢.

وأمام هذه الجمهرة من المؤيدين لدمار هاتين المدينتين، يأتي هورست كلينغل ليرفض دمارهما، إذ يقول:«أما المدن الرئيسية على الساحل الجنوبي مثل جبيل وصيدا وصور وصاريبتا، فيبدو أنها لم تُعانِ أبداً من تحركات شعوب البحر، واستمرت في البقاء، وهذا ما تؤيده قصة وينامون Wen – Amon (كاهن الإله آمون في طيبة في مصر) إذ تُظهرهم كحكام مستقلين سياسياً عن مصر[1]، وقد أيَّد د. عيد مرعي ما ذكره هورست كلينغل، من أن جُبيل لم تُعانِ من غزوات شعوب البحر، ويظهر حُكمها مستقلاً عن مصر[2].

سابعاً: مصير باقي الساحل السوري

إثر الخراب الذي عانت منه معظم مدن الساحل السوري، بسبب غزوات شعوب البحر، فقد دُمِّرت الأرشيفات السورية، التي أوضحت لنا التاريخ السياسي، للعصر البرونزي المتأخر، وحتى الآن لا توجد شواهد كتابية يمكن مقارنتها من القرنين الأخيرين من الألف الثاني قبل الميلاد، وقادت نُدرة المعلومات

---

(١) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٥.
(٢) عيد مرعي: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ١٩٤، ١٩٥.

المكتوبة إلى تسمية هذه الفترة بـ (العصر المظلم) فقد دُمِّرت أوغاريت ومستوطنة رأس ابن هانئ، لكنها سُكِنت من جديد بشكلٍ جزئي من قِبل وافدين جدد، وتشير الشواهد الأثرية المكتشفة في تل سوكاس (شوكسي Shuksi القديمة) وفي تل الكزل (صومورا) وفي تل أرقا (إرقاتا - عرقاتا) الساحلية، إلى انقطاعٍ في استمرار الاستيطان، فقد دُمِّر القصر في كامد اللوز (كوميدي) نحو ١٢٠٠ / ١١٠٠ ق.م[١]، وكذلك منطقة البقاع.

وسواء دُمِّرت صيدا وصور وجبيل، أم لم تُدمَّر، إلا أنَّها استمرت في البقاء، فقد حُكمت من قِبَل حكام محليين مستقلين عن الحكم في مصر[٢].

وفي جنوب الكرمل، احتلَّ البلست الشواطئ والموانئ الفلسطينية، وجعلوا منها موطناً لهم، فيما قامت في جنوب صور جماعة من القراصنة التيكير، بتعطيل الموانئ الساحلية لمدة طويلة من الزمن، وأخيراً جاءت مجموعة كبيرة من اللاجئين

---

(١) المصدر نفسه: ص ٢٠٣، ٢٠٥.

(٢) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

الكنعانيين، كان قد أجلاها الغـزاة عـن الـشواطئ الفلـسطينية والسورية الـشمالية، فغـصَّت بهـا المـدن اللبنانيـة، بعـد إعـادة إعمارها وسكنها، وقد تأزم وضـعها الاقتـصادي أكثـر فـأكثر، والذي كان بالأصل سيئاً، وقد كان لهذه الظروف الـسيئة التـي عانت منها السواحل الـسورية، أن اتجـه الفينيقيـون (كنعـانيو الشمال) نحو البحار البعيدة، مُدشنين بذلك سياسةً جديـدةً في التوسع الاقتصادي والبشري، الذي حملهم إلى عالم غربي البحر المتوسـط، وحتـى شـواطئ الأطلـسي الأوروبيـة (بريطانيـا) والأفريقية(1)، ولِمَ لا الأمريكية!.

ويبدو جليّاً أن تحركات شعوب البحر هذه، قد أثَّرت بالتأكيـد على المراكز الـساحلية الـسورية، أمـا سـورية الداخليـة وبخاصـة الأجزاء الشرقية، فقد بقيت دون مساسٍ من قِبَلِ القـادمين الجـدد من جهة الغرب، غير أنها كانت مفتوحة لتوسّع الجماعات الآرامية، التي تغلغلت داخل سورية حتى الجبال الساحلية(2)، ومُشكِّلة بدءاً من بداية الألف الأول قبل الميلاد إمارات وممالك متعددة.

---

(1) جواد بولس: مرجع سابق، ص ١٢١، ١٢٢.

(2) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

ثامناً: مصير شعوب البحر

على الرغم من الضربة القاصمة التي وُجِهت للشعوب البحرية المتحركة والقبائل المتحالفة معها في معركة زاهي وتشتتهم في البلاد، إلا أن وجودهم لم ينتهِ بشكل كامل، وخاصة في آسيا الصغرى.

فبعد أن استعادت القوى المحلية أنفاسها، واستوعبت الصدمة الأولى لهذه التحركات الهمجية، نشأت قوى جديدة استطاعت إبعاد هذه الشعوب عن المنطقة العربية.

فعلى الرغم من ضعف مصر على المستوى الخارجي، وفقدانها السيطرة على ممتلكاتها في سورية، إلا أنها كانت لا تزال قوية في مصر، فحافظت على حدودها الشرقية والغربية آمنةً، أما عمّا تبقى من شعوب البحر فيها، فقد استقروا فيها واندمجوا مع السكان الأصليين، وأما في بلاد الشام، فقد كان لظهور الآراميين وانتشارهم في بلاد الشام والرافدين، ومن ثمَّ البدء بتشكيل ممالكهم مع دخول الألف الأول قبل الميلاد، والدخول في عصرٍ جديدٍ من الصراع الآشوري الآرامي.

وفي الساحل السوري وكما ذكرنا سابقاً، فقد تمكنت مدن صور وصيدا وجبيل... إلخ من استعادة قوتها، واتجاهها لغزو البحر المتوسط حضارياً (تجارياً)، حيث أقاموا العديد من المستعمرات على شواطئه الجنوبية والشمالية، فيما اتجه ما تبقى من السلطة الحثية إلى كركميش، التابعة أصلاً لهم، وقد مارسوا سلطتهم ووجودهم فيها، وكانوا على درجة كافية من القوة.

إلا أن ما حدَّ كثيراً ممّا تبقى من هذه القبائل المتحركة «البحرية» كان ظهور الدولة الآشورية الوسطى، وخاصة في عصر قوتها... والتي استطاعت القضاء الكامل عليهم، بمعنى استئصال شأفتهم، فلم يعد لهم ذكر في التاريخ، فقد استكانوا، ولجؤوا إلى الهدوء بعد هزائمهم المتوالية مع الآشوريين، فما الذي حدث وأدى إلى فنائهم؟.

الفصل السادس

شعوب البحر في مواجهة الآشوريين

ظهرت المملكة الآشورية الوسطى كقوة معتبرة في الشرق العربي القديم، على يد ملكها آشور أوباليط الأول Assur – ubalit I ١٣٦٥ –١٣٣٠ ق.م الذي استطاع التحرر من نير مملكة حوري ميتاني، وإقامة علاقات وديّة مع ملك مصر أمنحوتب الرابع (أخناتون) ومع ملك بابل الكاشي بورنا بورياش الثاني.

وقد استمرت قوة الدولة الآشورية بالتصاعد في عصر خلفاء آشور أوباليط الأول الكبار، أمثال أدد نيراري الأول ١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق.م وشلمانصر الأول ١٢٧٤ - ١٢٤٥ق.م وتوكولتي نينورتا الأول ١٢٤٤ -١٢٠٨ق.م، ومن ثمَّ دخلت الدولة في فترة قصيرة من الضعف دامت أقل من قرن، إلى أن عادت لعصر قوتها من جديد مع وصول تجلات بليصر الأول Tiklat – pilesser

I ١١١٧ - ١٠٧٧ق.م الذي لم يكتفِ بتوسيع حدود مملكته باتجاه الشمال والشرق، بل اتجه نحو سورية أيضاً[1].

كان تجلات بليصر الأول يتمتع بذكاء ومقدرة عسكرية فائقة، فقد قام أولاً: بالقضاء على تحالف عسكري هدد حدوده الشمالية، ثم أخذ يوسِّع نفوذه في هذه المنطقة على حساب الممالك الصغيرة، التي نشأت هناك بعد سقوط الإمبراطورية الحثية في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

ففي سنة حكمه الأولى سار ضد قبائل الموشكي Mushki[2] الذين ينتمون إلى أصول (تراقية - فريجية)، والذين احتلوا بلاد آلزي و /بورولومزي /، وانتشروا في بلاد كوموخي في الأناضول شمال سورية[3]. ويقول عنهم المؤرخ طه باقر في كتابه

---

(١) عيد مرعي: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ١٨٥أ١٨٤.

(٢) الموشكي Mushki، وهم الغزاة الأوروبيون من الفريجيين القادمين من تراس (تراقيا) Thrace والذين عُرفوا في وثائق الآشوريين بـ: موشكي، وهم موشو الذين ذكرهم هيرودوت، انظر تاريخ الوطن العربي - بلاد الشام - سورية ولبنان وفلسطين والأردن / فيصل عبدالله، ص ٢٠٤ - ٢٠٥).

(٣) عيد مرعي: تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

الموسوم بـ / مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة /: إنهم جاؤوا من الأنحاء الشمالية من آسيا الصغرى، ويُعرِّفهم بأنهم الأفريجيون الوارد ذكرهم في المصادر الكلاسيكية(١).

إن أسلاف شعب الموشكي لا يدعون لدينا مجالاً للشك في أنهم أحد الشعوب التي انخرطت في عملية الهجرة الكبيرة في آسيا الغربية، في أواخر الألف الثاني ق.م، فبعد أن نظَّم تجلات بليصر الأول عرباته الحربية وقواته من جديد، عبر جبال كشتياري ووصل إلى كوموخي، حيث ألحق هزيمة بقوات الموشكي، التي كانت تتألف من عشرين ألف رجل بقيادة خمسة قادة(٢)، وفي هذا الصدد يذكر تجلات بليصر في حولياته «أنَّ عشرين ألف موشكي الذين قطنوا في الأراضي الواقعة شمال غرب جبل طور عبدين، قد دخلوا بلاد آشور من حدودها الشمالية، ووصلوا حتى حوض دجلة الأعلى، وذلك

(١) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - الوجيز في تأريخ حضارة الرافدين، الجزء الأول، منشورات دار البيان ٥٣، بغداد، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ص ٤٨٩.

(٢) عيد مرعي: تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

قبل خمسين سنة من حكمه» أي نحو ١١٦٧ ق.م، أي أنهم جاؤوا واحتلوا أرض«قدموخ» المجاورة لبلاد آشور من الشمال الغربي، التي كانت تُعدُّ من أطراف الدولة الآشورية.

كما ذكر تجلات بليصر الأول أنه اضطر أيضاً إلى القتال ضد قبائل الكاشا التي وصلت في تغلغلها إلى هذه المنطقة أيضاً[1]، فيما يذكرهم البعض باسم (جاسجا Gasga - كاشكا - الكاز كاز) وقال إن آثارهم وُجِدت على ضفاف الفرات[2]، وتذكر بعض الكتابات عن حرب تجلات بليصر الأول مع الموشكي فتقول:«إنه جعل الدماء تسيل في الوديان، وجمع رؤوس القتلى خارج المدن المعادية كأكوام القمح»، وبعد أن استولى على الغنائم والآلهة المعادية، ضمَّ إلى قواته ستة آلاف من عساكر الموشكي، وهؤلاء كانوا قد هربوا قبل بدء القتال وخضعوا له، وقد تابع تجلات بليصر الأول حملاتهِ في السنوات التالية بشكل أكبر نحو الشمال والشمال الغربي في منطقة الإمبراطورية الحثية،

---

(١) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٦٧.

(٢) فيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي -بلاد الشام، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

فتـذكر كتاباتـهُ أن القـوات المعاديـة انتـشرت أمـام الزحـف الآشوري«كالطيور على قمم الجبال العالية»[1].

لا توجد أيّة مؤشرات على تدابير من قبـل الآشـوريين ضـد الموشـكي، طالمـا كـان هـؤلاء خلـف جبـل طـور عبـدين، وتدابير تجلات بليصر اللاحقة كانت لحماية الأمـن الآشـوري، وليست عدواناً للنهب، إذ إن التدخل الآشوري بـدأ فقـط مـع غزو«قدموخ».

من الواضح أن هذا الغزو كـان يبـدو بمثابـة تهديـد مبـاشر لبلاد آشور، إذ إن تجلات بليصر قام بهجوم معاكس وفـوري، وهو يسجل أنه لم يُسْرِجْ خيله كي يشنَّ الهجوم، مـا يعنـي أنـه كان ينظر إلى الموقف بوصفه حالة طارئـة لا تحتمـل أي تـأخير لأجل ترتيب الإجراءات التكتيكية المعتادة.

كان الهجـوم الأول ناجحـاً، فقـد أسر سـتة آلاف مـن جنـود الموشكي المهزومين، وأسكنهم في المنطقة التي هاجموها بمثابة أتباع للدولة الآشورية، إضافة إلى إمكانية استخدامهم في مجال الإنتـاج

---

(١) عيد مرعي: تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص ٣٠٨.

الزراعي، كما كان هؤلاء الأسرى مُفيدين لأجل أغراض تجلات بليصر العسكرية، فقد زوّدوه بـ ١٢٠ عربة، وبفِرقٍ من الخيل، مع ما يستلزمه ذلك من أصحاب المهارات المختلفة.

وقد ذهبت العملية الناجحة ضد الموشكي بتجلات بليصر الأول إلى أبعد من ذلك إذ وقف سكان قدموخ الأصليون، إلى جانب الغزاة، وعبروا إلى ضفة دجلة اليسرى (الشمالية) للانقضاض على الآشوريين من غابةٍ تقع هناك، ما جعل تجلات بليصر الأول يطارد المتمردين ويصطدم بشعبٍ يدعى (رانجو) وينتشر إلى الشمال من دجلة، ومن الواضح أن الـ (رانجو) كانوا يتكلمون اللغة الحورية، كما تدل على ذلك أسماء ملوكهم، ويبدو أن تسمية (رانجو) ذاتها ليست مصطلحاً عرقيّاً، بل كلمة حورية تعني (شعب الجبل)، فبعد مناوشات ثانوية في جوار دجلة المباشر، شنَّ تجلات بليصر حملةً على أراضي الـ (رانجو) في العمق، ورغم أنه يشير إلى حرق المدن، وكسب الغنائم، فإن قلّة التفاصيل حول تسميات الأماكن، تجعلُ من الواضح أن ذلك لم يكن أكثر من هجوم استطلاعي.

لقد أسفرت عمليات تجلات بليصر الحازمة ضد الموشكي في قدموخ عن آثار انعكست على المناطق المجاورة، حيث كانت توجد مجموعات أخرى من الشعوب المُهجَّرة، ويرد وصفٌ لإحدى هذه المجموعات بأنهم: «جنود مستاؤون أصلهم من أرض الحثيين» ما يعني ربما وجود مجموعات منظمة، انتقلت باتجاه الجنوب الشرقي، بعد تفكك الإمبراطورية الحثية.

كما يَرِدُ ذِكرٌ لشعب (الكاسكا - الكازكاز) السالف الذكر، والمعروف بأنه كان يقطن على طول شواطئ البحر الأسود في عصر سابق، ويجب أن تكون مثل هذه الشعوب قد رحَّبت كثيراً بفرصة قبولها ضمن رعايا دولة قوية مستقرة، فسلَّمت أمرها لتدابير تجلات بليصر، الذي أعلن الجميع رعايا له. وهكذا بدأ يتكون التمازج العرقي الواسع للإمبراطورية الآشورية[1]، وبعد ذلك جاء دور مناطق مملكة حوري - ميتاني.

هجَّر تجلات بليصر الأول أربعة آلاف جندي من كشكي وأورمي إلى داخل المنطقة الآشورية، ولكن رغم أخبار النصر، فقد

---

(١) هنري ساغس: جبروت آشور الذي كان، ت. آحو يوسف، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٥م، ص ٩٣، ٩٤.

مارس العدو مقاومة، ويظهر ذلك من ذكـر ضرورة فـتح منـاطق كان الجيش الآشوري قد احتلهـا سـابقاً[1]، كـما اصـطدم تجـلات بليصر الأول أثنـاء حروبـه في المنـاطق الجبليـة الـشمالية، ببلـدان النيريين[2]، أي في الجبال الأرمينية، التي كانت الشعوب الحورية قد انسحبت إليها مع الموشكيين بين جماعات الشعوب المتجولة.

انتصر تجلات بليصر الأول على الأمراء المحليـين في معـارك عديدة، ووصل حتى البحر الأسود، كما أنه أكره مالاتيا في بلاد (حانيكلبات) على تقديم الجزية، وتُمجِّدُ رسومٌ منقوشةٌ وكتابـة على جدار صخري في يونجالو بالقرب مـن (مـيلاز - جـارد) هذا النصر الكبـير، الـذي فـتح بـنفس الوقـت للإمبراطوريـة الآشورية الطريق إلى شمال بلاد الشام[3].

وهكذا نكون قد وصلنا إلى نهاية ما تبقـى مـن هـذه الـشعوب المتحركة، التي انطلقت من شواطئ شبه جزيرة البلقان، ومن جزر بحر إيجة، نحو سواحل بلاد الشام وآسيا الصغرى، وشمال أفريقيا،

---

(١) عيد مرعي: تاريخ الوطن، مرجع سابق، ص ٣٠٩.
(٢) أي بلاد نائيري - البحر الأعلى - بحيرة فان.
(٣) أنطون مورتكات: مرجع سابق، ص ٢٨٣.

فأدى وصولها إلى هذه الشواطئ، إلى تحرّك قبائل أخرى، تحالفت معها في القضاء على العديد من المراكز الحضارية، وعلى رأسها العاصمة الحثية حاتوشا، وعروس الشاطئ السوري أوغاريت، إلا أن هذه القبائل، وعلى الرغم من الضربة القاصمة التي وجَّهها لها رعمسيس الثالث في معركة زاهي، وبالرغم من تشردها واندماجها بين شعوب المنطقة، فاستكانت، إلى أن تحركت من جديد في أواسط القرن الثاني عشر قبل الميلاد، في شمال، وشمال شرق مناطق الدولة الآشورية الوسطى، مُستغِلَّةً فترة الضعف التي مرَّت بها، ما بين عامي ١٢٠٠ - ١١٢٠ ق.م تقريباً، فتمادت في تقدمها نحو الجنوب، أي في أراضي الدولة الآشورية الوسطى، إلى أن وصل تجلات بليصر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م بجبروته وعبقريته العسكرية، فاستطاع إخضاع هذه الشعوب بحدِّ السيف، فقتل من قتل، وهجَّر من هجَّر، ومن بقي منهم فقد امتزج مع السكان الأصليين، وأصبح برضاً منه، أم بغير رضا، من أفراد وسكان الدولة الآشورية الوسطى في عَصرِ ازدهارها وقوتها.

الفصل السابع
نتائج غزوات شعوب البحر

إن الباحث في التاريخ، ومن خلال تتبعه للعلاقات بين الدول، والصراعات الكبرى، والتي دائماً يلعب الجانب الاقتصادي الدور الأكبر بحدوثها، وإن ورد حدوثها على صفحات التاريخ أحياناً لأسباب مختلفة (دينية - عرقية - عاطفية - شخصية - صراع آلهة... إلخ) إلا أنها تبقى مُجَرَّد ذرائع تخفي وراءها السبب الحقيقي الماثِل عادةً بالسببِ الاقتصادي، ومُحاوِلةً نهب خيرات المناطق الأخرى، والسيطرة على مواردها الاقتصادية، ولكن هذه الصراعات تأخذ أشكالاً مختلفة في سيرها، ما بين«حروبٍ باردةٍ» حيناً، إلى تحركاتٍ عسكريةٍ، وحروب محدودة أحياناً أخرى، لكنها وفي بعض مراحل التاريخ المِفْصَلية، التي تأخذ صفة المراحل الانتقالية الكبرى، تأخذ هذه التحركات صفة التحركات الكبرى

(عسكرية - ديموغرافية - ثقافية... إلخ) فتؤدي إلى نتـائج مهمَّـة وكبيرة جداً، قد تؤدي إلى زوال دولٍ كبرى، ونشوء دولٍ جديـدة، تاركـةً تـأثيراتٍ كبـيرة عـلى كافـة منـاحي الحيـاة (الـسياسية - الاقتصادية - الاجتماعية - الثقافية - العرقية - الدينية... إلخ) وقد تقصُرُ مدة هذه التحركات الكبرى، لتكون بحدود ٢٠ - ٣٠ سنة، وقد تطول لِتَصِلَ إلى نحو الـ ٢٠٠ سنة، وإن لم تكن عـلى الـوتيرة نفسها من التحرك والصراع، لكنها تأخذ في فـترات معينـة صـفة الهيجان، وخير مثال عليها، هي الفترة ما بين ١٢٠٠ - ١٠٠٠ق.م هذه الفترة التي عادة ما تُدعى بعصر الظلمات، وذلك فـيما يتعلـق بمناطق الأناضول والساحل السوري، حيث دُمِّرت الأرشيفات، وسادت الحرائق، وانتشر الخراب لعشراتٍ من السنين، وقد تركت لنا هذه التحركات، وخاصة في ذروتها ما بين ١٢٢٠ - ١١٨٠ق.م نتائج كبرى، على مستوى المنطقة بأسرها.

فقد تضافرت سلسلة أحداث لا تربط بينهـا علاقـة منطقيـة واضـحة، والتـي لا يمكننـا بوجـود هـذه المـسافة الزمنيـة أن نُقدِّرها، إلا على نحـو ضـبابي، تـضافرت في دفـع واحـدة مـن أضخم وأهم الهجرات في التـاريخ إلى شرق المتوسـط، ولـيس

من قبيل المبالغة أن ندَّعي أن حركة شعوب البحر هذه، قد غيَّرت وجه العالم القديم، أكثر من أيِّ حدثٍ مُنفردٍ آخر قبل عهد الإسكندر المقدوني ٣٣٤ - ٣٢٣ق.م فهذه الحركة تحدد في تاريخ الشرق نهايةً، بل تضع حداً لـ حقبةٍ أخرى، وبدون اتصال بين الاثنتين، وقد ثبت أن تأثيرها في مصر، الهدف الواضح للحركة، غير جدير بالذكر، إذا ما قورن بما فعلته هذه الحركة بفلسطين خاصة، والساحل السوري عامة(١).

فعلى صعيد جزر البحر الأبيض المتوسط: أدت هذه الحركة إلى انتهاء الحضارة الكريتية بعد عصرها الذهبي ما بين ١٥٠٠ - ١٢٠٠ق.م، وذلك بسبب غزوات البرابرة من الشمال (غزوات الدوريين) وقد حلَّ محل العصر البرونزي الذي استمر نحواً من ألفي سنة، عصر جديد، وهو عصر الحديد، والمدة التي تمَّ فيها الانقلاب من عصر البرونز إلى عصر الحديد (المرحلة الغامضة)، فقد انتشرت الفوضى والاضطرابات،

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١١.

وحلَّ الظلام في القرون السابقة قبل حلـول عـام ١٠٠٠ق.م، وبعض القرون التالية لها مباشرة[1].

كذلك أدت هذه التحركات إلى نشرِ الخراب في العديـد مـن جزر البحر الأبيض المتوسط، وجزر بحر إيجـة، وإلى انتقـالات عرقيـة ديموغرافيـة كُـبرى، وحـدوث امتـزاج بـين عنـاصر السكان، أدى إلى ظهور اختلاط في الأجناس، استغرق مدة من الزمن، بُغية حدوث الانـدماج الفكـري والثقـافي، مـا أدى إلى تأخر سير الحضارة لبضعة قرون.

أما على صعيد بلاد الأناضول، فقد دُمِّرت حاتوشـا العاصـمة الإمبراطورية الحثية، وزالت إلى الأبد، فيما انتقل مركز الثقل الحثي إلى مدينة كركميش (جرابلس الحالية) مـا أدى إلى حـدوث فـراغ سياسي في الأناضول، ملأته بعـض الممالـك الـصغرى، وحـدثت بعـض التحركـات القبليـة في شرق، وجنـوب شرق الأناضـول مستغلَّةً فـترة الـضعف الآشـوري ١٢٠٠ -١١١٧ق.م محاولـة

(١) جورج سارتون: تـاريخ العلـم، ج١، دار المعـارف، ط١، ١٩٥٧م، ط٢، ١٩٦٣م، ص ٢٣٤.

الانتشار في بعض مناطق نفوذ الدولة الآشورية، بجوار نهري دجلة والفرات، وخاصة قبائل الموشكي والكازكاز (الكاشكا) إلى حين وصول تجلات بليصر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ق.م الذي قضى على تجمعاتهم، وهجَّر من هجَّر، وأدخل بعضهم في النسيج السكاني الآشوري، موسِّعاً مساحة دولته باتجاه الشمال، والشمال الشرقي، والشمال الغربي على حساب الممالك الضعيفة التي نشأت على أنقاض حاتوشا.

أما في الساحل السوري، فقد دُمِّرت معظم مدن هذا الساحل، لكن بعضها غاب عن صفحات التاريخ تماماً، إلى أن أيقظته معاول الأثريين، كما حصل في أوغاريت، وبعضها أكان قد دُمِّر أم لم يُدمَّر، لكنه عانى لفترة من الزمن من تداعيات هذه التحركات، كمدن صيدا وصور اللتين لم تنهضا قبل مرور بضع عشرات من السنين، وفي جنوب صور، قامت جماعة من شعوب البحر المُندحرة في معركة زاهي، بتعطيل الموانئ الساحلية لمدة طويلة من الزمن، وأخيراً جاءت مجموعة من اللاجئين الكنعانيين كان أجلاها الغزاة عن الشواطئ الفلسطينية والسورية الشمالية، فغصَّت بها المدن اللبنانية، وتأزَّم

وضعها الاقتصادي أكثر فأكثر، فكان الحلُّ الناجع عن هذه الظروف الصعبة، أن اتجه الكنعانيون في ما بعد سنة ١٢٠٠ق.م نحو البِحار البعيدة، مُدشنين سياسة جديدة في التوسع الاقتصادي والبشري، الذي حملهم إلى عالم غربي المتوسط، وحتى شواطئ الأطلسي الأوروبية والأفريقية.

كما نجم عن غزوات شعوب البحر والشمال، نتائج جيدة فيما يخصُّ كنعانيي الشمال (الفينيقيين) والذين عرفوا كيف يستفيدون منها خير استفادة، فخراب المملكة الحثية، وانكماش مصر المُنهكة إلى داخل حدودها، ثم انحسار السيطرة الآخية، حررت الفينيقيين من كلِّ وصايةٍ ومزاحمةٍ خارجية، وفتحت أمامهم البحر المتوسط على مصراعيه، فلم يَعُد ينافسهم فيه أحد، وبذلك انتقل الفينيقيون في ذلك العصر، من مرتبة بلدٍ ثانوي وتابعٍ، إلى المرتبة الأولى على مسرح السياسة الشرقية، والعالمية، وقد استمر دورهم هذا عدة قرون بعد ذلك.

وقد كان من نتيجة السلام، الذي أعقب تلك الغزوات، أن شهدت الأراضي الفينيقية ولادة أربع مدن مستقلةٍ، هي: أرواد، وجبيل، وصيدا، وصور، وقد كانت السيطرة على المدن

الواقعة بين هذه (المدن - الدول) موزَّعة فيما بينها، ومن خلال سيطرتهم على البحر المتوسط، وإنشاء إمبراطوريتهم البحرية، ففي نحو ١١٠٠ق.م أسسوا مدينة (أوتيكا) في أفريقيا الشمالية (بلاد تونس حالياً) وغاديرا وهي اليوم (كادوكسي) مدينة إسبانية على الأطلسي(١)، حتى وصل نفوذهم إلى إنكلترا وأمريكا الجنوبية (البرازيل).

وفي الجنوب، حلَّ البلست الذين سمح لهم رعمسيس الثالث، بعد معركة زاهي بالاستيطان في ساحل فلسطين، في خمس مدن كنعانية، هي: غزة، وعسقلان، وعقرون، وأسدود، وجت، وقد نظّم هؤلاء القادمون الجدد مُدنهم الخمس على هيئة ممالك مستقلة في إدارتها وحكومتها، إلا أن هذا الاستقلال لم يمنع المدن الخمس من أن تعرِفَ ضرباً من ضروب الاتحاد، ربما كان مركزه مدينة أسدود، ومن ثم اندمج هؤلاء بالحضارة الكنعانية، وتمثَّلوها وأصبحوا جزءاً منها، لكن أثرهم الوحيد المتبقي، هو الاسم الذي أعطوه لهذا الساحل (فلسطين).

---

(١) جواد بولس: مرجع سابق، ص ١٢٢، ١٢٤.

أما التيكير، فلا يُعرف عنهم كثيراً، إلا أنهم بنوا مدينة سمّوها (دور) إلى الجنوب من الكرمل، وكانوا يجوبون البحار، ويعملون كقراصنة وقطّاع طرق، وهم من دفع بسلوكهم هذا الكنعانيين إلى ركوب البحر والسيطرة عليه، فيما ذابوا هم بين السكان الأصليين، ومع مرور الزمن، لم نعد نسمع عنهم شيئاً(١).

ويبقى الأثر الأهم لهذه الغزوات، هو تحرير سورية من الهيمنة الخارجية المُتمثّلة بالحثيين في الشمال، والمصريين في الجنوب، وقد دفعت الممالك والإمارات السورية الكثير من أجل التحرر من هذه الهيمنة، بدءاً من معركة مجيدو ضد تحوتمس الثالث ١٤٦٨ ق.م ووصولاً إلى معركة قادش ١٢٨٥ ق.م التي دفع فيها السوريون الدماء الكثيرة، ما بين الصراع الحثي المصري من أجل السيطرة على سورية، لكن وبعد عام ١٢٠٠ ق.م ومع دمار حاتوشا، وانحسار تأثير الحثيين في مدينة كركميش، وتراجع الدور المصري، على الرغم من انتصارهم في معركة زاهي، لكنها خسرت أراضيها في سورية والساحل الفينيقي، واضطرت إلى التراجع والانكماش في

---

(١) يوسف سامي اليوسف: مرجع سابق، ص ٥٩، ٦٠.

وادي النيل[1]، استطاع السوريون، وخاصة على الساحل نَيْلَ حريتهم واستقلالهم، فبدؤوا بتشكيل أولى ممالكهم الحضارية، التي غزت عالم المتوسط بحضارتها.

ومع زوال السيطرة الحثية المصرية عن الداخل السوري، ومع مرور الدولة الآشورية بدور الضعف، كانت الفرصة سانحة للقبائل الآرامية للانتشار في بلاد الشام والرافدين، وقد زادت هذه القبائل من شدة ضغطها على المدن وأهالي الحضر، وأخذت تستقر في جوارها، وهيأت نفسها لتأخذ دورها البارز في صُنعِ مستقبل المنطقة، وخاصة مع حلول الألف الأول قبل الميلاد، وهي الفترة التي بدأ فيها الآراميون بتشكيل إماراتهم وممالكهم في بلاد الشام والرافدين، وبدأ صراعهم المرير مع الدولة الآشورية الوسطى والعائدة بقوة، ومن ثم مع الدولة الآشورية الحديثة ٩١١ - ٦١٢ق.م، وإلى جانب هذه القوى، ظهر الميديون في الهضبة الإيرانية نحو عام ١٠٠٠ق.م ليصبحوا قوة جديدة تُضافُ إلى هذه القوى في صنع هذا التاريخ، خلال الألف الأول قبل الميلاد. وهكذا انتهت

---

(١) إبراهيم توكلنا: مرجع سابق، ص ٧١٥.

بظهور هذه القوى الجديدة (الآرامية - الميدية (الفرس) - المصرية - الكنعانية - الآشورية - البابلية) حقبة طويلة من تاريخ الشرق العربي القديم، بعد أن خلَّفت شعوبه للأجيال القادمة تراثاً حضارياً، يُعدُّ بحقٍ المدماك الأساسي في بناء صرح الحضارة الإنسانية، ولكن شعوب المنطقة التي عركتها التجارب، وقاست ويلات المِحَنْ، وعاشت الكوارث، استطاعت أن تخرجَ من هذه المحنة القاسية، وأن تنتصر في أحداثها المريرة، فقد تابعت مسيرتها الكبرى، وبنت الممالك وأنشأت الإمبراطوريات[1]، التي سيكون لها أثر كبير في تشكيل خريطة المنطقة، ربما لعشرات أو مئات السنين، سواءٌ سياسياً أم حضارياً، وعلى رأسها الإمبراطورية الآشورية الحديثة ودولة بابل الثانية (الكلدانية) بعمقها الحضاري، وإمارات الآراميين في سورية، و(دول - مدن) الساحل السوري، إلى حين السيطرة الفارسية ٥٣٩ - ٣٣٣ق.م، ومن بعدها المقدونية (اليونانية) الهلينستية ٣٣٣ - ٦٤ق.م، ومن ثمَّ الرومانية - البيزنطية ٦٤ ق.م - ٦٣٦م قبيل مجيء الإسلام، وحتى عصرنا الحاضر.

(١) توفيق سليمان: مرجع سابق، ص ٣٨٧، ٣٨٨.

الخاتمة

لن نأتي في هـذه الخاتمـة بجديـد عـمَّا ذكرنـاه في بحثنـا المُطـوَّلُ عن شعوب البحر، ولن ندَّعي أننا قدمنا الحقيقة فيما أوردنـاه مـن آراءٍ أو تحليلات، حول تحركات هذه الشعوب الغازية، ولا ننسى أن فئـةً، وهـم مـن كِبـار البـاحثين في التـاريخ يرفـضون هـذه التحركات وحدوثها، وإن وافقوا على جـزءٍ منهـا، وخاصـة فـيما يخُـصُّ مجريـات الأحـداث في شـبه جزيـرة البلقـان، والحـوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وبحر إيجة، ومصر، فالتحركات التي حدثت في شبه جزيرة البلقان مـا بـين ١٩٠٠ - ١١٠٠ق.م، وكذلك ما حدث في جزيرة كريـت، ومـا نـال الـساحل الأيـوني (ساحل آسيا الصغرى الغربي) من خراب ودمار حاتوشا عاصمة الحثيين، لا تحتاج أدلَّةً ولا براهين، لأن هـذه الأحـداث واضـحة وضوح الشمس، وما سقوط طروادة إلا خـير دليـل عـلى ذلـك،

وإن رَفَضَ البعض ربط هذا السقوط بهذه التحركات، إلا أن هذا الـرفض غالبـاً مـا يتعلـق بـسقوط أوغاريـت، إن كـان عـلى يـد هـذه التحركـات، أم بـسبب الكـوارث الطبيعيـة، وعـلى رأسـها الزلـزال الـذي يـدَّعون حدوثـه في أواخـر القـرن الثالـث عـشر قبل الميلاد، نحو ١٢٠٠ق.م.

إن الباحث في التـاريخ، عـادةً مـا يلجـأ إلى مـا دوَّنـه كِبـار الباحثين، وما سجلته الاكتشافات الأثرية من نتـائج، وخاصـة النقوش والكتابات التي دوَّنها رجال وملوك وقادة كبار، كانوا في سـدة الحكـم، وكـان لهـم الـدور الأكـبر في حـدوث هـذه الأحداث، وفي صنع القرار، وإن كنّا نعـترف بـأن مُجمـل هـذه التدوينات لا يخلـو عـادةً مـن تـضخيم الأحـداث، وإعطائهـا صبغةً أسطورية، بغية إعطاء مُـدوِّنها عظمـة وأبّهـةً، إلا أنهـا في نهاية المطاف تبقى أحداثاً حقيقية، وإن تمَّ تـضخيمها، وإلا فـما هو السبيل إلى معرفة ما حدث في الماضي، إذا كنّا دائـماً نُـشكك بكلِّ شيء. فهـل مـا دوَّنـه مرنبتـاح ورعمـسيس الثالـث مـن أحداث كلها مزورة، إذن فلنتوقف عن كتابة التاريخ والبحـث فيه واستنباط العِبَرِ منه.

إن التنقيبات الأثرية التي حدثت في منطقة الأناضول، وخاصة في العاصمة الحثية حاتوشا، وكذلك في الساحل السوري، عادة ما تُظهِرُ انتشار طبقة من السواد، وخاصة في الفترة ما بين ١٢٠٠ - ١٠٠٠ ق.م، فيما اتُّفِقَ على تسميته بـ (عصر الظلمات)، فقد دُمِّرَت الأرشيفات، وأُحرِقت المدن كلها دفعةً واحدةً، ولم تستطع باقي المدونات، من كتابات على ورق البردي وغيرها مما لا تستطيع الوقوف أمام الحرائق وعوادي الزمن الطويل، في ظلِّ الرطوبة العالية المنتشرة عادة على الساحل السوري، من أن تصل إلينا لتجلو الحقيقة، لكن ما وصل إلينا من رُقمٍ من أوغاريت، وخاصة تلك الموجودة في فرن القصر الملكي، التي دُوِّنت عليها الرسائل المُتبادلة ما بين عمورابي آخر ملوك أوغاريت، وملك آلاشيا (قبرص) لَخيرُ دليلٍ على ما قدمناه، ويبقى القول الفصل في حقيقة ما حدث، هو ما سَتُقدمه بطونُ وسويات التلال الأثرية في قادم الأيام......

الملاحق

الملحق رقم (١)
شعوب البحر في عهد رعمسيس الثاني
١٢٩٠ - ١٢٢٤ق.م

هل كان لشعوب البحر ذِكرٌ في عهد رعمسيس الثاني؟، وهل استعان بهم في جيشه، الذي قاتل معه في معركة قادش؟. إن العديد من المتخصصين في التاريخ، عادة ما يُجمعون على أن أول ذكرٍ لشعوب البحر، فيما يخصُّ مصر، كان منذ عهد رعمسيس الثاني ١٢٩٠ - ١٢٢٤ق.م[١]، فهل كان ذلك صحيحاً، أو أنهم ذُكِروا قبل ذلك بكثير؟.

يبدو أن النشاط البحري الأخير لهذه الشعوب، قد توجه منذ زمن بعيد إلى المدن الثرية للساحل المشرقي والمصري، فالشردانا من الساحل الأيوني قرب (سيمي) والـ (لوكا)، اللتين ينبغي أن نرى فيهما (الليسيين)[٢] والذين كانت لهم شهرة بالقرصنة والمهارات القتالية الاستثنائية، المجموعة الأولى هاجمت ساحل الدلتا، في بداية

---

(١) زياد منى: مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ٢٠٠٠م، ط١، ص ٦٣.

(٢) سكان منطقة كاريا جنوب شرق آسيا الصغرى.

عهد رعمسيس الثاني، مُدخِلةً نفسها بذلك ضمن نطاق سيطرة «الفرعون» ولم يكن رعمسيس الشاب بطيئاً في تقدير براعتهم الفائقة، فهو لم يتوانَ بعد أن أحبط هجومهم في تجنيد فرقة من (الشاردان) في قواته المسلحة المصرية، التي أُتيح لها أن تعبِّر عن نفسها بعد فترة وجيزة في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م[1].

وكان رعمسيس الثاني، قد شَعَرَ مُبكِراً بتلك التحركات البحرية، فقد أولى الجبهة الغربية اهتماماً يدلُّ على توجس خطر قادم من هذه الجبهة، في حين كان اهتمام مصر فيما مضى ينصبُّ كاملاً على جبهة الشام، فبنى ثلاثة حصون في الجبهة الشمالية الغربية من مصر، لمواجهة خطر شعوب البحر، وهذه الحصون هي:

١ - حصن الغربانيات على مقربة من برج العرب الحالي.

٢ - حصن عند العلمين[2].

---

(١) دونالد ب. ردفورد: مرجع سابق، ص ٢١٠.

(٢) تبعد العلمين عن الإسكندرية نحو ٩٠كم باتجاه الغرب على ساحل المتوسط.

٣ - حصن عند زاوية أم الرخم، إلى الغـرب مـن مرسـى مطـروح الحالي(١).

وهذا ما يؤكد أن هذه التحركات لم تأتِ دفعةً واحدةً، بـل عـلى مدى أكثر من ثلاثة قرون من الزمن، ومن تلك الشعوب الليسيون المعروفون باسم EKwesh، وكذلك الفلستيون (البلست) والتيكير، والشاكلاش، والشردانيون، واللوكيون وغيرهم.

ويبـدو أن أسـماء قبائـل شـعوب البحـر كانـت موجـودة في وثـائق الدولـة المـصرية وملـوك الدولـة الحثيـة، منـذ القـرن الرابـع عـشر قبـل المـيلاد، إذ كانـت تـصل أفـواج مـنهم إلى مصر للعمـل فيهـا كمرتزقـة في الجـيش المـصري كــ الـشردانيين الـذين ورد ذكـرهم في معركـة قـادش ضـمن صـفوف الجـيش المصري، أو في صـفوف الـدويلات الـسورية المواليـة لمـصر ضـد الدولة الحثية، مثـل قبائـل: الدانونـة، والـشاكلاش، واللـوكيين،

---

(١) محمـود عبـد الحميـد أحمـد: الأطـماع الغربيـة في بلادنـا خـلال العـصور القديمـة، مقالـة في مجلـة المعرفـة، وزارة الثقافـة سـورية، العـدد ٦١٨، ٢٠٠٥م، ص ١٤١.

وقد كانت قبائل منهم تنزل في منطقة الأناضول، وتؤازر الدولة الحثية في حروبها ضد الإمبراطورية المصرية مثل قبائل: البداسا، والدرداني، والماسا، والكرانيشا، والإيرونيتا[1] وغيرها من القبائل.

فيما يذكر بعض الباحثين أن من بين قبائل شعوب البحر، شعب الأتروسكيين، الذين انتقلوا إلى شبه الجزيرة الإيطالية، وأسسوا فيها عدداً من دول المدن، في القسم الشمالي الوسيط منها، فيما سكن الشردان جزيرة سردينيا، بعدما أعطوها اسمهم، كما أعطى الشكاكلاش جزيرة صقلية اسمها المعروف الآن[2].

---

(١) ربما كان الإيرونيتا هم الـ Arawanna أي «الأحرار» وكانوا يقطنون غرب نهر الهاليس (كيزيل إرماك)، انظر بحث: الحثيّون وحملاتهم على سورية، فاروق إسماعيل، مجلة دراسات تاريخية، العدد ٨١ - ٨٢، ص ٥.

(٢) إبراهيم توكلنا: مرجع سابق، ص ٧١٤، ٧١٥.

الملحق رقم (٢)

البلست وتسمية فلسطين /رأي لـ د. زياد منى/

إن عدم العثور في فلسطين على أثرٍ واحدٍ يُثبت وجهة النظر السائدة، التاريخية منها والكتابية، جعل أهل الاختصاص يلجؤون إلى (براهين) أو شواهد ظرفية تدعمُ اجتهاداتهم، أساسها مقارنة بين أسماء محددة تَرِدُ في نقوش العديد من ممالك وحضارات المشرق العربي بعضها ببعض، فعلى سبيل المثال، عُثِرَ على نقوش تعود إلى ملك مصر أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ - ١٣٦٧ق.م تُشير إلى (سفن كفتو -«كفتو») والذي عُرِّف بأنه نفس الموقع (كفترء) المُسجل فيما يعرف باسم (النصوص الاقتصادية) العائدة لمملكة ماري (تل الحريري) وتم تعريفه في نهاية المطاف بأنه جزيرة كريت، وكما ذابت الإمبراطوريات المحتلة (الحثية، والفرس، والأرمن، والسكيثيون، والفرثيون، والإغريق، والرومان... والتتر، والمغول، والفرنسيون، والإنكليز...إلخ). ولم يتمكن أيٌّ منهم من تغيير، لا طبيعة ولا شكل وجوهر الإقليم، وكان على من بقي منهم أن يندمج في البوتقة الحضارية العربية، فإن الأمر ذاته سوف ينطبق على الكيان

الصهيوني الزائل عاجلاً أم آجلاً، وكما قام الإغريق والرومان بتغيير أسماء العديد من المدن في المشرق العربي، لكنها استعادت جميعها أسماءها الأصلية، بعد تمكُّن أهل الإقليم من طرد الغزاة، وترى الحال نفسها تنطبق على فلسطين، حيث من الصعب علينا قبول الاستثناء هنا دون شرحٍ وافٍ لأسباب ذلك، وقبول أن ذلك الاسم يعود بأصله إلى شعب«دخيل» مجهول الهوية.

بقي أن نقول إن هذا الاسم الإقليم (فلسطين) قد عُرِفَ بهذا الاسم منذ القدم، وإن لم تتوفر معلومات عن جذوره، رُغم أن التنقيبات الآثارية تشير إلى أن سكانه كانوا ينتمون إلى البوتقة الحضارية المشرقية، التي كانت سائدة في كل أنحاء الإقليم، الذي أطلق عليه العرب اسم بلاد الشام، كما أوضح استقصاؤنا أن معظم أطروحات الخطاب الاستشراقي، ما هي إلا اجتهادات ونظريات، غالباً ما تنهار أمام أي اختبار علمي جدي، وهذا ما يوافق عليه الاتجاه التجديدي والمُحدث في الأبحاث الكتابية[1].

---

(١) زياد منى: مرجع سابق، ص ٥٤، ٦٥، ٦٦.

الملحق رقم (٣)

عصر الحديد

كثيراً ما يرد في الدراسات والأبحاث التي تتناول تحركات شعوب البحر على قلتها، موضوع عصر الحديد، على أنه قد بدأ مع قدوم هذه التحركات، وتعزو تفوقهم فيما أحدثوه من اجتياحات إلى إمكاناتهم المتفوقة في استخدام الحديد، وصناعاتهم الحديدية، وخاصة الأسلحة المتفوقة جداً. فمن المتعارف عليه تاريخياً وأثرياً وعلمياً، أن العصور التاريخية، عادةً ما تُنسب إلى شيء ما، انتشر بكثافةٍ في تلك الفترة، كأن نقول عصر النحاس، أو عصر البرونز، أو عصر الحديد، كدليلٍ على انتشار استخدام هذه المعادن في هذه العصور، لكن هذا لا يعني العصر الذي تم اكتشاف ذلك المعدن فيه، فالمعدن ممكن أن يكون قد اكتشف قبل ذلك بكثير، ولكن العصر الذي يُنسب له، هو العصر الذي يشيع استخدامه فيه، فعندما نقول إنَّ عصر الكالكوليت ٤٥٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م هو عصر النحاس، فهو العصر الذي شاع فيه استخدام النحاس بكميات كبيرةٍ، لكن اللقى الأثرية أثبتت وجود النحاس المُصنَّع قبل ذلك بكثير، وقد يرقى إلى الألف السادس أو السابع قبل الميلاد، وهذا ما

ينطبق على عصر الحديد، الذي عادة ما يُنسبُ إلى الفترة التـي تبـدأ عام ١٢٠٠ ق.م للإيحاء بأنه قد بـدأ مـع قـدوم جحافـل شـعوب البحر، وعلى رأسهم البلست، الذين كانوا يتقنون استخدام الحديد، وهذا ما ذكره العديد من الباحثين، نذكر منهم:

المؤرخ هورست كلينغل الذي ذكر في كتابـه الموسـوم بــ / تـاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠ - ٣٠٠ ق.م / حول الفترة موضع البحث، إذ يقول: «كانت هناك تطورات أخرى، يجب الإشارة إليها، لأنها كانـت على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لتاريخ سورية اللاحـق، ألا وهـي تزايد دور الحديد في صناعة الأدوات، الذي سهّل، كـما هـو واضـح، حِراثة أنواع خاصة من التربة وحفر الآبار وقطع الأشجار..»[1].

فيما يقول يوسف سامي اليوسف في كتابه الموسوم بـ / تاريخ فلسطين عبر العصور /: «والحقيقة أن أهم إسهام قدمه البلست في مضمار تطـوير الحضارة، هو استعمال الحديد ونشره على نطاق واسع..»[2].

فيما يقول جورج سارتون، في كتابه الموسـوم بــ /تـاريخ العلـم – ج ١ - / وفي معرض حديثه عن دمار كريت على يد الدوريين: «ثم انغمرت هذه الحضارة الرائعة بسبب غزوات البرابرة مـن الـشمال

(١) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٩.

(٢) يوسف سامي اليوسف: مرجع سابق، ص ٥٩.

(الدوريين) وحلَّ محل العصر البرونزي، الذي استمر نحو ألفي سنة من عصر جديد عنيف، وهو عصر الحديد... وكان الحثيون، هم الذين اخترعوا الصناعات الحديدية نحو منتصف الألف الثاني قبل الميلاد... ومن بلاد الحثيين في بلاد الأناضول وصلت تلك الصناعات إلى بلاد الشام ومصر في الجنوب، وإلى بلاد مقدونيا في الغرب، والراجح أن الغزاة الدوريين الغلاظ، استطاعوا أن يفرضوا سيادتهم على شعوب البحر الإيجي بفضل أسلحتهم وأدواتهم الحديدية..»[1].

لكن التاريخ يقول: إن السوريين عموماً، كانوا قد اشتهروا بصناعة النحاس والبرونز والحديد قبل غيرهم بمئات السنين، فقد أظهر التحليل الكيميائي لنصلِ فأس من أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، اكتشف في رأس الشمرة، ليس معرفة إذابة الحديد فحسب، وإنما معرفة مزجه بمعادن أخرى لتصنيع مزيج الفولاذ، وكان هذا الأمر ذاته مجهولاً حتى ذلك الوقت، وقد اهتم الكنعانيون بالبحث عن المعادن لجعل الحديد قاسياً، وعن القصدير لأجل مزجه بالنحاس لصنع البرونز، وعن الذهب والفضة، ولذلك قاموا برحلات طويلة خارج بلادهم.

---

(١) جورج سارتون: مرجع سابق، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

ثم إن من ندعوهم بـ«الهكسوس» الذين تُثبت الوثائق هـويتهم العربية، كانوا يتميزون بأسلحتهم الحديدية وعرباتهم المتقدمة، ومن بين الأسلحة الجديدة التي ظهرت مع الهكسوس (السيف الحديدي المنحني، والقوس المركَّب، الذي ظهر لأول مرة في بـلاد الرافـدين في عصر الدولة الأكادية، في القرن الثـاني والعـشرين قبـل المـيلاد، فكيف بعد هذا كله، يكون«الفلسطينيون» البلست أول من أدخل صناعة الحديد إلى المنطقة.

إن العرب في بلاد الشام والرافدين، كانوا أول من عرفوا صناعة التعدين، وفي بلادهم بدأ عصر النحاس، والبرونز والحديد، وهـم أول من صنع الفولاذ، وقـد انتـشرت صـناعاتهم في شـتّى أرجـاء دولهِم من أعالي الفرات وطوروس إلى بحر العرب، ومن زغروس إلى المتوسط، وإن أحداً لم يضاهِ مجد دولهم، أو يدانيها في المجد[1].

---

(١) أحمد داوود: مرجع سابق، ص ٧٢٨، ٧٢٩.

الملحق رقم (٤)

رحلة ويناموت Wenamun وانتهاء النفوذ المصري

ويناموت كاهن مصري، وهو كاهن الإله آمون في طيبة، وكان قد أبحر من مصر في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد في البحر المتوسط، للحصول على خشب الأرز اللازم لإصلاح سفينة الإله آمون رع المقدسة وترميمها، وحسب النص الذي وصلنا مكتوباً بأسلوب أدبي، فإن ذلك حدث خلال عهد حريحور Herihor الحاكم الكاهن لمصر العليا.

وقد كانت سفينة ويناموت قد رست في (دور - Dor) وصور، وعبرت صيدا قبل أن تصل إلى جبيل، التي كان يحكمها المدعو (زاكار - بعل) Zakar - Ba,al في ذلك الوقت، وربما يتطابق هذا الحاكم مع (مالك سنان السهم)!!، الذي يلقب بـ:«ملك أمورو» أي ملك منطقة من أمورو[1]؟.

وتُظهِر القصة أن حاكم جبيل كان أميراً مستقلاً فخوراً بنفسه، وقد رفض استقبال ويناموت وإعطاءه الأخشاب المطلوبة، إن لم يدفع الثمن مُقدماً، وقال له:«أنا لست خادمك، كما أني لست

(١) هورست كلينغل: تاريخ، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

خادماً لمن أرسلك» ولم يزوده بما يرغب إلا بعد أن وصله الثمن من حاكم مدينته تانيس المصرية[1] كما تُظهِرُ هـذه القـصة بوضـوح، أن حاكم جبيل، لم يكن خاضعاً لمصر، فهو لم يستجب لمطالب المصريين بالحصول على أخشاب الأرز اللازمة لبناء سفينة الإله (آمون رع)، دون أن يدفعوا الثمن، بسبب نقص الأموال الموجودة لديـه. وقـد ناقش (ويناموت) ذلك مع حاكم جبيل، الـذي كـان يُعـدُّ، بـسبب إقامتـه في جبيـل«مـسؤولاً عـن تجـارة لبنـان مـع آمـون سـيده». ومن بعدها، رضي حاكم جبيل بتوريد الأخشاب فقط، بعد عـودة الساعي من مصر مُحمَّلاً بهدايا إضافية، بينها خمسمئة لفّة من البردي الجاهزة، وفي هذا إشارة إلى استخدام جبيل لهذه المادة. ومع أن قصة ويناموت لا تُعدُّ مصدراً تاريخياً مفصلاً يمكن الركـون إليـه، فإنهـا تعكس تدهور النفوذ المصري في جبيل، وربما في كنعان كلها[2].

(١) عيد مرعي: تاريخ سورية، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(٢) هورست كلينغل: تاريخ مرجع سابق، ص ٢٠٨.

الملحق رقم (٥)
غزوات شعوب البحر ظاهرة مستمرة

إن المتتبع لتاريخ الصراع ما بين الشرق والغرب، يدرك أن ثمّة حتمية أزلية لهذا الصراع، أملتها تربة ثقافية اعتاد الغرب على ممارستها، ويبدو أنّه لا تغيير في سلوك هذا الغرب تجاه العالم عامة، والشرق خاصةً، حتى العصر الحالي.

فأنا وإن كنت مؤيداً لفكرة الحضارة الإنسانية الواحدة، إلا أنني مع فكرة وجود ثقافات مختلفة ومتصارعة، ويبدو أن ثقافة كره الآخر، وإقصائه والسيطرة عليه، وعلى خيراته واستعباده، هي ثقافة القارَّة الأوروبية، التي طالما جاءنا منها القتل والدمار، والتشريد والكره لكلِّ جنس بشري -غير أوروبي -آخر. إنني أعترف أن أوروبا قد قامت بقفزات -نهضة -كبيرة في مجال التكنولوجيا والعلم والفن، وفي كافة مجالات الحياة، وحتى على مستوى حقوق الإنسان، لكنها لم ترتقِ حتى الآن، لتدرك أن الكرة الأرضية هي موطن الإنسان -الإنسان الأوحد الذي يعيش في هذا الكون -وليس الإنسان الأوروبي فقط، وإن سائر البشر، إنما خُلِقوا لكي يعيشوا بكرامةٍ، أعطاها لهم تفوقهم على كافة

المخلوقات، من خلال امتلاكهم للعقل، الـذي لم يثبـت حتـى الآن أن لا ميزة لعرقٍ على آخر في إمكانيات استخدام هذا العقل، إلا في القتل ونفـي الآخر، فقد برع فيها الأوروبي (لا ننسى أمريكا وليدة أوروبا) كما بـرع في استخدام العقل في الاختراعات والتكنولوجيا، التي سخَّرَ جزءها الأكـبر لاختراع آلة القتل والتدمير، ونهب خيرات الشعوب واستعبادها.

وبالعودة إلى فحـوى هـذا الملحـق، نقـول: إن الفكـر الأوروبي المتسلِّط، لم يعـرف، ولـن يعـرف يومـاً إلا أنـه خُلِـقَ لكـي يحكـم الآخرين، وقد كانت غزوات شعوب البحر، هي المرة الأولى التـي يحصل فيها اللقاء مـا بـين أوروبـا والـشرق، إذا مـا اعتبرنـا آسـيا الصغرى من الشرق، وإلا لكنّا اعتبرنا الصراع الحثي العـربي (مـع بابل ويمحاض«حلب» وإيبلا) منذ أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، بمثابة الصراع الأول ما بين الشرق والغرب.

وتعدُّ غزوات شعوب البحر، تلك الشعوب التي خرجـت مـن أطراف أوروبا الشرقية، بعد تحركات قامت بهـا أوروبـا الـشمالية، باتجاه الجنوب، وبسبب الظروف التي عانت منها أوروبـا في تلـك الآونة، فما كان منها إلا أن وجدت الحل على حساب الشرق، فهـو الغني بثرواته، والخصب بتربته، والواسع بأراضيه، فما كان من تلك الشعوب الغازية البربرية إلا أن غزت بلادنـا وعملـت فيهـا قـتلاً

وتدميراً، ووفق هذه النظرة، وهذا السلوك، سلكت أوروبا وما زالت تسلك في صراعها مع الشرق، ولم يخرج الإسكندر المقدوني ٣٣٣ - ٣٢٣ق.م عن هذه القاعدة، ولم تخرج عنها روما عندما حطّت بجحافلها على أرض سورية عام ٦٤ ق.م مع وصول بومبي إليها، ووصول أوكتافيانوس (أوغسطس) إلى مصر عام ٣١ق.م، ولسنا هنا في حاجة لتقديم دروس في الخراب والدمار عمَّا فعلته روما في بلادنا، فما حلَّ بقرطاجة عام ١٤٦ ق.م من حِراثة أرضها و(بذرها) بالملح لقتل الحياة فيها، وما حلَّ بتدمر عام ٢٧٢م. من خراب وتدمير، لخير دليل على ما ذكرنا.

ولن تنحو الإمبراطورية البيزنطية في حروبها مع الشرق العربي غير هذا المنحى، ولن تفعل حروب الفرنجة (الصليبية) بالساحل السوري، إلا كما فعلته غزوات شعوب البحر قبل نحو ٢٣٠٠ سنة من قدوم أولى حملات الفرنجة تحت شعار الصليب إلى بلادنا، ويبدو أن تاريخ الصراع اليوم ما بين الشرق العربي وأوروبا، يشبه إلى حدٍ كبير ما حدث من غزوات شعوب البحر من حيث المدة الزمنية التي استغرقتها، والنتائج الكارثية التي فعلتها تلك الحملات.

استمرت همجية الفرنجة على بلادنا ما بين ١٠٩٨ وحتى ١٢٩١م أي ما يقارب القرنين من الزمن، وهو يقارب الزمن الذي استمرت به

غزوات شعوب البحر. وإن الخراب الذي زرعته تلك الغزوات بأوغاريت، وصيدا، وصور، وأمورو، وآلالاخ... إلخ يُشبه إلى درجة كبيرة، الخراب الذي أحدثته حملات الفرنجة في إنطاكية عام ١٠٩٨م من خراب وقتلٍ وسبي، وفي معرة النعمان، من أكل لحوم الأطفال بعد شيّها، وربما أكلها طرية، ومن ثم المجزرة المروِّعة التي ارتكبت في القدس عام ١٠٩٩م، ولا تبعد معركة زاهي التي انتصر فيها رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ق.م عن النصر الذي حققه صلاح الدين في معركة حطين، والظاهر بيبرس، ومن ثمَّ الأشرف خليل بن قلاوون، الذي استطاع إخراج آخر الصليبيين من البلاد العربية.

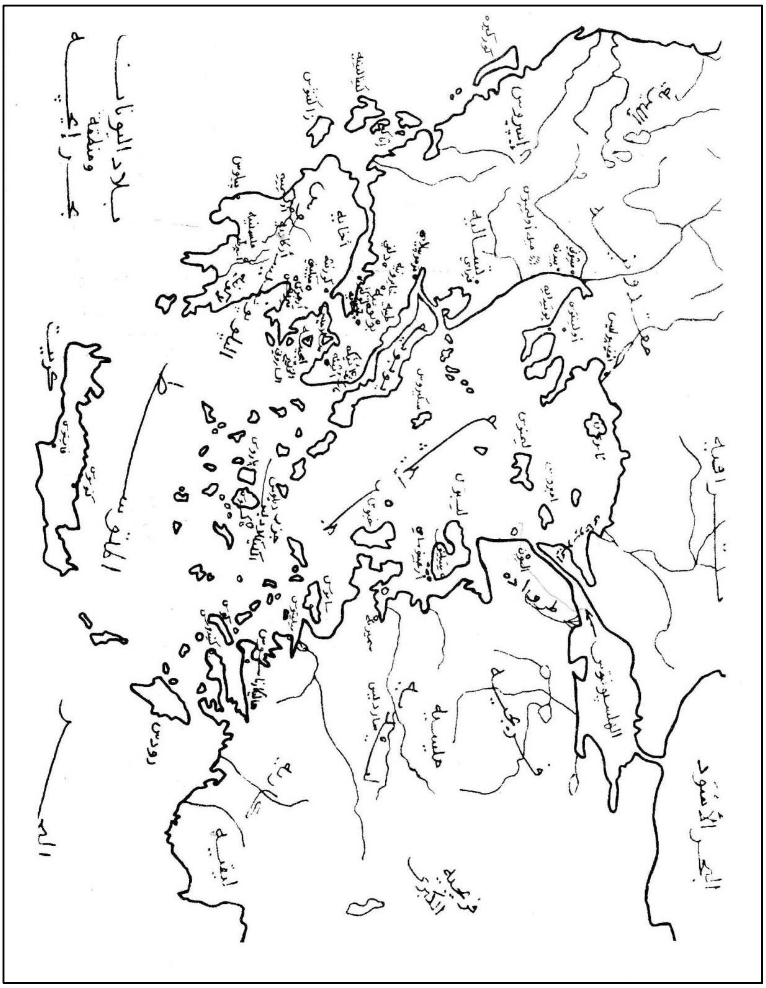
ولا تبعد الحضارة العربية التي سُرِقَت من بلادنا، إبان غزوات شعوب البحر، وامتزاج بعض هذه الشعوب في الحضارة العربية، وتمثُّلها والانصهار بها، لا يختلف عن سرقة الحضارة العربية الإسلامية على يد الفرنجة، ومن بقي منهم أيضاً، فقد امتزجوا بالسكان، وتمثَّلوا عاداتهم وتقاليدهم، وسرقوا حضارتهم إلى أوروبا.

ولن نجانب الحقيقة عندما نُشبِّه غزوات الشعوب الأوروبية على معظم البلاد العربية إبان القرنين ١٩ - ٢٠م واحتلالها للوطن العربي تحت عناوين برَّاقة، من انتداب، ووصاية، وحماية، إلا أنها تبقى شكلاً واحداً من أشكال الاستعمار البغيض، بكلِّ ما له من

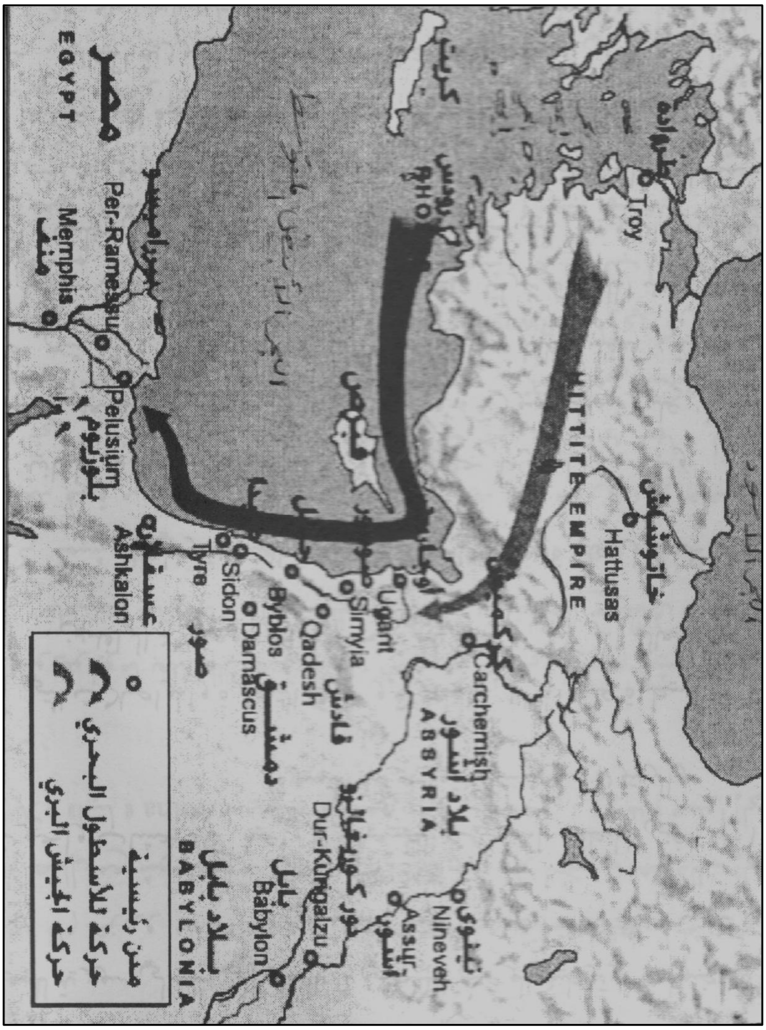
كراهية للآخر، وحب استغلاله واستعباده، واسترقاقه، بغزوات شعوب البحر والتي دارت رحاها إبان القرنين ١٣ - ١٢ق.م، وما زَرْعُ الكيان الصهيوني البغيض في فلسطين الحبيبة، إلا شكل جديد من أشكال غزوات شعوب البحر، التي يبدو أنها مستمرة على بلادنا العربية، رغبةً منها في القتل والتدمير وإذلال الشعوب كعادتها، وعلى مدى آلاف السنين.

لكننا نقول: إنه عندما تكون مناطق الحضارة (بالمعنى الأخلاقي على الأقل) على درجة من التماسك والقوة، فلا مجال لغزوات بربرية كهذه، أن تنال منّا، ومن تراب بلادنا الطاهر؟؟.

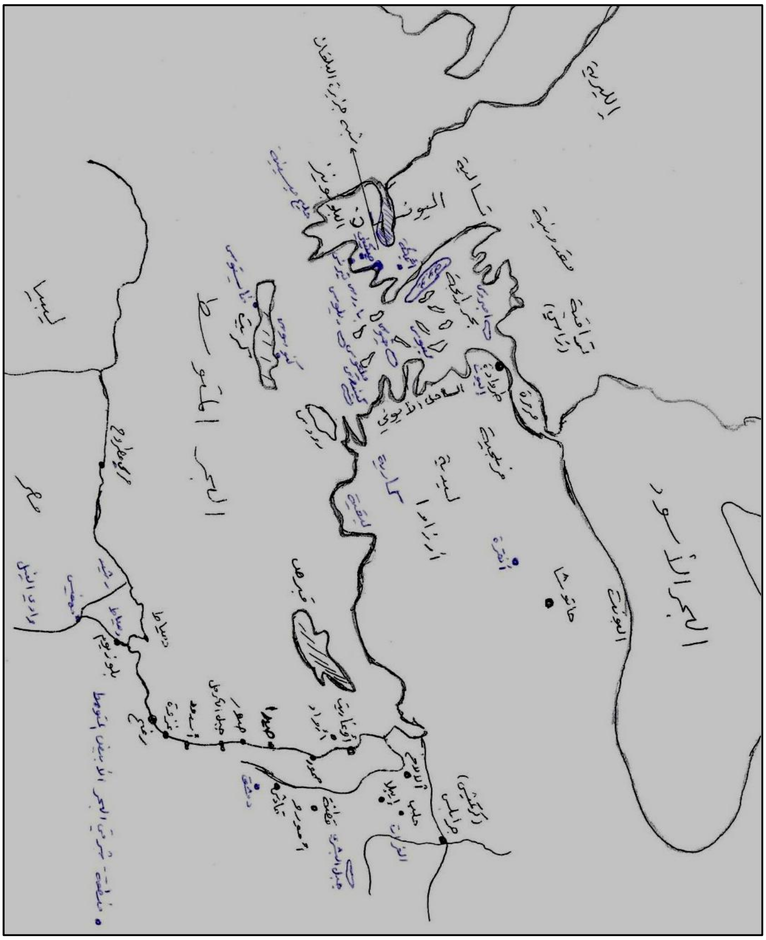
الخرائط



خريطة شبه جزيرة البلقان وأرخبيل جزر بحر إيجة والساحل الأيوني

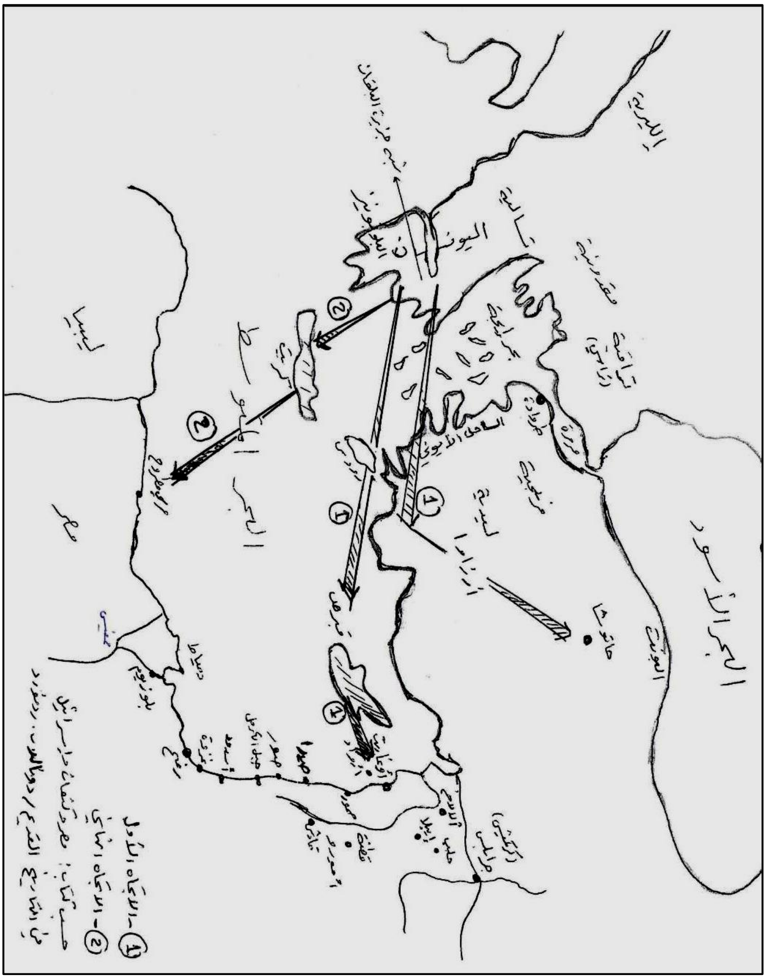


مسير هجمات شعوب البحر البرية والبحرية

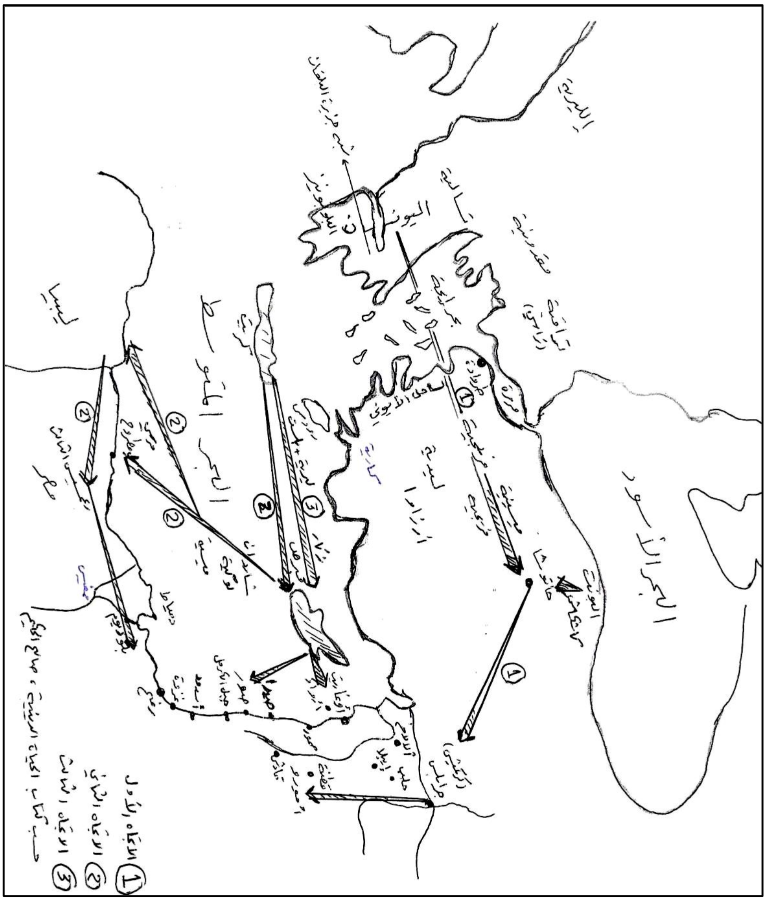


منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط

(الخريطة من إعداد الباحث نزار مصطفى كحلة)

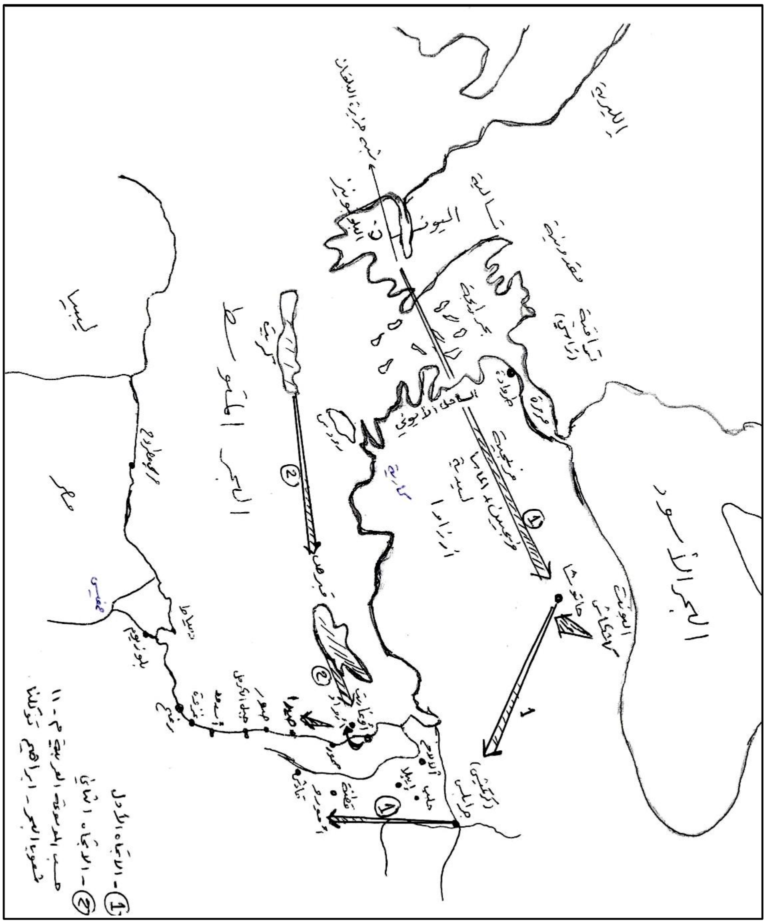


تحركات شعوب البحر حسب كتاب / مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / دونالد ب. ردفورد (الخريطة من إعداد الباحث نزار مصطفى كحلة)

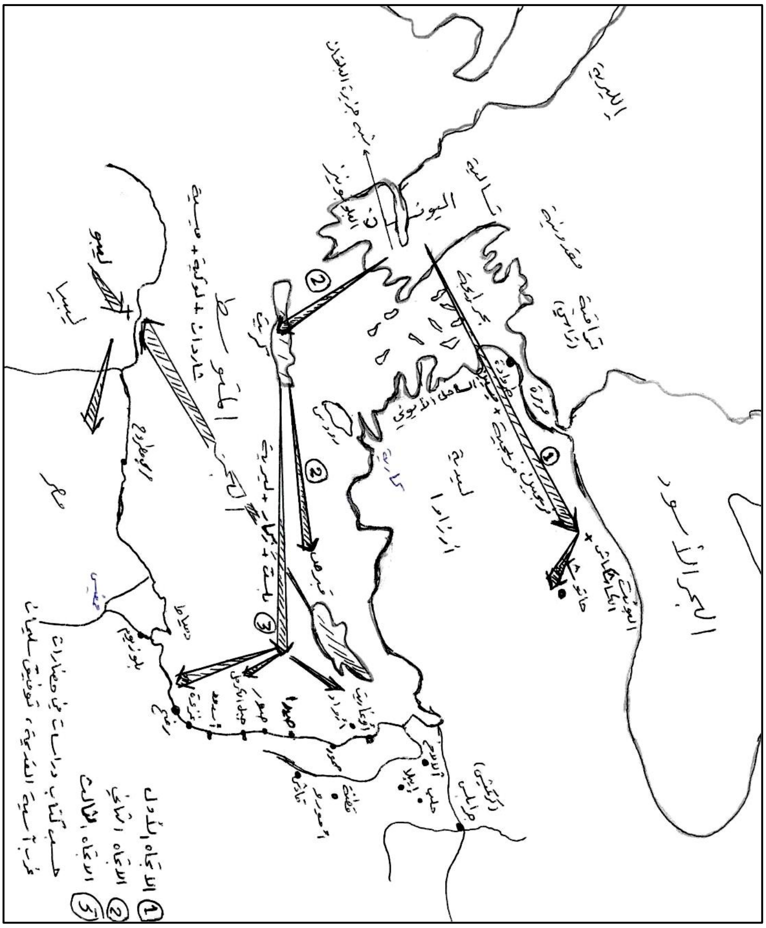


تحركات شعوب البحر حسب كتاب /الحياة الدينية في أوغاريت /صالح الحكيم

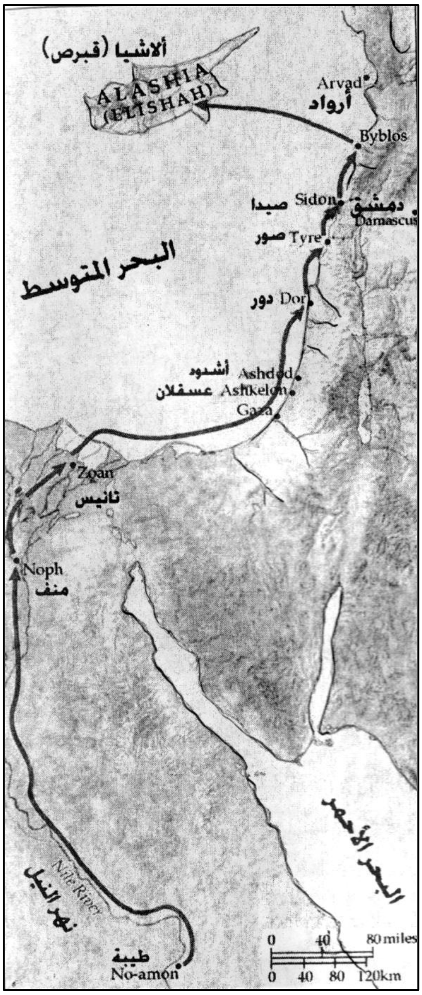
(الخريطة من إعداد الباحث نزار مصطفى كحلة)



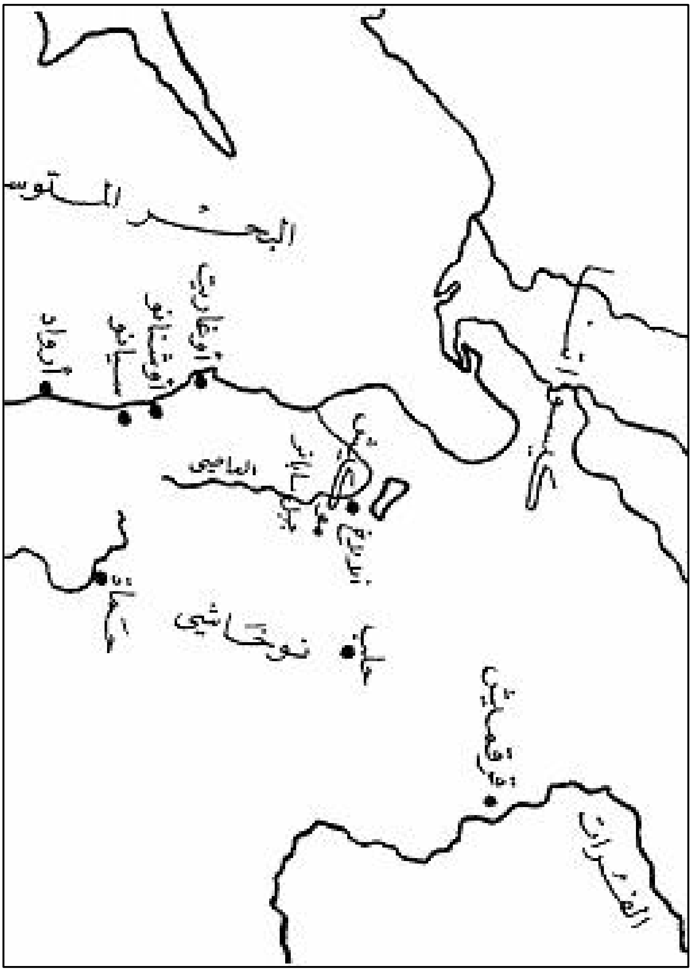
تحركات شعوب البحر حسب الموسوعة العربية، المجلد ١١ / (بحث بعنوان: شعوب البحر)، إبراهيم توكلنا (الخريطة من إعداد الباحث نزار مصطفى كحلة)



تحركات شعوب البحر حسب كتاب /دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة / توفيق سليمان (الخريطة من إعداد الباحث نزار مصطفى كحلة)

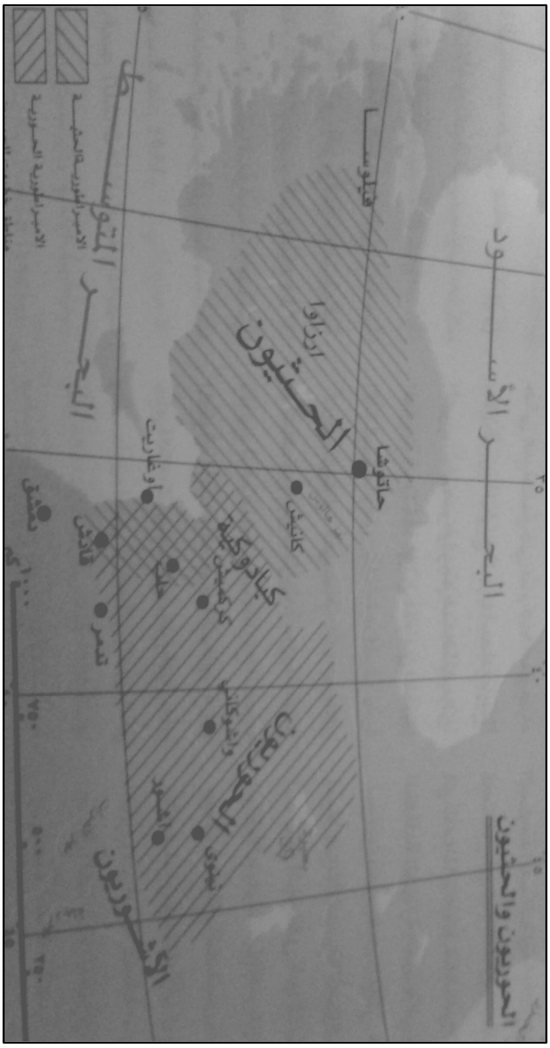


رحلة الكاهن المصري ويناموين إلى الساحل السوري
في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد



موقع مدينة كركميش (جرابلس الحالية)

ومملكة موكيش (آلالاخ) وحلب (يمحاض) وأوغاريت



الإمبراطورية الحثية والعاصمة حاتوشا

الجداول

جدول يُبين أسماء شعوب البحر في غزوة السنة الخامسة ١٢١٩ ق.م من حكم الملك مرنبتاح، حسب ما وردت عند أنطون مورتكات، وصفيّة سعادة، ودونالد ب . ردفورد، ومحمود عبد الحميد أحمد

محمود عبد الحميد أحمد (مرنبتاح غزوة السنة الخامسة ١٢١٩ق.م)	أنطون مورتكات (مرنبتاح غزوة السنة الخامسة ١٢١٩ق.م)	صفيّة سعادة (مرنبتاح غزوة السنة الخامسة ١٢١٩ ق.م)	دونال ب. ردفورد (مرنبتاح غزوة السنة الخامسة ١٢١٩ ق.م)
الأكيين		الأكويش (الإيجيين)	
التيروسيين	التورشيين	الترنيش (الليديين)	
الليكيين	اللقيين	اللوكا	
السردينيين	الشاردانيين	الشردين	
الصقليين			
ليبو	الليبيق	الليبيين	اللابو
		الشيكيليش	

		المشوش	مشوش
			الآشوتا
			الحاسا

جدول يُبين أسماء شعوب البحر حسب ما وردت في كتاب /مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم / دونالد ب. ردفورد، في حملة السنة الخامسة لـ رعمسيس الثالث ١١٩٣ ق.م، مقارنة مع نقوش (هابو).

نقوش هابو (رعمسيس الثالث غزوة السنة الخامسة ١١٩٣ ق.م)	**كتاب ردفورد (رعمسيس الثالث غزوة السنة الخامسة ١١٩٣ ق.م)**
الليبو	
السبد	الاسبوتاي
المشوش	المشوش
	الحاسا
	الكاركيزا

جدول يُبين أسماء شعوب البحر في غزوة السنة الثامنة، لرعمسيس الثالث ١١٩٠ -١١٨٩ ق.م، حسب ما وردت عند السير آلن جاردنر، ودونالد ب. ردفورد، ومحمود عبد الحميد أحمد في كتابه /دراسات في تاريخ مصر الفرعونية /.

محمود عبد الحميد أحمد (رعمسيس الثالث غزوة السنة الثامنة ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م)	دونالد ب. ردفورد (رعمسيس الثالث غزوة السنة الثامنة ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م)	جاردنر (رعمسيس الثالث غزوة السنة الثامنة ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م)
البلست	بيلست	بلست
الزكار		زكار
الشكلش	شيكيليش	شكلش
الدانو أو الدانونا	دعنو (دانو)	دانو
الوشاش	واش واش	وشش
	التجيكرو	

جدول يُبين أسماء شعوب البحر في غزوة السنة الحادية عشرة، لرعمسيس الثالث ١١٨٧ ق.م، حسب ما وردت في كتاب / مصر الفراعنة / للسير آلن جاردنر

كتاب آلن جاردنر رعمسيس الثالث غزوة السنة الحادية عشرة ١١٨٧ ق.م
المشوش
ليبو

اسبات
قيقاش
شايتب
هاسا
بقن

جداول بأسماء الأسر الحاكمة في الدول المتعلقة بالبحث

القرن	العائلة الحاكمة في مصر	العائلة الحاكمة في حاتوشا
القرن ١٦ ق.م	**الأسرة ١٨** تحوتمس الأول ١٥٢٥ -١٤٩٥ ق.م	
القرن ١٥ ق.م	تحوتمس الثاني ١٤٩٥ -١٤٩٠ ق.م حتشبسوت ١٤٩٠ -١٤٦٨ ق.م تحوتمس الثالث ١٤٦٨ -١٤٣٦ ق.م أمنحوتب الثاني ١٤٣٦ -١٤١٣ ق.م تحوتمس الرابع ١٤١٣ -١٤٠٥ ق.م	تودخاليا الثاني ١٤٦٠ - ١٤٤٠ ق.م خاتوشيلي الثاني تودخاليا الثالث
القرن ١٤ ق.م	أمنحوتب الثالث ١٤٠٥ -١٣٦٧ ق.م أمنحوتب الرابع (أخناتون) ١٣٦٧	شوبيلوليوم الأول ١٣٨٠ - ١٣٤٦ ق.م

	-١٣٥٠ ق.م أربعة ملوك ضعاف **الأسرة ١٩** رعمسيس الأول ١٣٠٨ -١٣٠٧ ق.م سيتي الأول ١٣٠٧ -١٢٩١ ق.م	أرنو واندا الثاني ١٣٤٦ - ١٣٤٥ ق.م مورشيلي الثاني ١٣٤٥ - ١٣٠٦ ق.م
القرن ١٣ ق.م	رعمسيس الثاني ١٢٩٠ -١٢٢٤ ق.م مرنبتاح ١٢٢٤ -١٢١٤ ق.م أربعة أو خمسة ملوك ضعاف	مواتالي ١٣٠٦ -١٢٨٢ق.م أورمي تيشوب ١٢٨٢ - ١٢٧٥ ق.م خاتوشيلي الثالث ١٢٧٥ - ١٢٥٠ ق.م تودخاليا الرابع ١٢٥٠ - ١٢٢٠ ق.م أرنو واندا الثالث ١٢٢٠ - ١٢٠٠ ق.م
القرن ١٢ ق.م	**الأسرة ٢٠** ست نخت ١٢٠٠ -١١٩٨ ق.م رعمسيس الثالث ١١٩٨ –١١٦٥ ق.م رعمسيس الرابع ١١٦٥ -	شوبيلو ليوما الثاني ١٢٠٠ - ١١٩٠ ق.م

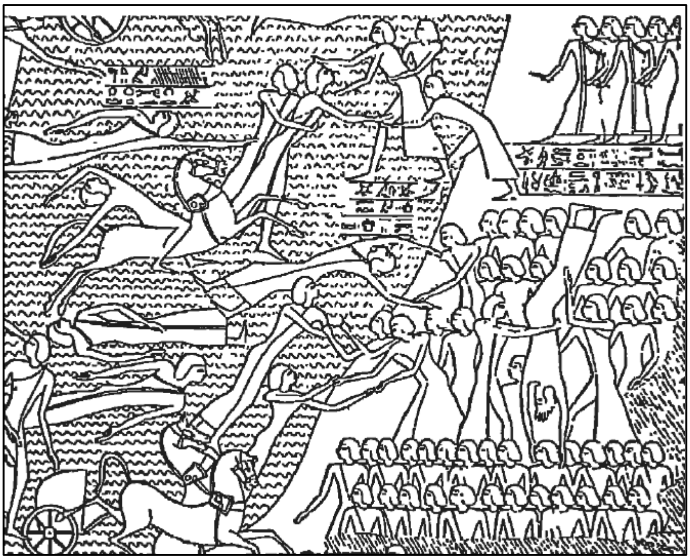
القرن	العائلة المالكة في أوغاريت	العائلة المالكة الآشورية	العائلة المالكة في مملكة أمورو
القرن ١٤ ق.م	عمشتمرو الأول ؟ - ١٣٥٠ نقمادو ١٣٥٠ - ١٣١٥ ق.م أرخلبا ١٣١٥ - ١٣١٣ ق.م نقميبا ١٣١٣ - ١٢٦٠ ق.م	آشور أوباليط الأول ١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م إنليل نيراري ١٣٢٩ - ١٣٢٠ ق.م إريك دين -إلو ١٣١٩ - ١٣٠٨ ق.م أدد نيراري الأول ١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق.م	عبدي عشيرتا ١٣٨٠ - ١٣٤٥ ق.م عزيرو ١٣٤٥ - ١٣١٥ ق.م أري تيشوب (دوتيشوب) ١٣١٤ - ١٣١٢ ق.م دوبي تيشوب ١٣١٢ - ١٢٩٠ /١٢٨٠ ق.م
القرن ١٣ ق.م	عمشتمرو الثاني ١٢٦٠ - ١٢٣٥ ق.م ابيرانو ١٢٣٥ - ١٢٢٠ ق.م نيقمادو الثالث ١٢٢٠ - ١٢١٠ ق.م	شلمانصر الأول ١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م توكوليتي نينورتا الأول ١٢٤٤ - ١٢٠٨ق.م فترة من الضعف استمرت لأكثر من قرن	بن تشينا ١٢٩٠ /١٢٨٠ - ١٢٧٥ ق.م شابيلي ١٢٧٥ - ١٢٦٤ ق.م بن تشينا (ثانية) ١٢٦٤ - ١٢٣٥ق.م شاوش جاموا ١٢٣٥ - ؟ ق.م
القرن ١٢ ق.م	عمورابي ١٢١٠ - ١١٩٠ ق.م	تجلات بليصر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م	

جدول زمني بأهم الأحداث التي وردت في البحث

- ٢٥٠٠ - ١٩٠٠ ق.م آخر العصر الهللادي الوسيط.
- ١٩٠٠ - ١٥٥٠ ق.م العصر الهللادي الوسيط.
- ١٩٠٠ ق.م بدء دخول الأقوام الأوروبية (الجدد) إلى شبه جزيرة البلقان.
- ١٩٠٠ - ١١٠٠ ق.م المدة الزمنية التي دخلت فيها الموجات الثلاث إلى شبه جزيرة البلقان (اليونان).
- ١٤٦٧ ق.م معركة مجيدو.
- ١٢٨٥ ق.م معركة قادش.
- ١٢٦٩ ق.م معاهدة السلام بين الحثيين والمصريين.
- ١٢١٩ ق.م غزوة السنة الخامسة في عهد مرنبتاح ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق.م.
- ١٢٠٠ ق.م بداية حرب طروادة،
- ١١٩٣ ق.م غزوة السنة الخامسة من حكم رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ ق.م.

- ١١٩١ ق.م سقوط العاصمة الحثية حاتوشا.
- ١١٩٠ ق.م سقوط مدينة آلالاخ.
- ١١٩٠ ق.م سقوط مدينة أوغاريت.
- ١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م غزوة السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث (معركة زاهي).
- ١١٨٧ ق.م غزوة السنة الحادية عشرة من حكم رعمسيس الثالث.
- ١١٦٠ - ١١٥٠ ق.م بدء هجمات الموشكي على بلاد الرافدين.
- ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م تجلات بليصر الأول في مواجهة الموشكي (شعوب البحر).

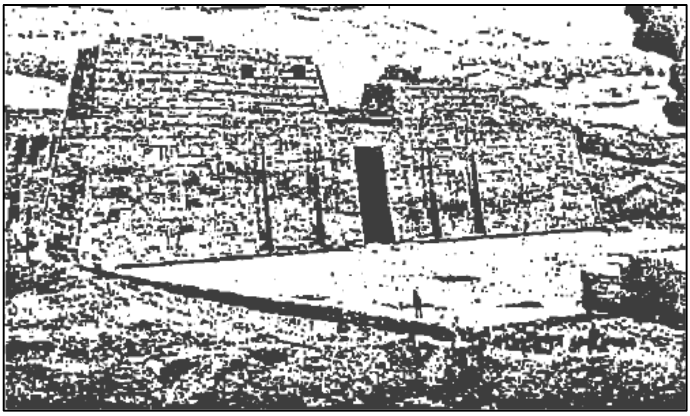
الصور



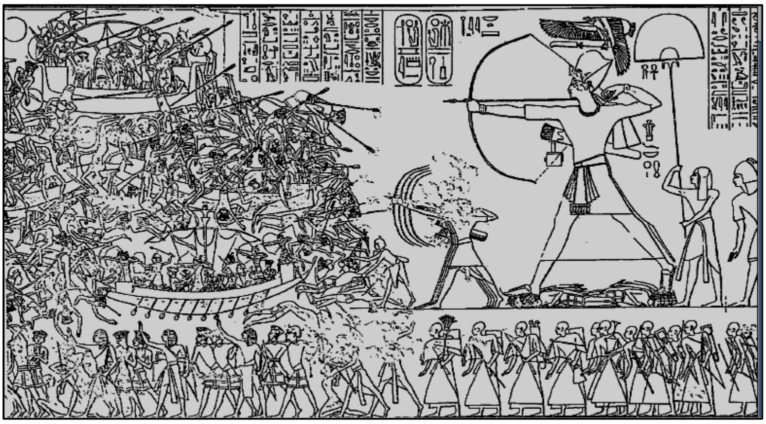
منظر من مناظر النقوش البارزة لمعركة قادش، يُشاهد فيه الآسيويون هاربين نحو نهر العاصي، وإخوانهم على الجهة الأخرى للنهر ينتشلونهم منه.



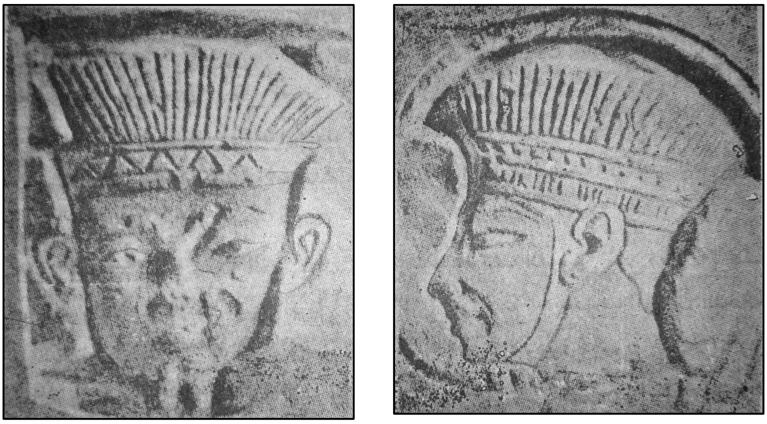
المعركة التي خاضها المصريون مع البلست في عهد رعمسيس الثالث
١١٩٠ - ١١٨٩ ق.م



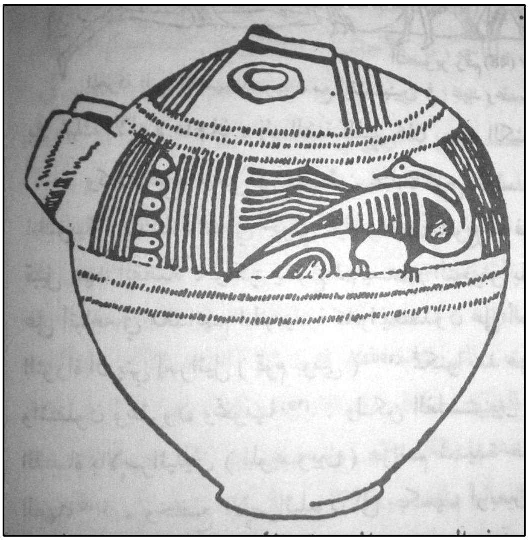
معبد رعمسيس الثالث بمدينة هابو



مشهد من معركة زاهي البحرية



جنديان من البلست



نموذج من النقوش الخزفية من صنع البلست

المراجع

١ - أحمد أمين سليم: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - مصر - العراق - إيران، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

٢ - أحمد داوود: تاريخ سورية القديم (تصحيح وتحرير)، سلسلة (الكتاب الأول)، دار المستقبل، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م.

٣ - أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ٦.

٤ - البعثة الفرنسية المنقبة: رأس الشمرة /١٩٢٩ - ١٩٧٩ /ت. فهمي الدالاتي، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ١٩٨٠م.

٥ - آلن جاردنر، السير آلن جاردنر: مصر الفرعونية، ت. نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعة كلارندون، القاهرة، ١٩٦١م.

٦ - أنطون مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم، ت. توفيق سليمان وعلي أبو عسّاف وقاسم طوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٦٧م.

٧ - توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور حتى عام ١١٩٠ ق.م، الشرق الأدنى القديم«بلاد ما بين النهرين /بلاد الشام»، دار دمشق للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥ م.

٨ - جواد بولس: لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة بدران وشركاه للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٣م.

٩ - جورج سارتون: تاريخ العلم، ج ١، دار المعارف، ط ١، ١٩٥٧م، ط ٢، ١٩٦٣م.

١٠ - جيمس هنري برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي - صفحات من تاريخ مصر (٤)، ت. حسن كمال، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦م.

١١ - جيهان عزت محمد: أخبار مملكة أمورو في النصوص الأكادية، وزارة الثقافة، سورية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، دمشق، ٢٠١١م.

١٢ - خليل سارة، دراسات في تاريخ الإغريق - مقدمة في التاريخ الحضاري والسياسي، دمشق، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م.

١٣ - دونالد ب . ردفورد: مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم، ت. علي خليل، دار الرأي للنشر والتوزيع، سورية، دمشق.

١٤ - زياد منى: مقدمة في تاريخ فلسطين القديم، دار بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط١، ٢٠٠٠م.

١٥ - سباتينو موسكاتي: الحضارة الفينيقية، ت. نهاد خياطة، دار العربي للنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

١٦ - صالح الحكيم: الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي في الألف الثاني قبل الميلاد، وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، ٢٠١٠م.

١٧ - صفيّة سعادة: أوغاريت، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٢ م.

١٨ - طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - الوجيز في تأريخ حضارة الرافدين، الجزء الأول، منشورات دار البيان ٥٣، بغداد، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٧٣م.
١٩ - عبد العزيز عثمان: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٦م.
٢٠ - علي أبو عسّاف: نصوص أوغاريت - دراسات ونصوص قديمة (٣)، وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط ١، ١٩٨٨م.
٢١ - عمار عبد الرحمن: مملكة آلالاخ - ألق التاريخ على العاصي، وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢٠٠٨م.
٢٢ - عيد مرعي، وفيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي القديم – بلاد الرافدين، دمشق، ط ٤، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م.
٢٣ - عيد مرعي: تاريخ سورية القديم (٣٠٠٠ - ٣٣٣ ق.م)، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٠م.
٢٤ - فاروق إسماعيل: اللغة الآرامية القديمة، جامعة حلب، ٢٠٠١م.
٢٥ - فاروق إسماعيل: مراسلات تل العمارنة الدولية - وثائق مسمارية من القرن ١٤ ق.م / سلسلة دراسات آثارية (٤)، دار إنانا للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠١٠ م.
٢٦ - فرانسوا دوكريه: قرطاجة الحضارة والتاريخ، ت. يوسف شلب الشام، دار طلاس للنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.
٢٧ - فيصل عبد الله: تاريخ الوطن العربي القديم - بلاد الشام - سورية ولبنان وفلسطين والأردن، دمشق، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م.

٢٨ - فيليب حتي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ت. جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ج١، ١٩٨٢م.
٢٩ - قاسم الشوّاف: أخبار أوغاريتية وموسيقا من أوغاريت -أقدم موسيقا معروفة في العالم، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م.
٣٠ - قاسم الشوّاف: مع الكلمة الصّافية - دراسة فلسطينية، منشورات دار الأجيال، دمشق، ط ١، ١٩٦٩م.
٣١ - قصي محمد عبد الرحمن: أوغاريت، وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.
٣٢ - كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ت. عفيف الرزّاز،مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م.م. بيروت، لبنان، الطبعة العربية السادسة، ١٩٩٧م.
٣٣ - ليونارد وولي: آلالاخ - مملكة منسيّة، دراسات ونصوص قديمة (٥)، ت. فهمي الدالاتي، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، ١٩٩٢م.
٣٤ - محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم - من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
٣٥ - محمد حرب فرزات: موجز في تاريخ سورية القديم، دمشق، ط١١، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م.
٣٦ - محمد حرب فرزات: محاضرات في تاريخ الشرق القديم - مصر القديمة وحضارتها، دمشق، ١٩٨١ - ١٩٨٢م.

٣٧ - محمد عبد الحميد الحمد: حضارة طريق التوابل، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧م.
٣٨ - محمد محفل: دراسات في تاريخ الرومان، ج ٢، منشورات جامعة دمشق، ط ١٠، ٢٠٠٠ - ٢٠٠١م.
٣٩ - محمود عبد الحميد أحمد: دراسات في تاريخ مصر الفرعونية، دمشق، ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م.
٤٠ - محمود عبد الحميد أحمد وآخرون: آثار الوطن العربي القديم - العراق - سورية - مصر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م.
٤١ - نزار مصطفى كحلة: إبداعات حضارية في تاريخ العرب قبل الإسلام، كتاب قيد الطباعة.
٤٢ - نور الدين حاطوم وآخرون: موجز تاريخ الحضارة - حضارات العصور القديمة، ج ١، مطبعة العروبة، دمشق، ١٩٦٤م.
٤٣ - هنري ساغس: جبروت آشور الذي كان، ت. آحو يوسف، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٥م.
٤٤ -هورست كلينغل: تاريخ سورية السياسي ٣٠٠ - ٣٠٠٠ق.م، ت. سيف الدين دياب، تدقيق. عيد مرعي، دار المتنبي، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
٤٥ - هورست كلينكل: آثار سورية القديمة - آثار ما قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٥م.
٤٦ - يوسف سامي اليوسف: تاريخ فلسطين عبر العصور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٩م.
٤٧ - يولي بركوفيتش تسركين: الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ت. يوسف أبي فاضل، دار جَروس برس، طرابلس، لبنان، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٢٦.

الدوريات

١ - جاك فرو: علاقات أوغاريت الدولية في نهاية عصر البرونز، مقالة في مجلة المعرفة، ت. موسى ديب الخوري، وزارة الثقافة سورية، العدد ٥٦٦، ٢٠١٠م.

٢ - رينيه لوبران: أوغاريت وخاتي في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، مقال في مجلة مهد الحضارات، ت. غادة الحسين، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للتدريب والبحث الأثري، العدد ١١ - ١٢، ٢٠١٠م.

٣ - فاروق إسماعيل: الحثِّيون وحملاتهم على سورية، بحث في مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨١ - ٨٢ ، ٢٠٠٣م ، جامعة دمشق، لجنة كتابة تاريخ العرب.

٤ - فراس السواح: آخر أيام أوغاريت - عوامل طبيعية أم بشرية، مقال في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سورية، العدد ٥٠٧، ٢٠٠٥م.

٥ - محمود عبد الحميد أحمد: الأطماع الغربية في بلادنا خلال العصور القديمة، مقال في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة سورية، العدد ٦١٨، ٢٠١٥م.

الموسوعات

١ - إبراهيم توكلنا: شعوب البحر، بحث في الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر، الجمهورية العربية السورية، هيئة الموسوعة العربية، سورية، ط ١، ٢٠٠٥م.

٢ - بشير زهدي: الحثيون، بحث في الموسوعة العربية، المجلد الثامن، الجمهورية العربية السورية، هيئة الموسوعة العربية، سورية، ط ١، ٢٠٠٣م.

المحتوى

الصفحة

مقدمة ٧
صعوبات البحث ١٥

الفصل الأول

أوضاع المنطقة – موضوع البحث – عشية

حدوث هذه المتغيرات ١٩
أولاً : الأوضاع في بلاد الرافدين ١٩
– الدولة البابلية ١٩
– الدولة الآشورية الوسطى ٢١
ثانياً : الأوضاع في بلاد الشام ٢٢
– الأوضاع في أوغاريت ٢٦
ثالثاً : الأوضاع في وادي النيل (مصر) ٢٨
رابعاً : أوضاع الدولة الحثية ٣١
خامساً: معركة قادش ١٢٨٥ق.م ٣٧
سادساً: المعاهدة الحثية المصرية ١٢٦٩ق.م ٣٩

الفصل الثاني

غزوات شعوب البحر.................. ٤٥

أسباب تحركات شعوب البحر ٤٧

– أولاً: المتغيرات التي حدثت في أوروبا......................... ٤٧

– ثانياً: الأسباب السياسية ٧٠

– **ثالثاً: الأسباب الاقتصادية** ٧٢

– **رابعاً: الأسباب العرقية** ٧٩

– **خامساً: وجود بعض القبائل المتدنية حضارياً على أطراف المراكز الحضارية** ٨٠

تاريخ الصراع الحثي مع قبائل الجوار........................ ٨٣

تأريخ غزوات شعوب البحر..................................... ٨٩

خط سير تحركات شعوب البحر ٩٢

وصف شعوب البحر.. ١٠٢

الفصل الثالث

شعوب البحر تغزو مصر................. ١٠٧

أولاً : شعوب البحر في عهد مرنبتاح ١٢٢٤ – ١٢١٤ق.م ١٠٧

الصفحة

ثانياً: شعوب البحر في عهد رعمسيس الثالث ١١٩٨ - ١١٦٥ ق.م ١١٨

غزوة السنة الخامسة من حكم رعمسيس الثالث عام ١١٩٣ ق.م ١١٩

غزوة السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث ١١٩٠- ١١٨٩ ق.م .. ١٢٣

غزوة السنة الحادية عشرة من حكم رعمسيس الثالث ١١٨٧ ق.م. ١٣٠

ثالثاً: مصير شعوب البحر التي هاجمت مصر ١٣٤

مصير البلست والتيكير وتسمية فلسطين ١٣٦

الفصل الرابع

شعوب البحر تغزو آسيا الصغرى............ ١٥١

أولاً: حرب طروادة.. ١٥٢

ثانياً: سقوط العاصمة الحثية حاتوشا ١٥٦

حاتوشا عشية سقوطها ١٥٧

المجاعة وطلب المساعدات ١٥٧

القبائل التي هاجمت حاتوشا وأسقطتها ١٦٦

الفصل الخامس

شعوب البحر تغزو بلاد الشام والساحل السوري..... ١٧١

أولاً : **غزو كركميش.. ١٧١**

ثانياً : غزو مملكة أمورو ١٧٥

الصفحة

ثالثاً : غزو مملكة ألالاخ ١٨١

رابعاً : شعوب البحر تغزو أوغاريت ١٨٤

عمورابي في أيامه الأخيرة ١٩٣

أوغاريت في أيامها الأخيرة................................... ٢٠١

زلزال يُدمِّر أوغاريت ٢٠٦

خامساً: غزو مملكة قادش ٢١٤

سادساً : **غزو صيدا وصور وباقي الساحل السوري** ٢١٥

سابعاً : مصير باقي الساحل السوري ٢١٧

ثامناً : مصير شعوب البحر ٢٢٠

الفصل السادس

شعوب البحر في مواجهة الآشوريين ٢٢٣

الفصل السابع

نتائج غزوات شعوب البحر............... ٢٣٣

الخاتمة.. ٢٤٣

الملاحق ٢٤٧

الملحق رقم (١): شعوب البحر في عهد رعمسيس الثاني
١٢٩٠– ١٢٢٤ق.م ٢٤٩

الصفحة

الملحق رقم (٢): البلست وتسمية فلسطين / رأي لـ د. زياد منى /.. ٢٥٣

الملحق رقم (٣): عصر الحديد ٢٥٥

الملحق رقم (٤): رحلة وينامون Wenamun وانتهاء النفوذ المصري.. ٢٥٩

الملحق رقم (٥): غزوات شعوب البحر ظاهرة مستمرة ٢٦١

الخرائط.. ٢٦٧

الجداول ٢٧٩

الصور ٢٨٧

المراجع ٢٩٢

الدوريات ٢٩٧

الموسوعات.. ٢٩٧

نزار مصطفى كحلة

- من مواليد سلمية ١٩٧٠م
- إجازة في الآداب / قسم التاريخ / ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.
- يعمل في مجال البحث في تاريخ الشرق العربي القديم.
- عضو في جمعية العاديّات / فرع سلمية / منذ عام ٢٠٠٣م.

الكتب المطبوعة:

- التخدير والإنعاش عبر التاريخ.
- ملكات عربيات عبر التاريخ.
- المدارس والتعليم في تاريخ الشرق العربي القديم – بلاد الشام والرافدين.
- شارك في تأليف كتاب / شخصيات من ذاكرة سلمية/.

الطبعة الأولى /٢٠١٧

كلمة غلاف

غزوات شعوب البحر، تلك العبارة التي لطالما مرَّت معنا أثناء دراستنا لكتب التاريخ، خاصة تلك التي تُعالج قضايا تتعلق بتاريخ آسيا الصغرى وسواحل بلاد الشام ومصر، أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، التي عادةً ما يأتي شرح مُبسَّطٌ عنها في أسفل الحاشية، لا تفي بالغرض.

هذه الشعوب التي انطلقت من السواحل الشرقية لأوروبا وجزر بحر إيجة، حوالي ١٢٠٠ق.م، مُدمِّرةً أمامها الإمبراطورية الحثية، ومملكتي أوغاريت وموكيش (آلالاخ) وباقي الساحل السوري، إلى أن استطاع الملك المصري رعمسيس الثالث ١١٩٨-١١٦٥ق.م إيقافها، حيث تفرَّق بعضها، وسكن بعضها الآخر فلسطين مُندمجين مع سكانها الأصليين (الكنعانيين)، في ظاهرةٍ تُشبه إلى حدٍ بعيد ظاهرة حروب الفرنجة (الصليبية) المعروفة.

يأتي هذا الكتاب لِيَسُدَّ ثغرةً كبيرة في المكتبة العربية، الفقيرة أصلاً بكتب تاريخ الشرق العربي القديم، وخاصة هذه المرحلة الهامة منه.